الدُّرَرُ السَّلَفِيَّة
مختصر

شرح العقيدة الطحاوية

لِلإمام ابن أبي العِزّ

اختصره وحققه وعلق عليه
أبو محمد عصام بن مرعي
رحمه الله

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



الدُّرَرُ السَّلَفِيَّة

مختصر

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٤٦٠٥



المكتبة الإسلامية الصف التصويري مركز... نوراج ت: ٤٩١٧١٦٣ المكتبة الإسلامية

القاهرة: ٣٨ ش صعب صالح - عين شمس الشرقية - تليفاكس: ٤٩٩١١٥٤ - ٠١٠١٥٥٨٩٠٨

مطابع دار البيان الحديثة
تليفاكس: ٢٩٩٩٥٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديـــم

• الحمد لله الواحد الأحد ، الفَرْد الصَّمَد ، الذي لَم يلد ولم يولَد ، ولَم يكن له كفوًا أحد .

• وصلى الله على محمدٍ عبده ورسولِه ، الذي أرسله للعالمين بشيرًا ونذيرًا .

اللهم صَلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلِّم تَسليمًا كثيرًا ...

• **وبعد :**

• فهذا كتاب « **الدُّرَر السَّلَفِيَّة فِي تَهذيب شرح العقيدة الطحاوية** » للشيخ الفاضل / **أَبِي محمد عصام بن مرعي** رحمه الله ، وغفر له وعفا عنه .

• قام فيه فضيلته بتيسير مادة الكتاب وتسهيلها للطلبة والقراء ، وذلك بعد أن قام رحمه الله بتنقية الكتاب من الحشو والاستطرادات وبعض الألفاظ الغامضة ، والتِي لا تَهم عامة الناس .

• وليس هذا فحسب ؛ بل قام رحمه الله بالحكم على الأحاديث الواردة في هذا المختصر ، حتَّى يكونَ القارئ على بصيرة فيما يقرأ من الأحاديث ، فصار بِحق دُرَّةً من الدرر السلفية .

● نسأل الله أن يَجعل هذا العمل فِي ميزان حسناته ، وأن يتغمَّده برحمته وإحسانه إنه سَميع قريب .

● وأخيرًا ، نسأل الله أن ينفع بِهذا العمل المسلمين أجمعين . إنه جوادٌ كريم .

● وصَلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم ، والحمد لله رب العالمين .

قسم التحقيق

بالمكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

• الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، سيدنا ومولانَا وحبيبنا وشفيعنا يومَ الدِّين ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحْبه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يومٍ يقوم فيه الناسُ لربِّ السموات والأَرضين .

• وبعد :

فلا يخفى على أَحدٍ من أهل الإسلام ما لِعقيدةِ الإمامِ الطحاويِّ ـ المسمَّاةِ بـ «الطحاوية» ـ ، وكذا ما لِشرحها ـ المسمَّى بـ « شرح الطحاوية » للعلامة ابن أبِي العزِّ الحنفيِّ ـ مِن انتشارٍ بين المسلمين .

• بَيْدَ : أنَّ هذا الانتشار لا يُقْرَنُ ـ عند عامة المسلمين بل ، وجُلِّ خاصَّتِهِمْ !- بالاهتمام بِهذه العقيدة وشرحها للأَسف !! :

• وما ذلك إلا لغموض بعض متنها ، ووجود بعضٍ من الإشكالات عليه :

• وكذا لإطالةِ شرحها ، وكونِهِ مصحوبًا بغموضٍ في بعض المواضع أيضًا ، وبكثيرٍ من الحشو وما فيه بُعْدٌ عن التيسير والتسهيل المناسِبينِ لِقُرَّاءِ أهل زماننا هذا !!

• فلمَّا كان الحال هكذا ، رأيتُ أنْ أقوم بِهذا المختصر ، خدمةً لترسيخِ العقيدة السَّلفيةِ السُّنِّيَّة في قلوب أهل الإسلام الكرامِ ، وتيسيرًا وتسهيلاً لمحبِّي هذه العقيدة الطحاوية وشرحِهَا .

• وأَمَّا عملي في هذا المختصر ، فهو على النحو التالي :

١ـ • قُمْتُ بتصفية ما في الأصل مِنْ إِطَالةٍ أَوْ حَشْوٍ أَوْ غُمُوضٍ ، فقمتُ بِحذف ذلك كُلِّه :

• وما كان مِنْ حذف فقد أَشرتُ إليه بِهذه النقاط الثلاثة ...

٢ـ • قمتُ بدراسة الأَحاديث المرفوعةِ فيه ، وذلك من حيث تخريجُها وتحقيق القول فيها صحَّةً وضَعْفًا :

• فما كان منها ضعيفًا أو فيه ما يَجعلنِي أتوقف في الحكم عليه ، توسعت ـ توسعًا يناسب هذا المختصر ـ في ذكر تخريجه وبينتُ حاله عندي .

• وما كان صحيحًا ، فقد اكتفيت بكَتْب هذه الكلمة ـ أمامه في الهامش ـ : « صحيح » أو : « ثابت » ، واكتفيتُ ـ أيضًا ـ بذكر التخريج الذي ذكره العلامةُ الشارحُ في الأصل ، وذلك دون ذِكْرِ رقم الحديث أو الجزءِ والصحيفة التي هو فيها ، فإنْ كان الحديث قد قَصَّرَ الشارح في ذِكْرِ تَخريجه المهمِّ بأَنْ كَان ـ أصلاً ـ في الصحيحين ثم اقتصر على أحدهما ، ذكرت ـ في متن هذا المختصر ـ ما يرفع هذا القصور ، وربَّما ذكرته مخرَّجًا في الحاشية .

٣ـ عَلَّقْتُ على المواضع التي أَرَاها تحتاج إلى تعليق وتوضيحٍ فيه .

٤ـ • قمتُ بالحفاظ على ألفاظ الشارح كلمةً كلمةً ، وكذا على ترتيب المتن والشرح معًا :

• وربَّما زدتُ بعض الكلمات المعدودات اليسيرات فيه ، وذلك لوجود الحاجة إلى ذلك ، فما كان كذلك فقد مَيَّزْتُهُ بوضعه بين هاتين الشرطتين ـ ـ، وذلك ليكون مفصولاً عن كلام الشارح رحمه الله تعالى .

٥ـ • وأمَّا ترقيم الآيات القرآنية فلم أَقُم به بنفسي ، وإنما اعتمدت على الترقيم المذكور لَها في نسخة المكتب الإسلامي بتحقيق شيخنا العلامة الألبانِيِّ حفظه الله تعالى .

• والله تباركَ وتعالى أَسْأَلُ أنْ يتقبل منِّي عملي هذا ، وأنْ ينفع به عوامَّ المسلمين وخواصَّهم ، وأنْ يَجعل هذه الأُمَّةَ تعود إلى عقيدتها السُّنِّيَّة السَّلَفِيَّة السَّنِيَّةِ عَوْدًا جميلاً كريمًا، إنه عز وجل أكرمُ مَنْ سُئِل فأَعطى وأَغْنَى وأَقْنَى !:

• هذا، وكان الفراغُ من اختصاره وتبييضِهِ في يوم الإثنين الموافق لـ:

٢٨ / ربيع الثانِي / ١٤١٨ هجرية

١ / سبتمير / ١٩٩٧ م .

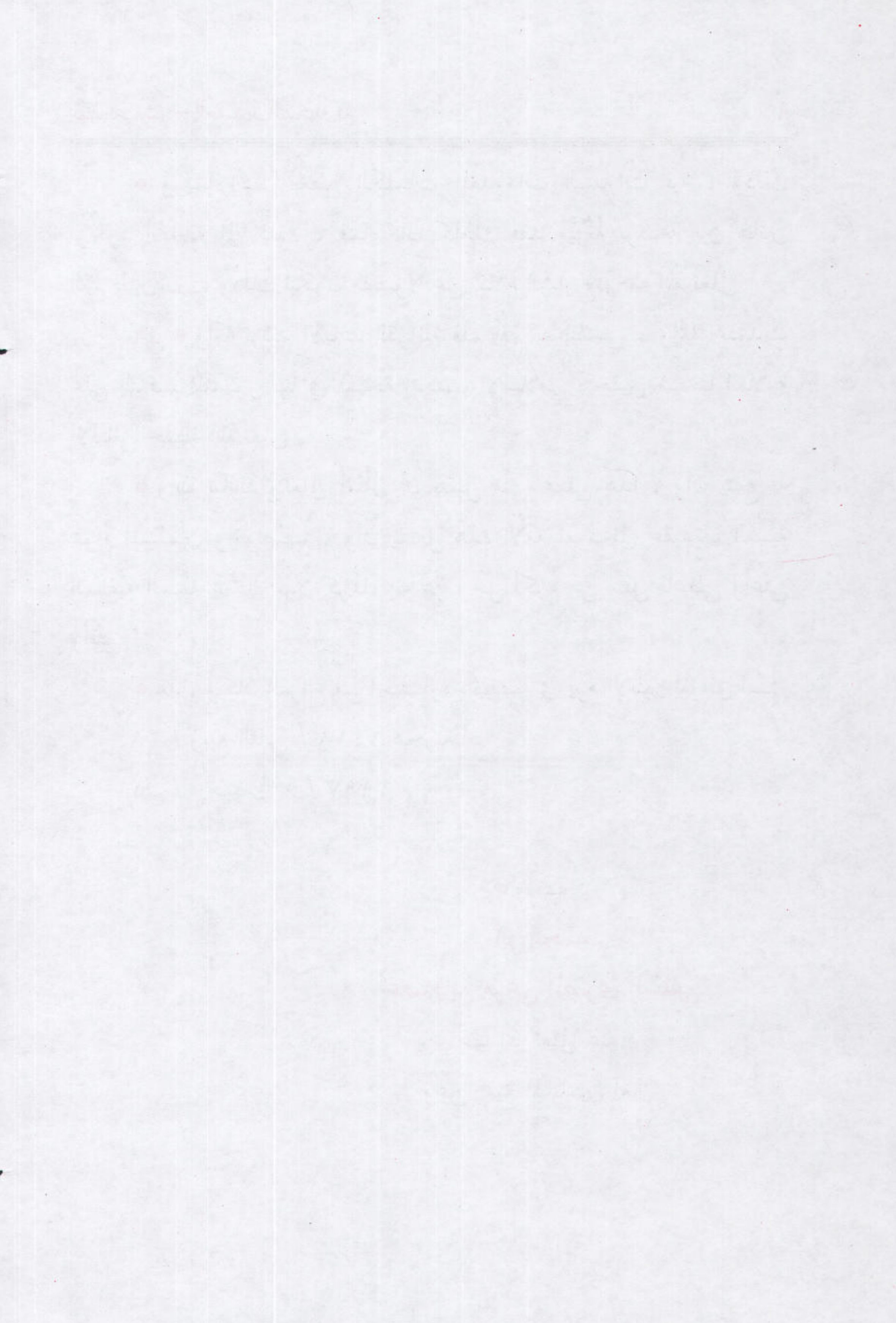
• وكتبه :

أبو مُحمَّد

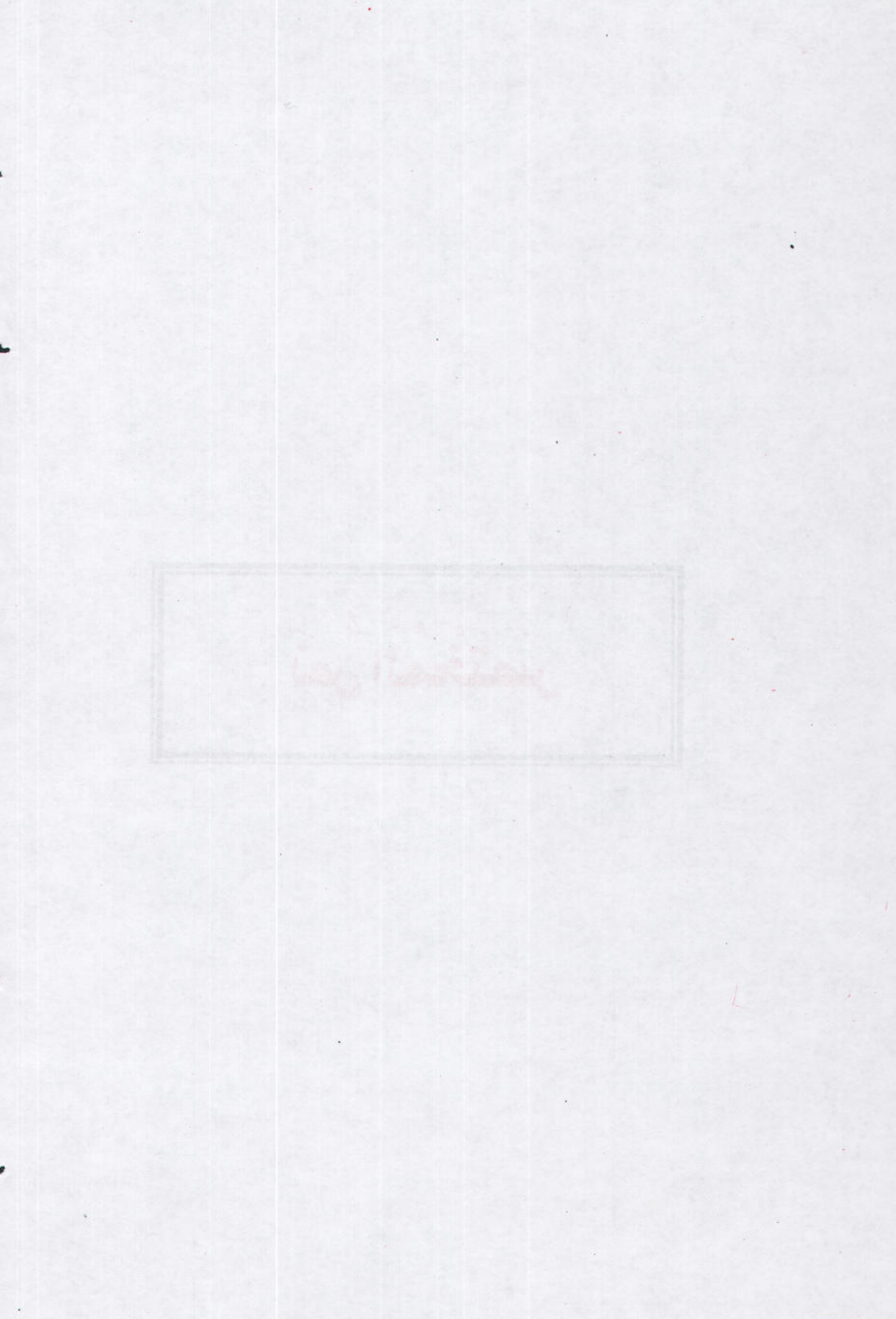
عصام بن مرعي المصريُّ السَّلَفِيُّ

عفا الله تعالى عنه

وعن جميع المسلمين آمين




نَصُّ الْمُخْتَصَر



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

• الحمد لله ، نَحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

• أما بعد : فإنه لما كان علم أصول الدِّين أشرفَ العلوم ، إذْ شرف العلمِ بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع ، ولِهذا سَمَّى الإمام أبو حنيفة رحْمة الله عليه ما قاله وجمعه من أوراق من أصول الدين : « الفقه الأكبر » وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتُهم إليه فوق كل ضرورة ، لأنه لا حياة للقلوب ، ولا نعيم ولا طمأنينة ، إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها ، بأسْمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون مع ذلك كله أحبَّ إليها مِمَّا سواه ، ويكون سعيها فيما يقربُها إليه دون غيره من سائر خلقه .

• ومن المحال أن تستقل العقول بِمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل ، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين ، وإليه داعين ، ولمن أجابَهم مُبَشِّرِينَ ، ولمن خالفهم منذرين ، وجعل مفتاح دعوتِهم ، وزبدة

رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسْمائه وصفاته وأفعاله، إِذْ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها .

• والله تعالى أرسل رسوله بالْهدى ودين الْحق ، فلا هدى إلا فيما جاء به .

• ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملاً ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرضٌ على الكفاية ، فإنَّ ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ، وداخل في تدبُّر القرآن وعقله وفهمِه ، وعلم الكتاب والحكمة ، وحفظ الذكر ، والدعاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ونَحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين ، فهو واجب على الكفاية منهم .

• وأما ما يَجب على أعيانِهم : فهذا يتنوع بتنوع قدْرِهم ، وحاجتهم ومعرفتهم ، وما أمر به أعيانُهم ، ولا يَجب على العاجز عن سَماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يَجب على القادر على ذلك . ويَجب على من سَمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يَجب على من لم يسمعها ، ويَجب على المفتي والمحدِّث والحاكمِ ما لا يَجب على مَنْ ليس كذلك .

• وينبغي أن يُعْرَفَ أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق ، فإنَّما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته ، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا ، كما قال تعالى : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ**

لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

• قال ابن عباس رضي الله عنهما : تَكَفَّلَ اللهُ لمنْ قرأَ القرآنَ وعمل بِما فيه ؛ أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآيات ...

• وقد بلَّغ الرسولُ ﷺ البلاغ المبين ، وأوضح الحجة للمستبصرين ، وسلك سبيلَه خيرُ القرون .

• ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم ، وافترقوا ، فأقام الله لِهذه الأُمة من يَحفظ عليها أصول دينها ، كما أخبر الصادق ﷺ بقوله : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلَهم** » . « صحيح »

• ـ هذا، ـ وَمِمَّنْ قام بِهذا الحق من علماء المسلمين : الإمام أبو جعفر أحْمدُ بنُ مُحمَّد بن سلامةَ الأَزْديُّ الطَّحَاويُّ ، تَغمده الله برحْمته ، بعد المائتين ، فإنَّ مولده سنة تسع وثلاثين ومائتين ـ [٢٣٩] ـ ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ـ [٣٢١] ـ .

• فأخبَر رحمه الله عما كان عليه السلف ، ونقل عن الإمام أَبِي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وصاحبيه أَبِي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري ، ومُحمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم ـ ما كانوا يعتقدون من أصول الدين ، ويدينون به رب العالمين [(١)] .

---

(١) ولا ريب أنَّ هناك أئمةً لم يذكرهم الطحاويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ هنا ، وهم بلا ريب أشدُّ جلالةً في العلم والإمامة والدِّين عند أهل السنة والجماعة مِمَّنْ ذَكَرَ ـ وإنْ كان مَنْ ذكرهم معروفينَ بِكَوْنِهمْ أئمةً أجلاءَ في العلم والعمل أيضًا ـ ، ومِنْ هؤلاءِ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ والشافعيُّ ومالكٌ والثوريُّ وإسحاقُ بنُ راهوية والبخاريُّ ومسلمٌ ، وإنَّما ذكر الطحاويُّ مَنْ ذكر دون مَنْ ذكرنا بعضهم ، لأنَّ هؤلاء الذين ذكرهم هم أئمة ورءوسُ المذهب الحنفيِّ ، وقد كان الطحاويُّ في آخرِ أَمْرِه على المذهب =

● ـ هذا، ـ وقد شرح هذه العقيدةَ غَيْرُ واحدٍ من العلماء ، ولكن رأيتُ بعضَ الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم ، واستمد منهم ، وتكلم بعباراتِهم ...

● وقد أحببت أن أشرحها سالكًا طريقَ السلف في عباراتِهم ، وأنسج على منوالِهم ، متطفلاً عليهم ، لعلي أن أُنْظَمَ في سلكهم ، وأدخل في عدادهم ، وأُحْشَرَ في زمْرتِهم ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء :٦٩]...،﴿ ومَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[١] قوله : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إنَّ الله واحدٌ لا شَرِيكَ له) .

● ش : اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم **فيه** السال**ك** إلى الله عزَّ وجلَّ ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ **فَقَالَ** يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩]، وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٦٥] ، وقال صالح عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ

=

الحنفيِّ ، فلو أنَّه ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر بعضًا مِمَّنْ ذكرنا ـ مع مَنْ ذَكَرَ ـ لكانَ أَقْرَبَ للصواب والإنصاف ، لاسيما وقد خالف الطحاويُّ ـ تَبَعًا لهؤلاء الأئمةِ الذين ذكرهم هنا ـ بعضًا مِمَّا كان عليه السلفُ الصالِحُ الذين مَنْ ذكرنا جُزْءٌ منهم وعلى مشاربِهم ومذاهبهم، ومِنْ ذلك مسألةُ: حقيقة الإيمانِ!!

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال ﷺ : « أُمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » . . . « صحيح »

• ـ و ـ التوحيدُ أول الأمر وآخره ، أعني : توحيد الإلهية ، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنوع :

• أحدها : الكلام في الصفات .

• والثاني : توحيد الربوبية ، وبيان أن الله وحده خالق كلِّ شيء .

• والثالث : توحيد الإلَهِيَّةِ ، وهو استحقاقه سبحانه وتعالَى أَنْ يعبد وحده لا شريك له .

• أمَّا الأوَّلُ : ـ فهو الإيمانُ بالله عز وجل ذاتًا وأسماءً وصفاتٍ وأفعالاً ، وأنْ يكون ذلك الإيمانُ مَبْنيًّا على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، وذلك دون تَحْرِيفٍ أوْ تَعْطِيلٍ أو تكييف أو تَمْثِيلٍ أو تشبيه ، وسوف يأتِي مزيد في شرح ذلك في موضعه إنْ شاءَ الله تعالَى[٢] ...

• أمَّا الثانِي : وهو توحيد الربوبية ، كالإقرار بأنه خالق كل شيء ...

• وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بنِي آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونِها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[إبراهيم : ١٠][٣] .

---

(٢) انظر الفقرة الآتية برقم [٢].

(٣) [توحيد الربوبيَّةِ هو : توحيد الله بأفعاله سبحانه ، وهو : الإيمانُ بأنه الخالق الرازق المدبِّرُ لأُمور خَلْقِهِ المتصرِّفُ في شئونِهم في الدنيا والآخرة ، لا شريك له في ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ

● **وأمَّا الثالث** : فهو ـ التوحيد الذي دعتْ إليه الرُّسُلُ ، ونزلت به الكتب ـ و ـ هو توحيد الإلَهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن المشركين من العرب كانوا يقرُّون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السموات والأرض واحد ، كما أخبَرَ تعالى عنهم بقوله : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [لقمان : ٢٥] ، ﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّه قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٥] ، ومثل هذا كثير في القرآن ، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنَّها مشاركة لله في خلق العالم ...

● وكذلك كان حال الأمم السالفة ـ منَ ـ المشركين الذين كذبوا الرسل . كما حكى الله تعالى عنهم في قصة صالح عليه السلام عن التسعة الرهط الذين تقاسموا بالله ، أي تَحالفوا بالله ، لنبيتنه وأهله . فهؤلاء المفسدون المشركون تَحالفوا بالله على قتل نبيهم وأهله ، وهذا بيِّن أنَّهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين .

● فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلَهية الذي يتضمن توحيد الربوبية ... قال تعالى : ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ** ﴾ [إبراهيم : ١٠] ، وقال ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواهُ يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرَانِه أو يُمَجِّسَانِه** » . « صحيح »

شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، وقال سبحانه : ﴿ **إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾ [يونس : ٣] الآية ، وهذا النوع قد أقرَّ به المشركون عُبَّادُ الأَوْثَانِ وإنْ جَحَدَ أكثرهم البعثَ والنشورَ ، ولم يدخلهم في الإسلام لشركِهِمْ بالله في العبادة وعبادتِهم الأصنامَ والأوثانَ معه سبحانه وعدم إيمانِهم بالرسول محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم] اهـ.

قاله العلامة ابن باز في تعليق له على متن الطحاوية عند الفقرة رقم [١] .

• ولا يقال : أن معناه يولد ساذجًا لا يعرف توحيدًا ولا شركًا ، كما قال بعضهم ـ لما تلونا ، ولقوله ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل : « **خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين** » الحديث . وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك ، حيث قال : « **يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمَجِّسانِه** » ولم يقل : ويسلمانه . وفي رواية : « **يولد على الملَّة** » وفي أخرى : « **على هذه الملة** » . « صحيح » « صحيح »

• ـ وعليه ـ فلو أقرَّ رجلٌ بتوحيد الربوبية ...، وهو مع ذلك ... لم يعبد الله وحده ويَتَبَرَّأْ من عبادة ما سواه : كان مشركًا من جنس أمثاله من المشركين .

• والقرآن مَمْلُوءٌ من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له . ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية ، ويبين أنه لا خالق إلاَّ الله ، وأن ذلك مستلزم أن لا يُعبد إلا الله ، فيجعل الأول دليلاً على الثاني ، إذْ كانوا يسلِّمُون في الأول وينازعون في الثاني ، فيبين لهم سبحانه أنَّكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلاَّ الله وحده وأنه هو الذي يأتِي العباد بما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم ، لا شريك له في ذلك ، فَلِمَ تعبدونَ غَيْرَهُ وتَجعلون معه آلِهة أخرى ؟!!:

• كقوله تعالَى : ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** ﴾ [النمل : ٥٩ ـ ٦٠] الآيات . يقول الله تعالَى في آخر كل آية : ﴿ **أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ** ﴾ أي : أإله مع الله فَعَلَ هذا ؟ وهذا استفهامُ إِنكارٍ ، يتضمَّنُ نَفْيَ ذلك ، وهم كانوا مُقِرِّينَ بأَنَّه لَمْ يفعل ذلك غيرُ اللهِ ، فاحتج عليهم

بذلك . وليس المعنى أنه استفهام هل مع الله إِلَهٌ ، كما ظنه بعضهم ؛ لأنَّ هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام ، والقوم كانوا يَجعلون مع الله آلِهةً أُخْرَى . كما قال تعالى : ﴿ **أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّه آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ** ﴾ [الأنعام : ١٩] وكانوا يقولون : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص : ٥] لكنهم ما كانوا يقولون إِنَّ معه إِلَهًا : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وأَبْصَارَكُمْ وخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ** ﴾ [الأنعام : ٤٦] . وأمثال ذلك ...

• والمقصود : أنَّ التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبُهُ نوعانِ :

١ـ توحيد في الإثبات والمعرفة ـ و ـ :

٢ـ توحيد في الطلب والقصد .

• فالأول : هو إثبات حقيق ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسْمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله ﷺ ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح ...

• والثانِي : وهو : توحيدُ الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة : ﴿ **قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ ... وجُملة سورة الأنعام ...

• وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن . فالقرآن إما خبر عن الله وأسْمائه وصفاته ، وهو التوحيد العلمي الخبري . وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبِي . و إما أمر ونَهي وإلزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته . وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده ، وما فعل

بِهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بِهم في الدنيا من النكال ، وما يَحلُّ بِهم في العقبَى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

• فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائِهم . فـ ﴿ **الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ توحيد ، ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ توحيد ، ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ توحيد ، ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ توحيد، ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ توحيد متضمن لسؤال الْهداية إلى طريق أهل التوحيد ، ﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولاَ الضَّالِّينَ** ﴾ الذين فارقوا التوحيد .

• ـ و ـ قد أَوْدَعَ الله تعالى في الفطرة التِي لم تتنجس بالجحود والتعطيل ، ولا التشبيه والتمثيل ، أنه سبحانه الكامل في أسْمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بِما وصف به نفسه ووصفه به رسله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه ... ، ومَنْ هذا شأْنه كيف يليق بالعباد أنْ يشركوا به ، وأنْ يعبدوا غيره ويَجعلوا معه إلَهًا آخر ؟!...

• ـ هذا ، و ـ أكملُ الناس توحيدًا الأنبياء صلوات الله عليهم ، والمرسلون منهم أكمل في ذلك ، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيدًا ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين . وأكملهم توحيدًا الخليلان : مُحمد وإبراهيم ، صلوات الله عليهما وسلامه ، فإِنَّهما قاما من التوحيد بِما لم يقم به غيرهما عِلْمًا ، ومعرفةً ، وحالاً ، ودعوةً للخلق وجهادًا ، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ، ودعوا إليه ، وجاهدوا الأُمَمَ عليه ...

[٢] قوله : (ولا شيء مثله) .

● ش : اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظًا مجملاً يراد به المعنَى الصحيح ، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل : من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بِها شيء من المخلوقات ، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ردٌّ على الممثلة المشبهة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، رد على النفاة المعطلة، فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق، فهو المشبِّه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نَظير النصارى في كفرهم ...

● ـ وقد ـ سَمَّى الله نفسه بأسْماء ، وسَمى بعض عباده بِهَا ، وكذلك سَمى صفاته بأسْماء، وسَمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمَّى كالمسمَّى فسمى نفسه : حيًّا ، عليمًا ، قديرًا ، رءوفًا ، رحيمًا ، عزيزًا ، حكيمًا ، سَميعًا ، بصيرًا ، ملكًا ، مؤمنًا ، جبارًا ، متكبرًا ، وقد سَمى بعض عباده بِهذه الأسماء ، فقال: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّت ﴾ [الأنعام : ٩٥، الروم : ١٩] . ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨]. ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] . ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الدهر : ٢] . ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ [يوسف : ٥١] . ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف : ٧٩] . ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ [السجدة : ١٨] . ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [المؤمن : ٣٥] . ومعلوم أنه لا يُماثل الحيُّ الحيَّ ، ولا العليمُ العليمَ ، ولا العزيزُ العزيزَ ، وكذلك سائر الأسْماء . وقال تعالَى :

﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] . ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ [١١] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] . ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [حم السجدة : ١٥]. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم : ٥٤]. ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف : ٦٨] . ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم ، ولا القوة كالقوة ، ونظائر هذا كثيرة . وهذا لازم لجميع العقلاء . فإنَّ من نَفى صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه ، كالرضى والغضب ، والحب والبغض ، ونَحو ذلك ، وزعم أنَّ ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم ! قيل له : فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر ، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين ، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبته ، إذ لا فرق بينهما .

● فإنْ قالْ : أنا لا أثبت شيئًا من الصفات ! قيل له : فأنت تثبت له الأسْماء الحسنى ، مثل : عليم ، حي ، قادر . والعبد يسمى بِهذه الأسماء ، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسْماء مماثلاً لما يثبت للعبد ، فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسْمائه ...

● ـ والحقُّ : أنَّ ـ النُّفَاةَ ـ قد ـ أحسنوا في تنْزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه ، ولكن أساءوا في نفي المعانِي الثابتة لله تعالى في نفس الأمر .

● والمشبهةَ أحسنوا في إثبات الصفات ، ولكن أساءوا بزيادة التشبيه ...

[٣] قوله : (ولا شيء يعجزه) .

• ش : لكمال قدرته . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠] . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ٤٥] . ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر : ٤٤] . ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . ﴿ وَلاَ يَئُودُهُ ﴾ أي : لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه. فهذا النفي لثبوت كمال ضده ، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنَّما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] لكمال عدله . ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٣] ، لكمال علمه . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] ، لكمال قدرته . ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] لكمال حياته وقيوميته. ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣]، لكمال جلاله وعظمته وكبريائه ، وإلا فالنفي الصِّرْف لا مدح فيه ، ألا ترى أن قول الشاعر : ...

« لَكِنَّ قَومي وإن كانوا ذوي عدد   ليسوا من الشَّر في شيء وإنْ هانا »

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم ، عُلم أن المراد عجزهم وضعفهم أيضًا .

• ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً...، وهذا النفي المجرَّد مع كونه لا مدح فيه ، فيه إساءة أدب ، فإنك لو قلت للسلطان : أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك ، لأدَّبك على

هذا الوصف وإن كنت صادقًا، وإنَّما تكون مادحًا إذا أجْملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل . فإذا أجملت في النفي أجْملت في الأدب .

• والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية ، هو سبيل أهل السنة والجماعة ...

• ـ هذا ، ـ وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى : «ولا شيءَ يعجزه» من النفي المذموم ، فإن الله تعالى قال : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ [فاطر : ٤٤] ، فنبه سبحانه وتعالَى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز ، وهو كمال العلم والقدرة ، فإن العجز إنَّما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل ، وإما من عدم علمه به ، والله تعالَى لا يعزُب عنه مثقال ذرة ، وهو على كل شيء قدير ...، فانتفى العجزُ ، لما بينه وبين القدرة من التضاد ، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلَهًا ، تعالى الله عن ذكر ذلك علوًّا كبيرًا .

[٤] قوله : (ولا إله غيره) .

• ش : هذه كلمة التوحيد التِي دعت إليها الرسل كلهم ، كما تقدم ذكره . وإثبات التوحيد بِهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر ، فإنّ الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال. ولِهذا ـ والله أعلم ـ لما قال تعالى : ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾[البقرة : ١٦٣] ، قال بعده : ﴿ **لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾[البقرة : ١٦٣]. فإنه قد يَخطر ببال أحد خاطر شيطانِي: هب أن إلَهنا واحد ، فلغيرنا إله غيره ، فقال تعالى : ﴿ **لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ ...

[٥] قوله : (قديم بلا ابتداءٍ ، دائمٌ بلا انتهاء) .

● ش : قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [الحديد : ٣] وقال ﷺ: « اللهم أنت الأوَّلُ فليس قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيْء » . « صحيح »

● فقول الشيخ : « قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء » هو معنى اسْمه الأول والآخر ، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر ...

● وقد أدخل المتكلمون في أسْماء الله تعالى القديم ، وليس هو من الأسْماء الحسنى ، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بِها القرآن : هو المتقدم على غيره ، فيقال : هذا قديم ، للعتيق ، وهذا حديث : للجديد . ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لا فيما لم يسبقه عدم ، كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] . والعرجون القديم : الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثانِي ، فإذا وجد الجديد قيل للأول : قديم ...، ـ و ـ إدخالُ القديم في أسْماء الله تعالى ... مشهور عند أكثر أهل الكلام . وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ، منهم ابن حزمٍ ...، وأسْماء الله تعالى هي الأسْماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به ، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها ، فلا يكون من الأسْماء الحسنى . وجاء الشرع باسْمه الأول . وهو أحسن من القديم ، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له ، بخلاف القديم . والله تعالى له الأسْماء الحسنى لا الحسنة [٤].

---

(٤) وكذلك اسم « الدائم » ، لم أقف على دليل من الكتاب والسنة الصحيحة يُثْبِتُهُ ، وقد جاء الشرع باسْمه : « الآخِر » وفي ذلك غُنْيَةٌ عن اسم : « الدَّائم » ، لا سيما وقد وصف الرسول ﷺ آخريَّةَ ربِّه عز وجل ـ كما في الحديث الصحيح السابق آنفًا ـ أعلاهُ ـ بأنَّها مطلقة في دوامها فقال : « وأنتَ الآخِرُ فليس بعدكَ شَيءٌ » : أخرجه مسلم [٢٧١٣] وغيره .

[٦] قوله : (لا يفنى ولا يبيد) .

● ش : إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى ، قال عَزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧] . والفناء والبيد متقاربان في المعنى ، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد ، وهو أيضًا مقرِّر ومؤكد لقوله : « دائم بلا انتهاء » .

[٧] قوله : (ولا يكونُ إلا ما يريد) .

● ش : هذا رد لقول القَدَرِيَّة والمعتزلة ، فإنَّهم يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافرَ أراد الكفر . وقولهم فاسد مردود ، لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح ، وهي مسألة القدرة المشهورة ، وسيأتي لها زيادة بيان إنْ شاء الله تعالى .

● وسُمُّوا قَدَرية لإنكارهم القَدَر ، وكذلك تُسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا ، والنِّسْبَةُ على الطائفة الأولى أغلب .

● أما أهل السنة فيقولون : إن الله وإنْ كان يريد المعاصي قَدَرًا — فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بِهَا ، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها . وهذا قول السلف قاطبة ، فيقولون : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . ولِهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال : والله لأفعلن كذا إن شاء الله ـ لم يَحنث ـ إذا لم يفعله وإن كان واجبًا أو مستحبًّا . ولو قال : إنْ أحب الله ـ حنِث إذا كان واجبًا أو مستحبًّا .

● والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادةٌ قدريةٌ كونيةٌ خَلْقِيَّةٌ ، وإرادةٌ دينية أمرية شرعيَّة ، فالإرادة الشرعية هي

المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات .

• وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . وقوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود : ٣٤] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

• وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية ، فكقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : ٢٦] . ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٧ ، ٢٨] . وقوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

• فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل ما لا يريده الله ، أي : لا يُحبه ولا يرضاه ولا يأمر به .

• وأما الإرادة الكونية ، فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لَمْ يشأْ لم يكن .

• والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل ، وبين إرادته من غيره أن يفعل . فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة مُعَلَّقَةٌ بفعله ، وإذا أرادَ من غيره أن يفعله فعلاً فهذه الإرادة لفعل الغير ، وكلا النوعين معقول

للناس ، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى ، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمرٍ فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك ، وإن كان مريدًا منه فعله .

• وتحقيق هذا مما يبين فصل النِّزاع في أمر الله تعالى : هل هو مستلزم لإرادته أم لا ؟ فهو سبحانه أمر الخلق على ألسن رسله عليهم السلام بِما ينفَعهم ونَهاهم عما يضرهم ، ولكن منهم من أراد أن يَخلق فعله ، فأراد سبحانه أن يَخلق ذلك الفعل ويَجعله فاعلاً له . ومنهم من لم يرد أن يَخلق فعله ، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات ، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة ، وهو سبحانه ـ إذ أمر فرعون وأبا لَهب وغيرهما بالإيمان ـ كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه ، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم ، بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له ، فإنه يَخلق ما يَخلق لحكمة ...

• وإذا قيل : إن الله أمر العباد بما يصلحهم ، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به ...، وإذا عُلِّلَتْ أفعالُه بالحكمةِ ، فهي ثابتة في نفس الأمر ، وإن كنا نَحن لا نعلمها . فلا يلزم إذا كان نفسُ الأمر له حكمة في الأمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة ، بل قد تكون الحكمة تقتضي أنْ لا يعينه على ذلك ...

• والمقصود : أنه يُمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه ، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته ، فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تَعَلَّقَ به خَلْقُهُ وأَمْرُهُ إِنْشَاءً وخَلْقًا

وَمَحَبَّةً ، فكان مرادًا بجهة الخلق ومرادًا بجهة الأمر . ومن لم يُعنْه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمْرُهُ ولم يتعلق به خَلْقُهُ ، لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به ، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده . وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر ...

● ـ هذا ، ـ وتفصيل حكم الله عز وجل في خلقه وأمره ، يعجز عن معرفته عقول البشر ، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة : مثَّلوا الله فيها بخلقه ، ولم يثبتوا حكمة تعود إليه(٥) .

[٨] قوله : (لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام).

● ش : قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] . قال في «الصحاح»: تَوَهَّمْت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء : علمته . فمراد الشيخ رحمه الله : أنه لا ينتهي إليه وهم . ولا يحيط به علم . قيل : الوهم ما يرجى كونه، أي: يظن أنه على صفة كذا، والفهم : هو ما يُحصله العقل ويُحيط

(٥) ● والإمام الطحاويُّ ـ رحمه الله تعالى ـ لم يَجمع الكلام في القدَر في مكان واحد، بل فرَّقَهُ، وقد صرَّح ـ أيضًا ـ الشارح بذلك في موضعين من أصل هذا المختصر [كما في ص ١٥٦ ـ و ـ ٥٢٧] ، وهذا بلا ريب ـ مخالف للأَوْلَى ، وذلك لأن القارئ أو الدَّارسَ لهذا المتن إنْ وَجَدَ الكلام عن القدر مجتمعًا أمامه في موضع واحد ، فإنه سيستوعب المرادَ منه بأيْسَرِ سَبيلٍ ، وَسَيُزَالُ عنه الإشْكالُ أو الغموضُ بأقربِ طريقٍ وأَحْسَنِه !!

● وقد مَشى الشارح على هذا التفريق المذكور في الترتيب الأَصْلِيِّ للمتن ، وحتى لا أُشَتِّتَ نَظَرَ القارئ أو الدارسِ لهذا المتن وشرحه في أمْرِ ترتيب الفقرات على ما كان عليه المتنُ الأصليُّ وشرحُهُ ، فسوف أمشي في هذا المختصر على الترتيب المذكور في الأصل ، ولكنْ :

● سأذكر هنا الفقرات التي تناولتْ مسألةَ القدَر على ترتيبها في الأصل ، عسى أن يتناولَها القارئ والدَّارسُ ـ إن شاء ـ مرةً واحدةً ، فهذه الفقرات هي : [١٨ ـ ١٩ـ ٢٠ـ ٢١ـ ٢٣ـ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٧ـ ٥٠ـ إلى ٥٩ـ ٩١ـ إلى ٩٤ـ ١١٣] .

به . والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى ، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ .

[٩] قوله : (ولا يُشْبِهُه الأنامُ) .

• ش : هذا رد لقول المشبِّهة ، الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ، سبحانه وتعالى ، قال عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع ، فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في « الفقه الأكبر » : لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه . ثم قال بعد ذلك : صفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا ، انتهى .

وقال نعيم بن حَمَّاد : من شبَه الله بشيء من خلقه فقد كفر . ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ...

• ونفي مشابَهة شيء من مخلوقاته له ، مستلزم لنفي مشابَهته لشيء من مخلوقاته . فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله : ولا يشبهه الأنام . والأنام : الناس ، وقيل : كل ذي روح ، وقيل : الثقلان ، وظاهر قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾ [الرحمن : ١٠] ـ يشهد للأول أكثر من الباقي . الله أعلم .

[١٠] قوله : (حَيٌّ لا يَموتُ قَيُّومٌ لا ينامُ) .

• ش : قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ

نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فنفيُ السِّنَة والنوم دليلٌ على كمال حياته وقيُّوميته . وقال تعالى : ﴿ **الـم ۞ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ [آل عمران : ١ ـ ٣] ، وقال تعالى : ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ** ﴾ [طه : ١١١] . وقال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ**﴾ [الفرقان : ٥٨] . وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [غافر : ٦٥] . وقال ﷺ : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** » ، الحديث ـ رواه مسلم ـ . « صحيح »

● لما نفى الشيخ رحمه الله التشبيه ، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه ، بما يتصف به تعالى دون خلقه : فمن ذلك : أنه حي لا يموت ، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى ، دون خلقه ، فإنَّهم يَموتون . ومنه أنه قيوم لا ينام : إذ هو مختص بعدم النوم والسِّنة ، دون خلقه ، فإنَّهم ينامون . وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات ، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال ، لكمال ذاته . فالحي بِحياة باقية لا يشبه الحي بِحياة زائلة ...

● واعلم أن هذين الاسْمين ، أعني : الحي القيوم مذكوران في القرآن معًا في ثلاث سور كما تقدم ، وهما من أعظم أسْماء الله الحسنى ...، ويدل القيوم على معنى الأزَلِية والأَبدية ما لا يدل عليه لفظُ القديم ...، والقيوم أبلغ من : « القيَّام » ، لأن الواو أقوى من الأَلِفِ ، ويُفيد قيامَه بنفسه ، باتفاق المفسِّرين وأهْلِ اللغةِ ، وهو معلومٌ بالضرورة ...

● ـ هذا ، ـ واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال ، ويدل على دوامها وبقائها ، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبدًا ...، فعلى هذين الاسْمين مدار الأسْماء الحسنى كلها ، وإليهما ترجع معانيها .

فإن الحياة مستلزمة لجميع صِفات الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة ، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمَّها ، استلزم إثباتُها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة . وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته ، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه . المقيم لغيره ، فلا قيام لغيره إلا بإقامته. فانتظم هذان الاسْمان صفات الكمال أتَمَّ انتظام .

[١١] قوله : (خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤنة) .

● ش : قال تعالى : ﴿ ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُون * إنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّة المَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] . ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] . ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد : ٣٨] . ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمْ ﴾ [الأنعام : ١٤]. وقال ﷺ ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ » رواه « صحيح » مسلم . وقوله (بلا مؤنة) : بلا ثِقَلٍ ولا كُلْفَةٍ .

[١٢] قوله : (مميتٌ بلا مخافةٍ ، باعث بلا مشقةٍ) .

● ش : الموت صفة وجودية ، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم . قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا ...

● ـ هذا ، ـ وسيأْتي الكلام على البعث والنشور . إن شاء الله تعالى (٦) .

[١٣] قوله : (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه ، لم يزدد بكونِهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليًّا ، كذلك لا يزال عليها أبديًّا) .

● ش : أي : أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل . ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصِف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بِها ، لأن صفاته سبحانه صفات كمال ، وفقدها صفة نقص ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده . ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونَحوها ، كالخلق والتصوير ، والإماتة والإحياء ، والقبض والبسط والطَّيِّ ، والاستواء والإتياء والمجيء والنُّزول ، والغضب والرضى ، ونَحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ...، وإنْ كانت هذه الأحوال تَحْدُثُ في وقتٍ دون وقتٍ ...

(٦) وذلك عند شرح الفقرة رقم [٩٠] .

• ـ وذلك ـ لأنَّ هذا الحدوث بِهذا الاعتبار غير ممتنع ، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن ، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال : إنه حدث له الكلام ، ولو كان غير متكلم لآفة كالصِّغَرِ والخرس ، ثم تكلم يقال ـ : حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلمًا بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء ، وفي حال تكلمه يسمى متكلمًا بالفعل ، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ، ولا يَخرج عن كونه كاتبًا في حال عدم مباشرته الكتابة .

[١٤] قوله : (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم «الخالق» ولا بإحداثه البرية استفاد اسم «الباري») .

• ش : ظاهر كلام الشيخ رحمه الله أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، ويأتِي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل ، وهو قوله : « والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان » ، هذا مذهب الجمهور . ولا شك في فساد من منع ذلك في الماضي والمستقبل ، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه ، وقال بفناء الجنة والنار ، لما يأتِي من الأدلة إن شاء الله تعالى .

• وأما قول من قال بِجواز حوادث لا أول لَها، من القائلين بِحوادث لا آخر لَها ـ فأظهر في الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حيًّا، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلاً لما يريد، كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥ـ ١٦] ...

• والقول بأن الحوادث لَها أول ، يلزم منه التعطيل قبل ذلك ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلاً . ولا يلزم من ذلك قِدم

العالم ، لأن كل ما سوى الله تعالى محدَث ممكن الوجود ، موجود بإيجاد الله تعالى له ، ليس له من نفسه إلا العدم ، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى ، والله تعالى واجب الوجود لذاته ، غنِيٌّ لذاته ، والغنى وصف ذاتِي لازم له سبحانه وتعالى ...

[١٥] قوله : (له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالق ولا مخلوق) .

• ش : يعنى : أن الله تعالى موصوف بأنه « الرب » قبل أن يوجد مربوب ، وموصوف بأنه « خالق » قبل أن يوجد مخلوق ...

[١٦] قوله : (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسمَ قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم) .

• ش : يعنِي : أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائِهم ، فكذلك يوصف بأنه خالقٌ قَبْلَ خَلْقِهِمْ ...

[١٧] قوله : (ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) .

• ش : ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه ...

[١٨] قوله : (خلق الخلق بعلمه) .

• ش : خلق : أي : أوجد وأنشأ وأبدع . ويأتِي خَلَقَ أيضًا بِمعنَى :

قَدَّرَ . والخلق : مصدر ، وهو هنا بِمعنَى المخلوق . وقوله : « بعلمه » في محل نصب على الحال ، أي : خلقهم عالمًا بِهم ، قال تعالى : ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] . وقال تعالى : ﴿ **وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ ويَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والْبَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِن ورَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ويَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ [الأنعام : ٥٩- ٦٠] ، وفي ذلك رد على المعتزلة .

• قال الإمام عبد العزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه ، في كتاب « الحيْدة » ، الذي حكى فيه مناظرتَهُ بِشْرَ المريسيَّ عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى : فقال بشر أقول : لا يَجهل ، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم ، تقريرًا له ، وبشر يقول : لا يَجهل ، ولا يعترف له أنه عالم بعلم ، فقال الإمام عبد العزيز : نَفْيُ الجهل لا يكون صفة مدح ، فإن هذه الأسطوانة لا تَجهل ، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم ، لا بنفي الجهل . فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم ، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وينفوا ما نفاه ، ويمسكوا عما أمسك عنه .

• والدليل العقلي على علمه تعالى : أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل ...، ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها ، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم ، ولأن من المخلوقات ما هو عالم ، والعلم صفة كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالمًا...، والله تعالى له المثل الأعلى : ولا يستوي هو والمخلوقات...، بل

كل ما ثبت للمخلوق من كمالٍ فالخالق به أحقُّ ، وكل نقص تَنزَّه عنه مخلوق ما ، فتنْزيه الخالق عنه أولى .

[١٩] قوله : (وَقَدَّرَ لهم أقدارًا) .

● ش : قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]. وقال تعالى :﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى : ٢-٣] . وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « **قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يَخلق السموات والأرض بِخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء** » . « صحيح »

[٢٠] قوله : (وضرب لهم آجالاً) .

● ش : يعنِي : أن الله سبحانه وتعالى قدَّر آجال الخلائق ، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٩].وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران : ١٤٥]...

● فالمقتول ميت بأجله ، فَعَلِمَ الله تعالى وقدَّر وقضى أن هذا يَموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق ، وهذا بالغرق ، إلى غير ذلك من الأسباب. والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة . وعند المعتزلة : المقتول مقطوع عليه أجله ، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلان وهذا باطل ، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه الْبتة ، أو يجعل أجله

أحد الأمرين كفعل الجاهل بالعواقب!!...

[٢١] قوله : (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم) .

• ش : فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾ [الأنعام : ٢٨] وإن كان يعلم أنَّهم لا يُردُّون ، ولكن أخبر أنَّهم لو ردوا لعادوا ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنفال : ٢٣] . وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية ، والذين قالوا : إنه لا يعلم الشيء قبل أن يَخلقه ويوجده . وهي من فروع مسألة القدر ، وسيأتي لَها زيادة بيان ، إن شاء الله تعالى .

[٢٢] قوله : (وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته) .

• ش : ذكر الشيخ الأَمْرَ والنهي ، بعد ذكره الخلق والقدر ، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك : ٢] .

[٢٣] قوله : (وكلُّ شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، لا مشيئة للعباد ، إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن) .

• ش : قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا**

حَكِيمًا ﴾ [الدهر : ٣٠]. وقال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١١١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [هود : ٣٤] . وقال تعالى : ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٣٩] . إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وكيف يكون في ملكه ما لا يشأ! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله !! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا [٧] .

• فإنْ قيل : يُشْكِلُ على هذا قَوْلُهُ تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، الآية. وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٣٥] الآية . وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٠] . فقد ذمهم الله تعالى حيث جعلوا الشرك كائنًا منهم بِمشيئة الله ، وكذلك ذم إبليس حيث أضاف الإغواء إلى الله

---

(٧) • وهذه النصوص الكريمةُ المذكورةُ ـ هنا ، لا يُستفاد منها الْجَبْرُ ـ كما يقول الجبريةُ المبتدعةُ ـ ، وذلك لأنَّ المراد بالمشيئة في هذه النصوص : الإرادةُ القدريةُ الكونيةُ لا الشرعيةُ الدِّينيَّةُ !! .

• وراجع لبيان ذلك الفقرة السابقةَ رقم [٧] .

تعالى، إذ قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] .

● قيل : قد أجيب على هذا بأجوبة ، مِنْ أحسنها : أنه أنكر عليهم ذلك لأنَّهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته ، وقالوا : لو كره ذلك وسخطه لما شاءه ، فجعلوا مشيئتَهُ دليلَ رِضَاهُ ، فرد الله عليهم ذلك. أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به . أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره ، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر ، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد ، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره ، دافعين بها لشرعه ، كفعل الزنادقة والجهال ، إذا أُمِروا أو نُهوا احتجوا بالقدر . وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر ، فقال : وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره . يشهد لذلك قوله تعالى في الآية ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] . فعلم أن مرادهم التكذيب ، فهو من قبل الفعل ، من أين له أن الله لم يقدره ؟ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ؟! .

● فإن قيل : فما يقولون في احتجاج آدم على موسى عليهما السلام بالقدر ، إذ قال له : تلومني على أمرٍ قد كتبه الله عليَّ قبل أن أُخْلَقَ بأربعين عامًا ؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حج موسى ، أي : غلب عليه بالحجة ؟! : « صحيح »

● قيل : نتلقَّاهُ بالقبول والسمع والطاعة ، لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاه بالرد والتكذيب لراويه ، كما فعلت القدرية ، ولا بالتأويلات الباردة ، بل الصحيح أن آدم لم يَحتجَّ بالقضاء والقدر على الذنب ، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يَحتجُّ بالقدر. فإنه باطل.

وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه ، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتجَّ آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب، لا عند المعائب. وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث [(٨)] .

● فما قُدِّرَ من المصائب يَجب الاستسلام له ، فإنه من تمام الرضى بالله ربًّا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب. فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب. قال تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ** ﴾ [المؤمن : ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

● وأما قول إبليس : ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي** ﴾ [الحجر : ٣٩] ، إنما ذم على احتجاجه بالقدر ، لا على اعترافه بالمقدر وإثباته له . ألم تسمع قول نوح عليه السلام : ﴿ **وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [هود : ٣٤] . ولقد أحسن القائل :

« **فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن** »

● وعن وهب بن منبه ، أنه قال : نظرت في القدر فتحيرت ، ثم نظرت فيه فتحيرت ، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه ، وأجهل

---

(٨) ● وقد توسع شيخا الإسلام ابنُ تيمية وابنُ القيم في الكلام عن هذا الإشكال الوارد في هذا الحديث ، وانتهيا إلى اعتماد ما اعتمده المؤلِّفُ هنا ، وقد ذكر ابنُ القيم بَعْدُ أنه قد يتوجه له جواب آخر ثم ذكره رحمه الله تعالى ، فانظر كلامهما في :

١ـ « مجموع الفتاوى » لابن تيمية [٣٠٣/٨ ـ إلى ـ ٣٢٥] .

٢ـ « شفاء العليل » لابن القيم [ص ٢٨ ـ إلى ـ ٤١] .

الناس بالقدر أنطقهم به [٩] .

[٢٤] قوله : (يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي ، فضلاً. ويضل من يشاء ، ويخذل ويبتلي ، عدلاً) .

● ش : هذا ردٌّ على المعتزلة في قولِهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله ، وهي مسألة الْهدى والضلال . قالت المعتزلة : الْهدى من الله : بيان طريق الصواب ، والإضلال : تَسْمِيَةُ العبدِ ضالاًّ ، وَحُكْمُهُ تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه . وهذا مبني على أصلهم الفاسد : أن أفعال العباد مخلوقة لَهم . والدليل على ما قلناه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص : ٥٦] . ولو كان الهدى بيان الطريق ـ لما صح هذا النفي عن نبيه ، لأنه ﷺ بيَّن الطريق لمن أحب وأبغض . وقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾ [السجدة : ١٣] . ﴿ **يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [المدثر : ٣١] . ولو كان الهدى من الله البيان ، وهو عام في كل نفس ـ لما صح التقييد بالمشيئة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ [الصافات : ٥٧] . وقوله : ﴿ **مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٩] .

---

(٩) ● بَلْ أَعْلَمُ الناس بالقدر مَنْ تَجَمَّعَ له أمْرَان ، وهما :

١ـ مَعْرِفَتُهُ أو عِلْمُهُ بنصوص الكتاب والسنة ـ الصحيحة ـ المتعلّقة بالقضاء والقَدَر ، وذلك من خلال فَهْم العلماء والأئمة ـ من أهل السنة والجماعة ـ لَها .

٢ـ إيمَانُهُ العظيمُ بأسْماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله وخاصةً اسْمَيْه عَزَّ وَجَلَّ الحكيم العليم .

● هَذا ، وتفصيلُ ذلك لا يَسَعُهُ المقامُ هنا .

[٢٥] قوله: (وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله).

● ش: فإنَّهم كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن : ٢] . فمن هداه إلى الإيمان فبفضله، وله الحمد، وَمَنْ أَضله فبعدله، وله الحمد وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح، إنْ شاءَ الله تعالى(١٠)...

[٢٦] قوله : (وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد) .

● ش : الضد : المخالفُ ، والنِّد : المِثْلُ . فهو سبحانه لا معارض له ، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا مِثْلَ له ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] . ويشير الشيخ رحمه الله ـ بنفي الضد والند ـ إلى الرد على المعتزلة ، في زعمهم أن العبد يَخلق فعله .

[٢٧] قوله : (لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره) .

● ش : أي : لا يرد قضاء الله رادٌّ ، ولا يعقب ، أي لا يؤخر حكمه مؤخر ، ولا يغلب أمره غالب ، بل هو الله الواحد القهار .

[٢٨] قوله : (آمنا بذلك كله ، وأيقنا أن كلاًّ من عنده).

● ش: أما الإيمان فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى(١١). والإيقان: الاستقرار ، مِنْ قَرَّ الماءُ في الحوض إذا استَقَرَّ . والتنوين في «كلا» بدل

(١٠) ● وذلك عند آخر الفقرة رقم [٩١] وأيضًا عند الفقرة [٩٣] .
● وانظر ـ للمزيد ـ التعليق رقم [٥] .
(١١) وذلك عند الفقرة رقم [٧١] .

الإضافة ، أي: كل كائن مُحْدَث من عند الله، أي : بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه. وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى .

[٢٩] قوله : (وإنَّ محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى) .

●.ش : الاصطفاء والاجتباء والارتضاء : متقارب المعنى . واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى . وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ...، قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٢٦] . إلى غير ذلك من الآيات . وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات ، فقال في ذكر الإسراء : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء : ١] . وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ** ﴾ [الجن : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ [النجم : ١٠]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** ﴾ [البقرة : ٢٣] . وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة ...

● وقوله : « وإِن محمدًا » بكسر الهمزة ، عطفًا على قوله : « إن الله واحدٌ لا شريك له » لأن الكل معمول القول ، أعني : قوله « نقول في توحيد الله » .

● ـ هذا ، ـ والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر ، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات ، لكن كثير منهم لا يعرف نبوَّة الأنبياء إلا بالمعجزات...

● ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين : ولا

يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين. بل قرائن أحوالها تُعْرِبُ عنهما، وتُعَرِّفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوة النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

« لو لم يكن فيه آياتٌ مبيِّنة كانت بديهتُه تأتيك بالخبرِ »

● وما من أحد ادَّعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ـ ما ظهر لمن له أدنَى تمييز . فإن الرسول لابد أن يُخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ، ولابد أن يفعل أمورًا يبين بها صدقه. والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويُخبر عنه وما يفعله ما يَبين به كذبه من وجوه كثيرة. والصادق ضده. بل كل شخصين ادَّعيا أمرًا: أحدهما صادق والآخر كاذب ـ لابد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة ، إذ الصدق مستلزم للبر ، والكذب مستلزم للفجور ، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال : « **عليكم بالصدق، فإن الصدق يَهدي إلى البر، وإن البر يَهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يَهدي إلى الفجور. وإن الفجور يَهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذابًا** » « صحيح » . ولهذا قال تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاك أَثِيم * يُلْقُونَ السَّمْعَ وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء : ٢٢١ـ ٢٢٦]. فالكهان ونَحوهم ، وإن كانوا أحيانًا يُخبرون بشيء من المغيبات، ويكون صدقًاـ فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يُخبرون به ليس عن ملَك ، وليسوا بأنبياء ...

• فمن عرف الرسول وصِدْقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله ـ علم علمًا يقينًا أنه ﷺ ليس بشاعر ولا كاهن .

• والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة ، حتى في المدعي للصناعات والمقالات ، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة ، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك . والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف الرسول بِها ، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال . فكيف يشبه الصادق فيها بالكاذب ؟!...

• ونَحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم ـ علمنا يقينًا أَنَّهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة: منها: أَنَّهم أخبروا الأمم بِما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لَهم . ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، ـ كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم ـ عُرف صدق الرسل. ومنها: أن من عَرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنه أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم ـ ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بَرٍّ يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق .

• ـ هذا ، ـ ولذكر دلائل نبوة محمد ﷺ من المعجزات وبسطها موضع آخر ، وقد أفردها الناس بمصنفات ، كالبيهقي وغيره [١٢] ...

• ـ وهذا ، ـ وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول ، وأحسنها أن من

(١٢) وَأَصَحُّ كتابٍ في هذا الباب كتابُ : « الصحيح الْمُسْنَدُ من دلائل النبوة » ، للشيخ الفاضل مُقبل بن هادي رحمه الله تعالى ونَفَعَ به .

نبأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي رسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي وليس برسول ، فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً (١٣) ...

[٣٠] قوله : (وأنه خاتم الأنبياء) .

● ش : قال تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ...، ولمسلمٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « **فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ : أُعطيتُ**

---

(١٣) ● وهذا القول في التفريق بين تعريف النبيِّ والرسول يخالف آيات كثيرةً في القرآن ، فَمنْ ذلك :

● قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ من رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى... ﴾ [الحج : ٥٢].

● وقوله عز وجل : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا من نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ❊ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ❊ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف : ٦ – ٨] .

● فهذه الآياتُ المباركات تنصُّ على ما مفادُهُ أنَّ النبيَّ يُرْسَلُ إلى الناس ، ومعلوم أنَّ مَنْ كان شأْنُهُ هكذا أنه يأمر قومه أَوْ مَنْ أُرْسِلَ إليهم بما معه من الوحي والتوحيد الذي أرسله الله عز وجل به إليهم ، ويدل على ذلك صراحةً بقية الآيات إذْ فيها عقوبة مَنْ أُرْسل إليهم على تكذيبهم أو استهزائهم بالْمُرْسَلِ إليهم ، فهذا يدلُّ على أنه قد قام بتبليغ ما معه إليهم وردِّهم إيَّاهُ !!

● هذا ، وقد قال شيخنا العلامة الألبانيُّ في كُتَيِّب : « العقيدة الطحاوية : شَرْحٌ وتعليقٌ » ، وذلك في الحاشية رقم [١] منْ ص : [٢٢] :

« اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ رسول نَبِيٌّ . وليس كُلُّ نبيٍّ رسولاً ، وقد ذكروا فروقًا بين الرسول والنبيِّ...، وَلَعَلَّ الأَقْرَبَ : أَنَّ الرَّسولَ مَنْ بُعِثَ بشرعٍ جديد ، والنبيَّ مَنْ بُعِثَ لتقرير شَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ ، وهو بالطبع مأْمُور بتبليغه ، إذْ من المعلوم أنَّ العلماءَ مأمورون بذلك ، فَهُمْ ـ أي: الأنبياء ـ بذلك أولى، كما لا يخفى » اهـ.

● قلتُ : ويشير إلى ذلك قَوْلُهُ تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا... الآية ﴾ [المائدة : ٤٤] .

● ولكن يبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أنَّ الجزم بشيءٍ ما في بيان التفريق المذكور يحتاج إلى مَزِيدِ بحثٍ ونَظَرٍ ، وإنْ كان ما ذكره شيخنا هو ـ حتى الآن ـ الأقربُ عندي مِنْ غَيْرِهِ ، وبالله تعالى التوفيق .

جوامع الكلم ، ونصرتُ بالرُّعب ، وأُحلَّت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة ، وخُتم بِي النبيون » . «صحيح»

[٣١] قوله : (وإمام المتقين) .

• ش : هو ﷺ : الإمام الذي يؤتم به ، أي : يقتدون به . والنبي ﷺ إنّما بعث للاقتداء به ، لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] . وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء .

[٣٢] قوله : (وسيد المرسلين) .

• ش : قال ﷺ ... في أَوَّلِ حديث الشفاعة – الذي في الصحيح -: « **أنا سَيِّدُ الناس يوم القيامة** » ... « صحيح »

• وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم ، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره ، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله ، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء ، صلى الله عليهم أجمعين (١٤)...

[٣٣] قوله : (وحبيب رب العالمين) .

• ش : ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة ، وهي الخُلَّةُ ، كما صح عنه

(١٤) • وقد ذكر الْمُؤلِّفُ في أصل هذا المختصر هنا : بَعْضَ الأحاديث التي قد يَفْهَمُ البعضُ منها ما ينافي تفضيلَ النبيِّ ﷺ على بعض الأنبياءِ أو التفضيلَ بين الأنبياءِ أَصْلاً :

• ثم رَدَّ عليها وَفَنَّدَهَا وبين سبيل الجمع بينها بما لا يعارضُ تفضيله ﷺ على كل الأنبياءِ والمرسلين .

• فراجعه إن شئتَ الوقوف على ذلك ، وراجع ـ أيضًا ـ :

١ـ « شرح مسلم » للنووي [١٥/٣٧-٣٨] .

٢ـ « فتح الباري » [٦/٤٤٦] وغيرَهما .

ﷺ أنه قال: « **إن الله ـ تعالى ـ قد اتَّخذني خليلاً كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً** ». وقال : « **ولو كنت متخذًا مِنْ أهل الأرض خليلاً لاتَّخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن** » . « صحيح »

• والحديثان في الصحيح ، وهما يبطلان قول مَنْ قال : الخلةُ لإبراهيم والمحبةُ لمحمد ، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه !!...، والمحبة قد ثبتت لغيره ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ٧٦]. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فبطل قول من خصَّ الخُلة بإبراهيم والمحبة بمحمد ، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة...، والخلة هي المحبة التِي تَخَلَّلَتْ روح الْمُحِبِّ وَقَلْبَهُ...

• واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بِجلال الله تعالى وعظمته ، كسائر صفاته تعالى ...

[٣٤] قوله : (وكل دعوى النبوة بعده فغَيٌّ وَهَوَى) .

• ش : لما ثبت أنه خاتم النبيين ، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب ...، والغي : ضد الرشاد . والهوى : عبارة عن شهوة النفس . أي : أن تلك الدعوى بسبب هوى النفس ، لا عن دليل ، فتكون باطلة .

[٣٥] قوله: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى ، وبالنور والضياء) .

• ش : أما كونه مبعوثًا إلى عامة الجن ، فقال تعالى حكاية عن قول الجن ﴿ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ** ﴾ [الأحقاف : ٣١] ، الآية . وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا...، وظاهر قوله تعالى حكايةً عن الجنِّ:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى ﴾ [الأحقاف : ٣٠] ، الآية-: تدل على أن موسى مرسلٌ إليهم أيضًا . والله أعلم...

• وأما كونه مبعوثًا إلى كافة الورى ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ... ، وقال ﷺ : « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ، ولم تَحِلّ لأحدٍ قبلي ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة » ، أخرجاه في« الصحيحين » ...، « صحيح » وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافةً معلومٌ مِنْ دين الإسلام بالضرورةِ...

• وقوله : « بالحق والهدى وبالنور والضياء » . هذه أوصاف ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين والشرع المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة . والضياء : أكمل من النور ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس : ٥] .

---

[٣٦] قوله : (وإنَّ القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية . فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر : ٢٦] فلمَّا أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٦] _ علمنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قولَ البشرِ) .

• ش : هذه قاعدة شريفة ، وأصل كبير من أصول الدين ، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس . وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدِّلةُ من الكتاب والسنة لمن تدبرها ، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة .

• ـ هذا ، ـ وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوالٍ ، ـ منها ـ :

• أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه ، وهذا قول المعتزلة ، ـ ومنها ـ:

• أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره، ـ ومنها : ...

• أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره ، وهذا قول أبي منصور الماتريدي . ـ ومنها : ...

• أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا ، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة ...

• وقوله : « كلام الله منه بَدَا بلا كيفية قولاً » : رَدٌّ على المعتزلة وغيرهم ، فإنَّ المعتزلة تزعمُ أنَّ القرآنَ لم يبدُ منه ، كما تقدَّم حكاية قولهم ، قالوا :

• وإضافته إليه إضافة تشريف ، كبيت الله ، وناقة الله ، يحرفون الكلام عن مواضعه ! وقولهم باطل . فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيانٌ، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف ، وهي مخلوقة له ، كبيت الله ، وناقة الله ،

بخلاف إضافة المعانِي ، كعلم الله ، وقدرته ، وعزته ، وجلاله ، وكبريائه ، وكلامه ، وحياته ، وعلوه ، وقهره ـ فإن هذا كله من صفاته ، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقًا .

• ـ هذا ، ـ والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال ، وضده من أوصاف النقص . قال تعالى : ﴿ **واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً** ﴾ [الأعراف : ١٤٨] . فكان عُبَّاد العجل ـ مع كفرهم ـ أعرف بالله من المعتزلة ، فإنَّهم لم يقولوا لموسى : وربك لا يتكلم أيضًا . وقال تعالَى عن العجل أيضًا : ﴿ **أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ولا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا ولا نَفْعًا** ﴾ [طه : ٨٩] . فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل ...

• وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم . قال تعالى : ﴿ **سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ [يس : ٥٨] ...، وقد قال تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّه وأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ** ﴾ [آل عمران : ٧٧] فأهانَهم بترك تكليمهم ، والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم ، وهو الصحيح ، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار : ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين ، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً ، وقال البخاري في « صحيحه » : باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة ، وساق فيه عدة أحاديث . فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم . فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة. وأعلى نعيمها وأَفْضَلِه

الذي ما طابت لأهلها إلا به ...

• ـ هذا ، ـ وكثير من متأخِّري الحنفيَّةِ على أنه معنًى واحدٌ ...، فإنْ عُبِّرَ ـ عنه ـ بالعربية فهو قرآن ، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية فهو توراة ، فاختلفت العبارات لا الكلام . قالوا : وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازًا! وهذا كلامٌ فاسدٌ !!...

• والحق أن التوراةَ والإنْجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة ، وكلام الله تعالى لا يتناهى ، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء ، ولا يزال كذلك . قال تعالى : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [الكهف : ١٠٩] . وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [لقمان : ٢٧] ...

• ـ و ـ الطحاويُّ رحمه يقول : « كلام الله منه بَدَا » ، وكذلك قال غيره من السلف ...، فَمنْه بَدَا ، لا من بعض المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [الزمر : ١] . ﴿ **وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي** ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ [النحل: ١٠٢].

• وقوله : « بلا كيفية » أي : لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز ، « وأنزله على رسوله وحيًا » ، أي : أنزله إليه على لسان الْمَلَك ، فسمعه الملك جبرائيل من الله ، وسَمعه الرسول محمد ﷺ من الملك ، وقرأ على الناس . قال تعالى : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** ﴾ [الإسراء : ١٠٦]. وقال تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٥] ...

● وقوله : « وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا » : الإشارة إلى ما ذكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله ، أي هذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهم السلف الصالح ، وأن هذا حق وصدق .

● وقوله : « وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية » ، رد على المعتزلة وغيرهم بِهذا القول ظاهر . وفي قوله : «بالحقيقة» رد على من قال : إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنَّما هو الكلام النفساني ، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفسانِي ولم يتكلم به : أن هذا كلامٌ « حقيقةً » وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلمًا ، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ، ولكن عبارة عنه ليست هي كلامَ الله . كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بِها مقصوده ، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس ، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى . وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه ، وإن كان الله تعالى لا يسميه أحد « أخرس » ، لكن عندهم أن الملك فهم منه معنًى قائمًا بنفسه ، لم يسمع منه حرفًا ولا صوتًا ، بل فهم معنًى مجردًا ، ثم عَبَّرَ عنه ، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربِي !! ...

● ولا شك أن من قال : إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق ـ فقد كفر بخلق القرآن وهو لا يشعرُ ...

● وقوله : « ومن سَمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر » : لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله ، بل قال إنه كلام محمد أو غيره من

الخلق ، ملَكًا كان أوبشرًا ...

• وقوله : « ولا يشبه قولَ البشر » ، يعني : أنه أشرف وأفصح وأصدق . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] . وقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء : ٨٨] . الآية . وقال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [يونس : ٣٨] . فلما عجزوا ـ وهم فصحاء العرب ، مع شدة العداوة ـ عن الإتيان بسورة مثله ، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله . وإعجازه من جهة نظمه ومعناه ، لا من جهة أحدهما فقط ...

[٣٧] قوله : (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر ، فقد كفر ، فَمَنْ أَبْصَرَ هذا اعتبر . وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعَلِمَ أنه بصفاته ليس كالبشر) .

• ش : لما ذكر فيما تقدم أن القرآن كلام الله حقيقة ، منه بدا ، نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر ، نفيًا للتشبيه عقيب الإثبات ، يعني أن الله تعالى وإن وُصِفَ بأنه متكلم ، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا ، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ... ، وليس ما وصف به نفسَه ولا ما وصفه به رسولُهُ تشبيهًا ، بل صفاتُ الخالق كما يليق به ، وصفات المخلوق كما يليق به .

• وقوله : « فمن أبصر هذا اعتبر » أي : من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار .

[٣٨] قوله : (والرؤية حق لأهل الجنة ، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] **. وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ. ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) .**

● **ش :** المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية . وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة . وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وأهل الحديث ، وسائرُ طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة .

● وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شَمَّرَ إليها المشمِّرُون ، وتنافس ـ فيها ـ المتنافسون ، وحُرِمَها الذين هم عن ربِّهم محجوبون ، وعن بابه مردودون .

● وقد ذكر الشيخ رحمه الله من الأدلة قَوْلَهُ تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣] . وهي من أظهر الأدلة ...،

فإن النظر له عدة استعمالات ، بِحسب صلاته وتعديه بنفسه : فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والانتظار : ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾ [الحديد: ١٣]. وإن عدي بـــ«في» فمعناه : التفكر والاعتبار ، كقوله : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٤]. وإن عدي بـــ«إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** ﴾ [الأنعام :

٩٩]. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟...، وقال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، قال : من النعيم، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال : تنظر إلى ربِّها نظرًا ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث. وقال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥]. قال الطبري : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل . وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، فالحسنى : الجنة ، والزيادة : هي النظر إلى وجهه الكريم ، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده ، كما روى مسلم في « صحيحه » عن صهيب ، قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النارَ ، نادى منادٍ : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقّل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة** » ... « صحيح »

● وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]. احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ....

● قال الشافعي : « لَمَّا أَنْ حُجب هؤلاء في السَّخط ، كان في هذا دليل على أنَّ أولياءَهُ يرونه في الرِّضَى » ...

● ـ هذا ، وأمَّا ـ قوله : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، فيدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بِحيث يُحاط به ، فإن « الإدراك » هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد

على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ** ﴾ [الشعراء : ٦١- ٦٢] ، فلم ينف موسى الرؤية، وإنَّما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك ، كما يعلم ولا يُحاط به علمًا ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية ، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية . بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه [١٥] .

• وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن . فمنها : حديث أبي هريرة : أن ناسًا قالوا: يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟** » قالوا: لا يا رسول الله ، قال: « **هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟** » قالوا : لا ، قال : « **فإنكم ترونه كذلك** »، الحديث، أخرجه في «الصحيحين» بطوله. « صحيح » وحديث أبي سعيد الخدري أيضًا في « الصحيحين » نظيره ...، « صحيحان » وحديث صهيب المتقدم ، رواه مسلم وغيره ...، ومن حديث عدي بن حاتم : « **وليلقَيَنّ الله أحدُكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه حجاب ولا تُرْجُمَان يترجم له** » ...، « صحيح » أخرجه البخاري في « صحيحه » ...

---

(١٥) • وكذلك السماءُ والأرضُ والبحرُ ، كلُّ هذه المخلوقات العظيمةِ يراها الرَّائي دون أنْ يُحيطَ بها ، ومع ذلك فالرائي لها يقولُ ـ ولا يكذِّبه أحَدٌ ـ : رأيتُ السماءَ .
رأيتُ الأرضَ . رأيْتُ البحرَ ، ولم يُدْركها بَعْدُ .

• فاللهُ تباركَ وتعالى أجَلُّ مِنْ أنْ يُحيط به نَظَرُ رائِيه .

• ومَنْ تأَمَّلَ في اسْمِه تعالى : « الكبير » ، ونظر في نصوص الكتاب والسنة الدَّالة على معناه ـ عند أهل السنة ـ عَلِمَ عِلْمَ اليقينِ أنه عز وجل أَجَلُّ مِنْ أنْ يُحَاطَ به رؤيةً !!

• ـ هذا ، ـ وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لا تشبيه المرئي بالمرئي ...

• وقوله : « بغير إحاطة ولا كيفية » هذا لكمال عظمته وبَهائه ، سبحانه وتعالى ، لا تدركه الأبصار ولا تُحيط به ، كما يُعلم ولا يُحاط به علمًا . قال تعالى : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .[١٦]

• وقوله : « وتفسيره على ما أراد الله وعلمه » ، إلى أن قال : « لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا » : أي : كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة والرؤية ، وذلك تَحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه ، فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة ، والفاسد الخالف له . فكل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق ، ولا معه قرينة تقتضيه ، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه ، إذ لو قصده لحفَّ بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ ، فإن الله أنزل كلامه بيانًا وهدى ، فإذا أراد به خلاف ظاهره ، ولم يَحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد ، لم يكن بيانًا ولا هدى . فالتأويل إخبار بمراد المتكلم ، لا إنشاء ...

• وحقيقة الأمر : أن قول القائل : نَحمله على كذا، أو: نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ عما وصله له ، فإن منازِعهُ لما احتج عليه به ولم يمكنه دفع وروده، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره ...

---

(١٦) وقد سبق قُبَيْلَ سطور كلامٌ جيد للمؤلِّف حول قوله تعالى : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ، فانظره مشكورًا .

• وقوله : « فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، ورَدَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه » أي : سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل ! والعقل أصل النقل !! فإذا عارضه قدمنا العقل !! وهذا لا يكون قط . لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك : فإن كان النقل صحيحًا فذلك الذي يدَّعي أنه معقول إنما هو مجهول ، ولو حقق النظر لظهر ذلك . وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة ، فلا يُتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدًا ...

• فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن نعارضه بِخيال باطل نسميه معقولاً، أو نَحمله شبهة أو شكًّا ، أو نقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانِهم ، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان ، كما نوحد المرسِل ـ عز وجل ـ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل ...

• ولا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

فعلى العبد أن يَجعل ما بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يَجب اتباعه ، فيصدق بأنه حق وصدق ، وما سواه من كلام سائر الناس يَعرضه عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه ـ يكون ذلك الكلام مجملاً لا يَعرف مراد صاحبه ، أو قد

عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه ـ فإنه يمسك عنه ، ولا يتكلم إلا بعلم ، والعلم ما قام عليه الدليل ، والنافع منه ما جاء به الرسول ، وقد يكون علمٌ من غير الرسول ، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة ، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ما أُخِذَ عن الرسول لا غير .

[٣٩] قوله : (ولا تثبت قَدَمُ الإسلام إلى ظهر التسليم والاستسلام) .

• ش : هذا من باب الاستعارة ، إذِ القَدَمُ الْحِسِّيُّ لا تثبتُ إلا على ظهر شيء . أي : لا يثبت إسلام من لم يسلّم لنصوص الوحيين ، وينقاد إليها ، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه . روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال : من الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم . وهذا كلام جامع نافع...

[٤٠] قوله : (فَمَنْ رام علمَ ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فَهْمُهُ ، حجبه مَرَامُهُ عن خالص التوحيد ، وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان) .

• ش : هذا تقرير للكلام الأولِ ، وزيادة تحذير أن يتكلم في أصول الدين ـ بل وفي غيرها ـ بغير علم . وقال تعالى : ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء : ٢٦] ...، وقال تعالى : ﴿ **ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ **إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ**

ومَا تَهْوَى الأَنفُسُ ولَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى ﴾ [النجم : ٢٣] . إلى غير ذلك من الآيات الدَّالة على هذا المعنى ...، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إِن أبغضَ الرجال إلى الله الألدُّ الْخَصِمُ** » . خرجاه في « الصحيحين » . « صحيح »

• ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده ، فإنه يقول برأيه وهواه ، ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله ، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول ، فإنه قد اتَّخذه في ذلك إلَهًا غير الله . قال تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [الفرقان : ٤٣] . أي : عبد ما تَهواه نفسه . وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق ، كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه :

«رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب وقد يُورث الذلَّ إدْمـانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب وخيْرٌ لِنَفْسِكَ عصيَانُـهَا
وهل أفسد الدين إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها» !!

• فالملوكُ الجائرةُ يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونَها بِها ، ويقدمونَها على حكم الله ورسوله . وأحبارُ السوء ، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائِهم وأقيستهم الفاسدة ، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله ، وتحريم ما أباحه ، واعتبار ما ألغاه ، وإلغاء ما اعتبره ، وإطلاق ما قيده ، وتقييد ما أطلقه ، ونحو ذلك . والرهبان وهم جهال المتصوفة ، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع ، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية . المتضمنة شرع دين لم ياذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ ، والتعوض عن حقائق الإيمان بِخدع

الشيطان وحظوظ النفس . فقال الأولون : إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة ، وقال الآخرون : إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل ! وقال أصحاب الذوق : إذا تعارض الذوق والكشف وظاهرُ الشرع قدمنا الذوق والكشف !!...

• وكلُّ مَنْ قال برأيه وذوقه وسياسته – مع وجود النص ، أو عارض النص بالمعقول – فقد ضاهى إبليس ، حيث لم يسلم لأمر ربه ، بل قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] . وقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١]. وقال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] . أقسم سبحانه بنفسه أنَّهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بِحكمه ويسلموا تسليمًا .

[٤١] قوله : (فيتذبذب بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار ، موسوسًا تائهًا ، شاكًا ، لا مؤمنًا مصدقًا ، ولا جاحدًا مكذِّبًا) .

• ش : يتذبذب : يضطرب ويتردد . وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم أو أراد أن يَجمع بينه وبين الكتاب والسنة ، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة ، فيئول أمره إلى الحيرة والضلال والشك ، كما قال ابن رشد الحفيد ، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتِهم، في

كتابه « تَهافت التهافت » : « ومن الذي قال في الإلهيات شيئًا يعتد به؟».
وكذلك الآمدي ، أفضل أهل زمانه ، واقف في المسائل الكبار حائر .
وكذلك الغزالي رحمه الله ، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية ، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ ، فمات والبخاري على صدره . وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه : « أقسام اللذات » :

« نِهاية إقـــدام العقول عِقال ... وغاية سعي العــالَمين ضَلالٌ
وأرواحنا في وَحشة من جسومنا ... وحاصـــل دنيانا أذًى ووبالُ
ولم نستفد من بَحثنا طول عمرنا ... سوى أن جَمعنا فيه : قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جَميعًا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علتْ شرفاتِها ... رجالٌ ، فزالوا والجبالُ جبالُ » :

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تَروي غليلاً ، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه : ٥] . ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ [فاطر: ١٠] . وأقرأ في النفي: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى: ١١] . ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه : ١١٠] ، ثم قال : « ومن جرَّب مثل تَجربتي عرَف مثل معرفتِي » ...

● وكذلك قال أبو المعالي الجويني : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نَهونِي عنه ، والآن فإن لم يتداركنِي ربِي برحمته فالويل لابن الجوينِي،

وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ، أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور...

• ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب. وقال الشافعي رحمه الله: حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بِهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننتُ مسلمًا يقوله، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نَهى الله عنه ـ ما خلا الشرك بالله ـ خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام. انتهى.

• وتَجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز ، فيقر بما أقروا به ، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك ، التي كان يقطع بِها ، ثم تبين له فسادها ، أو لم يتبين له صحتها ، فيكونون في نِهاياتِهم — إذا سلموا من العذاب — بمنْزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب ...

[٤٢] قوله : (ولا يصح الإيمانُ بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولها بفهم ، إذْ كان تأويلُ الرؤية ـ تأويل كل معنًى يُضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل، ولزومِ التسليمِ، وعليه دينُ المسلمين) [١٧].

• ش : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على المعتزلة ومن يقول بقولِهم

---

(١٧) في أصل هذا المختصر وَقَعَ هنا ما يلي : « وَمَنْ لَمْ يتوقَّ النفي والتشبيه ، زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ»، وقد حذفتُها هنا ـ من المتن ـ لكونِها مذكورةً بعدُ ـ على حِدَةٍ ـ في الفقرة رقم [٤٣] .

في نفي الرؤية ، وعلى من يشبه الله بشيء من مخلوقاته . فإن النبي ﷺ قال : « **إِنَّكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر** » الحديث : أدخل « كاف » التشبيه على « ما » المصدرية أو الموصولة بترونَ التي تتأول مع صلتها إلى المصدر الذي هو الرؤية ، فيكون التشبيه في الرؤية لا في المرئي . وهذا بَيِّنٌ واضحٌ في أن المراد إثبات الرؤية وتحقيقها ، ودفع الاحتمالات عنها . وماذا بعد هذا البيان وهذا الإيضاح ؟! فإذا سُلِّطَ التأويلُ على مثل هذا النص ، كيف يُستدل بنصٍّ من النصوص ؟! ... « صحيح »

● وقوله : « لمن اعتبرها منهم بوهم » ، أي : توهم أن الله تعالى يُرى على صفة كذا ، فيتوهم تشبيهًا ، ثم بعد هذا التوهم ـ إن أثبت ما توهمه من الوصف ـ فهو مشبه ، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم ـ فهو جاحد معطل . بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده ، ولا يعم بنفيه الحق والباطل ، فينفيهما ردًّا على من أثبت الباطل ، بل الواجب رد الباطل وإثبات الحق .

● وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله : « ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه ، زلَّ ولم يصب التنزيه »[(١٨)] ، فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أَنَّهم يُنَزهون الله بِهذا النفي ! وهل يكون التَّنْزيه بنفي صفة الكمال ؟ فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال ، إذ المعدوم لا يرى ، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة ، كما في العلم ، فإن نفي العلم به ليس بكمال ، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علمًا . فهو سبحانه

(١٨) انظر ـ لزامًا ـ التعليق السابق برقم [١٧] .

لا يحاط به رؤية ، كما لا يحاط به علمًا .

● وقوله : « أو تأولها بفهم » أي : ادعى أنه فهم لها تأويلاً يُخالف ظاهرها ، وما يفهمه كل عربي من معناها ، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل : أنه صرف اللفظ عن ظاهره ، وبهذا تسلط المحرِّفونَ على النصوص ، وقالوا : نَحن نتأول ما يُخالف قولنا ، فسموا التحريف : تأويلاً، تزيينًا له وزخرفةً ليقبل ، وقد ذم الله الذي زخرفوا الباطل ، قال تعالى : ﴿ وكَذَلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . والعبرة للمعاني لا للألفاظ . فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرفٌ عورض به دليل الحق . وكلامه هنا نظير قوله فيما تقدم : « لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا »[(١٩)] ...

● ثم أَكَّدَ هذا المعنى بقوله : « إِذْ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنًى يضاف إلى الربوبية ـ : بترك التأويل ، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين». ومراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً ، وهو تحريف . ولكن الشيخ رحمه الله تأدب وجادل بالتي هي أحسن ، كما أمر الله تعالى بقوله : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلاً ، ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة . وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة ، المخالفة لمذهب السلف ، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها ، وترك القول على الله بلا عِلْمٍ .

---

(١٩) وذلك عند الفقرة رقم [١٧] .

• ـ هذا ، و ـ من التأويلات الفاسدة: تأويلُ أدلة الرؤية ، وأدلة العُلُوِّ، وأنه لم يكلِّمْ موسى تكليمًا ، و لمْ يتخذ إبراهيم خليلاً !!...

• والتأويل في كتاب الله وسنة رسوله هو : الحقيقة التي يئول إليها الكلامُ ...، قال الله تعالى : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾ [الأعراف : ٥٣] . ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله: ﴿ **هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ** ﴾ [يوسف : ١٠٠] . وقوله : ﴿ **وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف : ٦] . وقوله : ﴿ **ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء : ٥٩] . وقوله : ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف : ٧٨] ، إلى قوله : ﴿ **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف : ٨٢] . فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل ...

• والتأويل في كلام كثير من المفسرين ، كابن جرير ونحوه ، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالف ، وهذا اصطلاح معروف . وهذا التأويل كالتفسير ، يُحمد حقه ، ويُرَدُّ باطله ...

• والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين : هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك ...: فالتأويل الصحيح منه : الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد : وهذا مبسوط في موضعه ...

[٤٣] قوله : (ومَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ والتَّشْبِيهَ ، زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ) .

• ش : النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب ، فإن أمراض

القلوب نوعان : مرض شبهة ، ومرض شهوة ، وكلاهما مذكور في القرآن ، قال تعالى: ﴿ **فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فهذا مرض الشهوة ، وقال تعالى : ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** ﴾ [البقرة : ١٠] . وقال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ** ﴾ [التوبة : ١٢٥] . فهذا مرض الشبهة، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذ مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة ، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته :

• والشبهة التي في مسألة الصفات نفيها وتشبيهها ، وشبهة النفي أردأ من شبهة التشبيه ، فإن شبهة النفي رَدٌّ وتكذيبٌ لما جاء به الرسول ﷺ ، وشبهة التشبيه غلوٌّ ومجاوزةٌ للحد فيما جاء به الرسول ﷺ :

• وتشبيه الله بخلقه كفرٌ ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى : ١١]، ونفي الصفات كفرٌ ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١]...

[٤٤] قوله: (فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلاَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ) .

• ش : يشير الشيخ رحمه الله إلى أن تنْزيه الرب تعالى هو وصفه كما وصف نفسه نفيًا وإثباتًا ، وكلام الشيخ هنا مأخوذ من معنى سورة الإخلاص ، فقوله : « موصوف بصفات الوحدانية ». مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ وقوله : « منعوتٌ بنعوت الفردانية » ، من قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾. وقوله: «ليس في معناه أحد من البرية»: من قوله تعالى : ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ . وهو أيضًا مؤكد لما تقدم من

إثبات الصفات ونفي التشبيه ، والوصف والنعت مترادفان، وقيل: متقاربان ، فالوصف للذات ، والنعت للفعل ، وكذلك الوحدانية والفردانية . وقيل في الفرق بينهما : إن الوحدانية للذات ، والفردانية للصفات ، فهو تعالى متوحد في ذاته ، متفرد بصفاته ، وهذا المعنى حقٌّ ، ولم ينازع فيه أحد ، ولكن في اللفظ نوع تكرير ، وللشيخ رحمه الله نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة ، وقوله تعالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] أكمل في التنزيه من قوله : « ليس في معناه أحدٌ من البرية » .

[٤٥] قوله: (وتَعالَى عَنِ الْحُدُودِ والْغَايَاتِ، والأَرْكَانِ والأَعْضاءِ والأَدَوَاتِ، لا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المبتدعات) .

● ش : أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشيخ رحمه الله مقدمة ، وهي : أن للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال :

● فطائفةٌ تنفيها ، وطائفة تثبتها ، وطائفة تفصل ، وهم المتبعون للسلف ، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتَها إلا إذا بين ما أثبت بِها ، فهو ثابت ، وما نفي بِها ، فهو منفي ، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيما إجمالٌ وإِبْهامٌ ، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية ، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي ، ولِهذا كان النفاة ينفون بِها حقًّا وباطلاً ، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به ، وبعض المثبتين لَها يدخل فيها معنى باطلاً مخالفًا لقول السلف ، ولما دل عليه الكتاب والميزان ، ولم يرد نصٌّ من الكتاب ، ولا من السُّنَّة بنفيها ولا إثباتِها ، وليس لنا أن نصف الله تعالى بِما لم يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا ، وإنَّما نحن متبعون لا مبتدعون :

• فالواجب أن ينظر في هذا الباب ، أعني باب الصفات ، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والألفاظ التي ورد بِها النص يعتصم بِها في الإثبات والنفي ، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعانِي ، وننفي نصوصهما من الألفاظ والمعاني :

• وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتُها ، لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها ، فإن كان صحيحًا ، قُبِلَ ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة ، مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يُخاطب بِها ، ونَحو ذلك :

• والشيخ رحمه الله تعالى أراد الرد بِهذا الكلام على المشبهة ، كداود الجواربِي وأمثاله القائلين : إن الله جسم ، وإنه جثة وأعضاء ، وغير ذلك ! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا !!

• فالمعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله من النفي الذي ذكره هنا حقٌّ ، ولكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقًّا وباطلاً ، فيحتاج إلى بيان ذلك ، وهو :

• أنَّ السلف متفقون على أنَّ البشر لا يعلمون لله حدًّا ، وأنَّهم لا يحدون شيئًا من صفاته . قال أبو داود الطيالسي : كان سفيان وشعبة وحماد ابن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة ـ لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون ، يروون الحديث ولا يقولون : كيف ، وإذا سئلوا قالوا بالأثر . وسيأتي في كلام الشيخ : « وقد أعجز خلقه عن الإحاطة به » . فعلم أن مراده أن الله يتعالى عن أن يحيط أحدٌ بحدِّه ، لأن المعنى أنه متميز عن خلقه

منفصل عنهم مباينٌ لهم . سئل عبد الله بن المبارك : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على العرش ، بائن من خلقه ، قيل : بِحدٍّ ؟ قال : بِحدٍّ ، انتهى . ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره ، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه ، ولا قائم بِهم ، بل هو القيوم القائم بنفسه ، المقيم لما سواه . فالحد بِهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته .

● وأما الحدُّ بمعنى العلم والقول ، وهو أن يَحده العباد ، فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة . قال أبو القاسم القشيري في «رسالته» : سَمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، سَمعت أبا منصور بن عبد الله ، سَمعت أبا الحسن العنبري ، سمعت سهل بن عبد الله التستريُّ يقول ، وقد سئل عن ذات الله فقال : ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدرَكة بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موجودة بِحقائق الإيمان ، من غير حدٍّ ولا إحاطة ولا حلولٍ ، وتراه العيون في العقبى ، ظاهرًا في ملكه وقدرته ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلَّهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعيون لا تدركه ، ينظر إليه المؤمن بالأبصار ، من غير إحاطة ولا إدراك نِهاية .

● وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات ـ فيستدل بِها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية : كاليد والوجه ...، قال تعالى : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص : ٧٥] . ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [القصص : ٨٨]. ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن : ٢٧]...

• ـ هذا ، ـ ولا يصحُّ تأْويلُ من قال : إن المراد باليد : بالقدرة ، فإن قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] . لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد ، ولو صح ذلك لقال إبليس : وأنا أيضًا خلقتني بقدرتِك ، فلا فضل له عليَّ بذلك. فإبليس ـ مع كفره ـ كان أعرف بربه من الجهمية!!...

• ولكن : لا يقال لِهذه الصفات إنَّها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان ...، فالألفاظ الشرعية صحيحة المعانِي ، سالمة من الاحتمالات الفاسدة ، فكذلك يجب أن لا يُعدل عن الألفاظ الشرعية نفيًا ولا إثباتًا ، لئلا يثبت معنى فاسد ، أو ينفى معنى صحيح . وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة لِلْمُحقِّ وَالْمُبْطِلِ .

• وأما لفظ الجهة ، فقد يراد به ما هو موجود ، وقد يراد به ما هو معدوم ، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق ، فإذا أريد بالجهة أمر « موجود » غير الله تعالى كان مخلوقًا ، والله تعالى لا يحصره شيء ، ولا يُحيط به شيء من المخلوقات ، تعالى الله عن ذلك . وإن أريد بالجهة أمر عدمي ، وهو ما فوق العالم ، فليس هناك إلا الله وحده . فإذا قيل : إنه في جهة بِهذا الاعتبار ، فهو صحيح ، ومعناه : أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع ، عالٍ عليه .

• وقول الشيخ رحمه الله: «لا تَحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» هو حق ، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته ، بل هو محيط بكل شيء وفوقه . وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ رحمه الله ، لما يأتي في كلامه : أنه تعالى : « محيط بكل شيء وفوقه »[٢٠] . فإذا جمع بين كلاميه ، وهو قوله : «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات»، وقوله: «محيط بكل شيء

(٢٠) وذلك عند الفقرة رقم [٦١] .

وفوقه» عُلم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء ، ولا يحيط به شيء ، كما يكون لغيره من المخلوقات ، وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء ، العالي عن كل شيء .

● لكن بقي في كلامه شيئان :

أحدهما : أن إطلاق مثل هذا اللفظ، مع ما فيه من الإجمال والاحتمال، كان تركه أولى ، وإلا تسلط عليه ، وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو ، وإن أجيب عنه بما تقدم ، من أنه إنَّما نفى أن يَحويه شيء من مخلوقاته ، فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى .

الثاني : أن قوله : « كسائر المبتدعات » يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محويٌّ ، وفي هذا نظر . فإنه إن أراد أنه محوي بأَمر وجودي، فممنوع ، فإن العالم ليس في عالم آخر ، وإلا لزم التسلسل . وإن أراد أمرًا عدميًّا، فليس كل مبتدع في العدم، بل منها ما هو داخل في غيره، كالسموات والأرض في الكرسي، ونحو ذلك، ومنها ما هو منتهى المخلوقات، كالعرش . فسطح العالم ليس في غيره من المخلوقات ، قطعًا للتسلسل ، كما تقدم . ويمكن أن يجاب عن هذا الإشكال ، بأن : « سائر » بمعنى البقية ، لا بمعنى الجميع، هذا أصل معناها ، ومنه « السُّؤر »، وهو ما يبقيه الشارب في الإناء. فيكون مراده غالب المخلوقات، لا جميعها، إذ «السائر» على الغالب أدل منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله تعالى غير محويٍّ كما يكون أكثر المخلوقات محويًّا، بل هو غير محويٍّ بشيءٍ، تعالى الله عن ذلك!!...

---

[٤٦] قوله : (والمعراجُ حقٌّ ، وقد أُسْرِيَ بالنبي ﷺ وعُرِجَ بشخصه في اليقظة، إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ،

وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى. فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى).

● ش : « المعراج » : مفعال ، من العروج ، أي : الآلة التي يعرج فيها، أي : يُصعد ، وهو بِمنْزلة السُّلَّم ، لكن لا يعلم كيف هو ، وحكمه كحكم غيره من المغيَّباتِ ، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته .

● وقوله : وقد أُسري بالنبي ﷺ وعُرِجَ بشخصه في اليقظة — اختلف الناسُ في الإسراء :

● فقيل : كان الإسراءُ بروحه ولم يُفْقَدْ جسده ...، وقيل : كان الإسراءُ مرتين ، مرةً يقظةً ، ومرةً منامًا ، و... منهم مَنْ قال : بل كان مرتين ، مرة قبل الوحي ، ومرة بعده ، ومنهم مَنْ قال : بَلْ ثلاثَ مرَّاتٍ ، مرة قبل الوحي ، ومرتين بعده ... :

● ـ و ـ الذي عليه أئمة النقل : أن الإسراء كان مرة واحدة بِمكة ، بعد البعثة قبل الهجرة بسنة ، وقيل : بسنة وشهرين ، ذكره ابن عبد البر . قال شمس الدين ابن القيم : «يا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مرارًا ! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا ، فيقول : « أمضيتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عبادي » ، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها إلى خمس ؟! ...» . انتهى كلام الشيخ شَمس الدين رحمه الله . « صحيح »

● وكان من حديث الإسراء : أنه ﷺ أُسري بِجسده في اليقظة ، على الصحيح ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، راكبًا على البراق ، صحبة جبرائيل عليه السلام ، فنَزَل هناك ، وصلى بالأنبياء إمامًا ، وربط

البراق بِحلقة باب المسجد ...، ثم عرج من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا ، فاستفتح له جبرائيل ، ففتح لَهما ، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه ، فرحب به وردَّ عليه السلام ، وأقرَّ بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء الثانية . فاستفتح له ، فرأى فيها يَحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ، فلقيهما ، فسلم عليهما ، فردَّا عليه السلام ، ورحبا به ، وأقرا بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، فرأى فيها يوسف ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء الرابعة ، فرأى فيها إدريس ، فسلم عليه ، ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة ، فرأى فيها هارون ابن عمران ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء السادسة ، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم عرج به إلى السماء السابعة ، فلقي فيها إبراهيم ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم رفع إلى سدرة المنتهى ، ثم رفع البيت المعمور ، ثم عرج به إلى الجبَّار ، جل جلاله وتقدَّستْ أسماؤُهُ ...، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قال: بِخمسين صلاة ، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرئيل كأنه يستشيره في ذلك ، فأشار أن : نعم ، إن شئت ، فعلا به جبرئيل حتى أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه — هذا لفظ البخاري في « صحيحه » ، وفي بعض الطرق — فوضع عنه عشرًا ، ثم نزل « صحيح » حتى مر بموسى ، فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسْأله التخفيف ، فلم

يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى ، حتى جعلها خمسًا ، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال : قد استحييت من ربِّي ، ولكن أرضَى وأسلِّم ، فلما نفذ، نادى مناد : « **قد أمضيتُ فريضتي وخفَّفْتُ عن عبادي** » . « صحيح »

● ـ هذا وقد عُلِمَ واشتهر ـ اختلافُ الصحابة في رؤيته ﷺ رَبَّهُ عز وجل بعين رأسه :

● و... الصحيح أنه ـ ﷺ قد ـ رآه بقلبه و لمْ يَرَهُ بعين رأسه(٢١) .

● ـ هذا ، ـ وممَّا يدلُّ على أنَّ الإسْرَاءَ بجسده ـ كان ـ في اليقظة: قولُهُ تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾ [الإسراء : ١] . والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح ، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح ، هذا هو المعروف عند الإطلاق ، وهو الصحيح . فيكون الإسراء بِهذا المجموع ، ولا يمتنع ذلك

---

(٢١) ● ومن الأدلة على أنه ﷺ لَم يَرَ ربَّه عز وجل بعَيْنَي رأْسِهِ ما :

● أخرجه مسلم [١٧٨] وغيره عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّكَ ؟ قال: « **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ** » :

● ففيه أنه ﷺ قد رأى النور ، وأَمَّا الله عز وجل فلا ، ولهذا قال ﷺ : « **أَنَّى أَرَاهُ** » ، أي : كيف أَرَاهُ عز وجل وبيني وبينه النورُ :

● هذا ، وهذا النور هو الحجاب الذي بين الخلق وربِّهم عز وجل ، وقد ورد ذِكْرُهُ ـ صراحةً ـ عنه ﷺ :

● ففي « صحيح مسلم » [١٧٩] وغيرِه عن أبي موسى الأشعريِّ قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « **إنَّ الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أنْ ينام . يَخْفِضُ القسط ويرفعه . يُرْفَعُ إليه عمل الليل قبل عملِ النهار . وعمل النهار قبل عمل الليل . حِجَابُهُ النورُ . لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** » .

عَقْلاً [٢٢] ...

● فإن قيل : فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً ؟ فالجواب ـ والله أعلم ـ : أن ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سألته قريشٌ عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عِيرِهم التي مر عليها في طريقه ، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حَصَل ذلك ، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أَخبرهم عنه ، وقد اطَّلعوا على بيت المقدس ، فأَخبرهم بنعته [٢٣] . « صحيح »

● وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره ، وبالله التوفيق .

---

(٢٢) ● ومن الأدلة الجلية على كونه ﷺ أُسْرِي به بِجسده في اليقظة ما :

● أخرجه البخاري [٣٨٨٦ ـ ٤٧١٠] ومسلم [١٧٠] وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « **لَمَّا كَذَّبَتْنِي قريشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلاَ اللهُ لي بيت المقدس . فَطَفِقْتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه** » ، وقد توسعت في تخريجه في كتابي « تهذيب معارج القبول » عند رقم [٣٣١] .

● فهذا الحديث دليل على ما سبق ، وإلا فما وجه تكذيب قريش له ﷺ لو كان ﷺ قد أخبرهم بأنه أُسري به بروحه في المنام ؟ ، فتأمَّلْ .

(٢٣) ● وَمِنْ حكمة الإسراء إلى بيت المقدس ـ أيضًا ـ : إظهارُ عظيم فضله وجلالة مكانته عند الله تعالى ، وقد أشار القرآنُ إلى ذلك حيث قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ الآية . [الإسراء : ١] ، فذكر سبحانه وتعالى أنه مباركٌ وأنَّ ما حوله مباركٌ أيضًا :

● هذا ، ومن الأدلة البينة ـ أيضًا ـ على بيان فضله وجلالته : أنه كان قبلةَ المسلمين ، وذلك قبل أنْ تستقرَّ القبلةُ إلى الكعبة ، والأحاديث الدالة على ذلك في « الصحيحين » وغيرهما .

● فالله تعالى نسألُ أن يُحرِّرَ هذا البيت الجليل من أيدي اليهود إخوان القردةِ والخنازير !!

[٤٧] قوله : (والحوض - الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته - حق) .

● ش : الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة بضعٌ وثلاثون صحابيًّا ...، فمنها :

● ما رواه البخاريُّ رحمه الله تعالى ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نُجوم السماء** » ... « صحيح »

● وروى الإمامُ أحمدُ عن أنس بن مالك ، قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ، فرفع رأسه مبتسمًا ، إما قال لهم ، وإما قالوا : لم ضحكتَ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة ، فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾** [الكوثر : ١] » ، حتى ختمها ، ثم قال لهم : « **هل تدرون ما الكوثر ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **هو نَهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة ، عليه خير كثير ، ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، يختلج العبد منهم ، فأقول : يا رب ، إنه من أمتي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** » . « صحيح » ورواه مسلم ، ولفظه : « **هو نَهر وعدنيه ربِّي ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة** » « صحيح » ، والباقي مثله . ومعنَى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض ، والحوض في العرصات قبل الصراط ، لأنه يختلج عنه ، ويمنع منه ، أقوام قد ارتدُّوا على أعقابِهمْ ، ومثل هؤلاء لا يُجاوزون الصراط .

● وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي ، قال : سَمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنا فَرَطكم على الحوض** » . « صحيح » والفَرط : الذي

يسبق إلى الماء .

● وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ : « **إِنِّي فرطكم على الحوض ، من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم** ». قال أبو حازم(*) : فسمعني النعمان بن أبِي عياش فقال : هكذا سمعتَ من سهل ؟ فقلت: نعم . فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري . لسمعتُه وهو يزيد : « **فأقول : إِنَّهم من أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فقال : سُحْقًا سُحقًا لمن غيَّرَ بعدي** » ، سحقًا : أي : بُعْدًا . « صحيح »

● والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض : أنه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يُمَدُّ من شراب الجنة ، من نَهر الكوثر ....، وهو في غاية الاتِّساع ....، فسبحانَ الخالق الذي لا يعجزه شيءٌ !!...

● قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في « التذكرة » : واختلف في الميزان والحوض : أيُّهما يكون قبل الآخر ؟ فقيل : الميزان ، وقيل : الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل . قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم ، فيقدَّم قبل الميزان والصراط ، قال أبو حامد الغزالي رحمه الله ، في كتاب « كشف علوم الآخرة » : حكى بعض السلف من أهل التصنيف ، أن الحوض يورد بعد الصراط ، وهو غلط من قائله . قال القرطبي : هو كما قال ...

● فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض ، وأخلقْ بِهم أنْ يُحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر .

(*)وهو راوي هذا الحديث عن سَهْلٍ .

[٤٨] قوله : (والشفاعة التي ادخرها لهم حق ، كما روي في الأخبار) .

● ش : الشفاعة أنواع : منها ما هو متفق عليه بين الأمة ، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونَحوهم من أهل البدع .

● ـ فَمِنْ أنواعها ـ : الشفاعة الأولى ، وهي العظمى ، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين. في « الصحيحين » وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين، أحاديث الشفاعة .

● منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « أُتيَ رسولُ الله ﷺ بلحمٍ، فَدُفِعَ إليه منها الذراعُ ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نَهسة ، ثم قال : **« أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لِمَ ذلكَ ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ـ يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغَمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ـ عز وجل ـ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، فيأتون آدم ـ ﷺ ـ فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نَحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم ـ عليه السلام ـ : إن ربِّي ـ عز وجل ـ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نَهانِي عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي، نفسي ـ نفسي ـ ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحًا ـ ﷺ ـ فيقولون: يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسَمَّاكَ الله**

عبدًا شكورًا ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح ـ ﷺ ـ : إن ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وأنه كانت لي دعوة ـ دعوت بِها ـ على قومي ، نفسي نفسي، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم، فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ـ اشفع لنا إلى ربك ـ ، ألا ترى ما نَحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول ـ لهم إبراهيم ـ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذباته ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ـ عليه السلام ـ فيأتون موسى : فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نَحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ـ عليه السلام ـ: إن ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ، وإنِّي قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، قال : هكذا هو ، وكلمت الناس في المهد ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نَحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ـ عليه السلام ـ : إن ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنبًا ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتونِي ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك ، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نَحنُ فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم ، فآتِي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربِّي عز وجل ، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمنِي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد ، ارفع رأسك، وَسَلْ تُعْطَه. واشْفَعْ تُشَفَّعْ . فأقول : يا رب

أُمَّتِي أمَّتِي ، يَا ربِّ أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي، ـ يا رب ـ فيقول : يا محمدُ : أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب ، ثم قال : والذي نفس ـ محمد ـ بيده ، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجَر أو كما بين مكة وبُصْرَى».

« صحيح » أخرجاه في « الصحيحين » بمعناه واللفظ للإمام أحمد ...

● ـ وَمِنْ أنواعها أيضًا ـ : شفاعتُهُ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة ، كما تقدم . وفي « صحيح مسلم » عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا أول شفيع في الجنة** » . « صحيح »

● ـ ومنها أيضًا ـ : شفاعته في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديثُ . وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته . وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا ...، ومِنْ أحاديث هذا النوع ... ما رواه البخاري رحمه الله ... عن مَعْبَدِ بن هلال العنْزي قال : اجتمعنا ناسٌ من أهل البصرة ، فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه ، يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره ، فوافقناه يصلي الضحى ، فاستأذنا ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه ، فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة ، فقال : يا أبا حمزة ، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة ، جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ ، قال : « **إذا كان يوم القيامة ، ماج الناس بعضهم في بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه**

خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لَها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فيأتوني ، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربِّي فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بِها، لا تحضرنِي الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، وأخِرُّ له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك ، واشفع تُشفع ، وسل تعط ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال : يا محمد، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، واشفع تُشفَّع ، وسل تُعط ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجدًا ، فيقال : يا محمد، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمتي أمتي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنَى أدنَى مثقال حبة من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل » . قال : فلما خرجنا من عند أنس ، قلت لبعض أصحابنا : لو مررنَا بالحسن ، وهو متوارٍ في منْزل أبِي خليفة ، فحدثناه بِما حدثنا به أنس بن مالك ، فأتيناه ، فسلمنا عليه ، فأذن لنا ، فقلنا له : يا أبا سعيد ، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه ؟ فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع ، فقال : هيه ؟ فقلنا : لم يزد لنا على هذا ، فقال : لقد حدثني وهو جميعٌ ، منذ عشرين سنة، فما أدري ، أنسي أم كره أن تَتَّكلُوا ؟ فقلنا : يا أبا سعيد، فَحَدِّثْنَا ، فضحك وقال : خُلِقَ الإنسانُ عجولاً ! ما ذكرتُهُ إلا وأنا أريد أن

أحدثكم ، حدثني كما حدثكم به ، قال : « **ثم أعود الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخرُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَعْ ، وسَلْ تُعْطَه، واشفع تُشفَّع ، فأقول : يا رب ، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي ، لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله** » .

وهكذا رواه مسلم . « صحيح »

● وفي «الصحيح» مِنْ حديث أَبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا، قال : « **فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضةً من النار ، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط** » « صحيح » الحديث .

● ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال :

● فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم : يَجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا .

● والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعةَ نَبِيِّنَا ﷺ في أهل الكبائر !!.

● وأما أهلُ السنة والجماعةِ فَيُقرُّونَ بشفاعةِ نبيِّنا ﷺ في أهل الكبائر ، وشفاعةِ غيره ، لكنْ :

● لا يشفع أحدٌ حتى يأْذنَ اللهُ له ويَحُدَّ له حَدًّا ، كما في الحديث الصحيحِ ، حديثِ الشفاعةِ : « **إنَّهُم يأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى ، ثم عيسى ، فيقول لهم عيسى عليه السلام : اذهبوا إلى محمد ، فإنه عبدٌ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونِي ، فأذهب ، فإذا رأيت ربِي خررت له ساجدًا ، فأحمد ربِي بمحامد يفتحها علي، لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد ، ارفع رأسك ، وقُل يُسمع ، واشفع تشفع ، فأقول : ربِّي : أمتي ، فيحدُّ لي حدًّا ، فأدخلهم الجنة،**

ثم أنطلق فأسجد ، **فيحدُّ لي حدًّا** » . ذكرها ثلاث مرات ... « ص

● فالحاصلُ : أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر ، فالله تعالى وتر ، لا يشفعه أحدٌ ، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه ، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه ...، فالأمر كله لله . كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . وقال تعالى : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران : ١٢٨] . وقال تعالى : ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

[٤٩] قوله : (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حقٌّ) .

● ش : قال تعالى : ﴿ **وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

● أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بنِي آدم من أصلابِهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربُّهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو :

● وقد وردت أحاديث في أخذ الذريَّة من صلب آدمَ عليه السلام...، فمنها :

● ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « **يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنتَ مفتديًا به ؟ قال : فيقول : نعم ، قال : فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بِي شيئًا فأبيتَ إلا أن تشرك بِي** » . وأخرجاه في « الصحيحين » أيضًا . « صحيح »

● ـ هذا ، ـ واعلم أنَّ من المفسرين مَنْ لم يذكر ـ في هذه الآية ـ سوى القول بأنَّ الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم ...

● ومنهم مَنْ لَمْ يذكره ، بل ذكر أنه ـ عز وجل ـ نَصَبَ لهم من الأدلة على ربوبيته ووحدانيته ـ ما ـ شهدت بِها عقولهم وبصائرهم ... ـ مِنْ أنه عز وجل واحدٌ أَحَدٌ ، فصاروا بذلك موحدينَ بِهذه الفطرةِ التي فُطروا عليها بسبب هذا الميثاق ـ .

● ومنهم مَنْ ذكر القولينِ ـ جميعًا (٢٤) ـ ...

---

(٢٤) قال العلامة حافظ بن أحمد في كتابه : « معارج القبول » [١/ ٣٣] :

« ● ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة ، فإنَّ هذه المواثيق كلَّها ثابتةٌ بالكتاب والسنة :

● فالأوَّلُ : الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام ، وأشهدهم على أنفسهم : «**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ...**» . الآيات :

● وهو الذي قاله جمهور المفسِّرين رحمهم الله في هذه الآيات ،

● وهو نَصُّ الأحاديث الثابتة في « الصحيحين » ـ كحديث أنس ـ وغيرهما .

● ـ وأمَّا ـ الميثاق الثاني ـ فهو ـ ميثاق الفطرة ، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأوَّلِ كما قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...**﴾ الآية » ، وهو الثابت في حديث أبي هريرة ... ـ وغيره ـ من الأحاديث في «الصحيحين» وغيرهما ... » اهـ .

● قلت : وهذا الميثاق الذي ذكره ثانيًا هو في الحقيقة ثَمرة الميثاق الأوَّل .

● وأمَّا حديث أبي هريرة هذا فهو حديث : « ما مِنْ مَوْلودٍ إلاَّ يولد على الفِطْرَةِ ، فأبواهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِه أو يُمَجِّسَانِه ... » .

● وهو حديث صحيح ، رواه البخاري [١٣٥٩] ـ وفي مواضع أُخرى ـ ومسلم [٢٦٥٨] وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعًا :

● وفي رواية : « علَى المِلَّةِ » وفي أخرى : « على هذه المِلَّةِ » . وهاتانِ الروايتان عند مسلم ـ أيضًا ـ وسندهما صحيح أيضًا .

=

• ولا ريب : أَنَّ الآية لا تدلُّ على القول الأوَّلِ ، أعني : أنَّ الأخذَ كان من ظهر آدم، وإنَّما فيها أنَّ الأَخذَ من ظهور بنِي آدم، وإنَّما ذُكِرَ الأخذُ من ظهر آدم... في بعض الأحاديث ـ كحديثِ أنسٍ السابقِ ـ قريبًا ـ (٢٥) ...

• وفي الصحيح ـ أيضًا ـ زيادة صحيحة أخرى ، وهي : « ويُشرِّكانه » .

• ثم قال العلامة حافظٌ بعدُ : [١/ ٣٣-٣٤] :

« • ـ وأمَّا ـ الميثاق الثالث فهو : ما جاءَت به الرسلُ وأُنزلَتْ به الكتب : تجديدًا للميثاق الأوَّل وتذكيرًا به ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

• فَمَنْ أَدركَ هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك مِنْ أول مَرَّةٍ ولا يتَوَقَّفُ، لأنه جاءَ موافقًا لِمَا في فطرته وما جَبَلَهُ الله عليه فيزداد بذلك يقينُهُ ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد.

• ومَنْ أدركه وقد تغيرت فطرته عمَّا جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأوَّل بأنْ كان قد اجتالته الشياطينُ عن دينه وَهَوَّدَهُ أبواهُ أوْ نَصَّرَاهُ أو مَجَّسَاهُ فهذا إنْ تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدَّق بما جاءت به الرسلُ ونزلتْ به الكتب نَفَعَهُ الميثاق الأولُ والثاني ، وإنْ كَذَّبَ بهذا الميثاق ـ الثالث ـ كان مكذِّبًا بالأوَّل فلمْ ينفعه إقرارُهُ به يوم أخذه الله عليه حيث قال: «بلى» جوابًا لقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾: وقامت عليه حُجَّةُ الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذابُ، ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾... » اهـ المراد نَقْلُهُ مِنْ كلامه رحمه الله تعالى .

(٢٥) • كون الآية الكريمة هذه لا تدل على ذلك فيه نَظَرٌ ، بل هو قول غير مُعْتَبَرٍ ، وذلك :

• لأنَّهُ من المعلوم أنَّ المسائل الشرعية إنما تُعْلَمُ وتُعْرَفُ بالرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة معًا أو نصِّ أحدهما إذا لم يوجد فيهما مجتمعين مَعًا :

• وهذه المسألة التي نَحن بصددها قد ورد فيها نصُّ الكتاب مع نَصِّ السنة ـ كما في حديث أنس السابق قريبًا ونَحوه ـ ، وعليه : فيجب الجمع بين هذه النصوص الكريمة ما دام الجمعُ مُمْكنًا ، فإنْ أَمكن فحينئذ لا يجوز الأخذُ ببعض هذه النصوص ونَبْذ ما سواها ! :

• وعليه فالأخذ ـ من الله تعالى ـ كان أوَّلاً من ظهر آدم ـ كما في السُّنَّةِ ـ ثم كان بَعْدُ مُسَلْسَلاً من ظهور ذريته كما في الآية الكريمة ، ثم إنه ـ عند التأمل ـ قد نَصَّت الآية نفسها على ذلك :

• قال الإمامُ البغويُّ في « تفسيره » [٢/ ٢١٢] :

« فإنْ قيل: ما معنى قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾. وإنما أخرجهم من ظهر آدم ؟!: =

• وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول : حديثُ أنسٍ ـ السابقُ ـ المخرَّجُ في « الصحيحين »، الذي فيه: « **قد أردت منك ما هو أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بِي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بِي** » .

• ولكن قد روي من طريق أخرى : قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار ، وليس فيه : « في ظهر آدم »(٢٦). « صحيح »

• وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التِي ذكرها أصحاب القول الأوَّلِ (٢٧) ...

قيل : إنَّ الله أخرج ذرية آدم بَعْضهم من ظهور بعض على نَحو ما يتوالد الأبناءُ من الآباءِ في الترتيب ، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لِمَا علم أنَّهم كُلَّهم بنوه وأُخرجوه من ظهره . » اهـ .

(٢٦) • والإشارة من العلامة المؤلِّفِ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى غَمْزِ الحديث بلفظ : «في ظهر آدم» مِمَّا يُؤْخَذُ عليه وَمِمَّا لا يُسَلَّمُ له به ! :

• إذْ قد أخرجه هكذا الإمام أحمد [٣/١٢٧] ـ بسند صحيح ـ وغيره :

• وقد أخرجه الإمامانِ البخاري [١٣٣٤ ـ ٦٥٥٧] ومسلم [٢٨٠٥] وغيرهما هكذا : «في صُلْب آدم» ، وسند هذا اللفظ صحيح أيضًا :

• وكلا هذينِ اللفظين بمعنى الآخر تمامًا ، فإنَّ الصُّلْبَ هو ظهر الإنسان ، ـ ومنه قوله تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ** ﴾ ـ قاله قوم ، وقال آخرون هو : عَظْمٌ ذو فَقَارٍ في الظَّهْر ، وهذا القول الثاني أخصُّ ، والأول أعمُّ ، والقولان مجمعان على أنه في الظهر :

• وعليه فمن رَامَ قدحًا في صحة الحديث بلفظ : « في ظهر آدم » ـ وهيهات ـ لكونه ليس في « الصحيحين » والتِي فيها : « في صُلْبِ آدم » ، والله المستعان !!

• وانظر ـ للمزيد ـ أيضًا التعليق السابق برقم [٢٥] .

(٢٧) • نَعمْ لَمْ يُذْكَرْ صراحةً ولكنه قد ذُكِرَ ضِمْنًا بلا ريب إذْ :

• أيُّ معنى يؤخذ من هذا الحديث ـ مع انضمامه لمعنى الآية الكريمة ـ سوى : أنَّ الله عز وجل قد أخرج ذريةَ آدم من ظهره في هذا الوقت المبارك : وقتِ الميثاق الأولِ للبشرية بأَنْ لا تعبد إلاَّ ربَّها ومليكها ربَّ البريَّةِ ؟!!

• وانظر ـ لزامًا ـ التعليق السابق برقم [٢٥] والذي يليه .

● ـ هذا ، ـ ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري ، والشرك حادث طارئ ، والأبناء تقلدوه عن الآباء ، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونَحْنُ جرينا على عادتِهم كما يَجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن ، يقال لهم : أنتم كنتم معترفين بالصانع ، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له ، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم ، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلاَّ ...، فلِمَ عَدَلْتُمْ عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى : الشركِ ؟!!:

بل عدلتم عن المعلوم المتيقَّنِ ـ به ـ إلى : ما لا يُعلمُ له حقيقةٌ : تقليدًا لِمَنْ لا حجة معه ، ـ وذلك ـ بِخلاف اتِّباعهم في العادات الدنيوية ، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها ، وفيه مصلحة لكم ، بِخلاف الشرك ، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم عن الصواب !!...

[٥٠] قوله : (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ، وعدد من يدخل النار ، جملةً واحدةً ، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه . وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه) .

● ش : قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٧٥] . ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلاً وأبدًا ، لم يتقدم عِلْمُهُ بالأشياء جهالةٌ . وما كان ربك نَسِيًّا . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله ﷺ ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب**

الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، قال: فقال رجل: يا رسول الله ، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : « من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة » . ثم قال : « اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له ، أما أهل السعادة فييسَّرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى * وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى * وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل : ٥ ـ ١٠] ، خرجاه في « الصحيحين » . « صحيح »

[٥١] قوله : (وكل ميسر لما خُلِقَ له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سَعِدَ بقضاء الله ، والشقيُّ مَن شقِيَ بقضاء الله) .

● ش: تقدم ـ قريبًا ـ حديث عليٍّ رضي الله عنه وقولُه ﷺ ـ فيه ـ : « اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له » ، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » ، خرجاه في « الصحيحين » وزاد البخاري : « وإنما الأعمال بالخواتيم »، وفي « الصحيحين » أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال : حدثنا رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ : « إن أحدكم يُجمع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل

« صحيح » « صحيح »

الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . « صحيح »

• والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وكذلك الآثار عن السلف . قال أبو عمر بن عبد البر في « التمهيد » : « قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب ، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه ، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها ، وبالله العصمة والتوفيق » .

---

[٥٢] وقوله : (وأصل القدر سِرُّ الله تعالى في خلقه ، لم يطلِّع على ذلك ملكٌ مقرَّب ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . فمن سأل : لِمَ فَعَلَ؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين).

• ش : أَصْلُ القدرِ سِرُّ الله في خَلْقِهِ ، وهو كونه أوجد وأفنَى ، وأفقر وأغنَى ، وأمات وأحيا ، وأَضلَّ وهدى ...

• والنِّزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور .

• والذي عليه أهل السنة والجماعة : أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : ٤٩] . وقال تعالى : ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان : ٢] .

وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ، ولا يرضاه ولا يحبه ، فيشاؤه كونًا ، ولا يرضاه دينًا .

• وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة ، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ، ولكنَّ الكافر شاء الكفر ، فردوا إلى هذا لئلا يقولوا شاء الكفر من الكافر وعذَّبه عليه ! ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار ! فإنَّهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه ! فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى ، فإن الله قد شاء الإيمانَ منه ـ على قولهم ـ والكافر شاء الكفر ، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى !! وهذا من أقبح الاعتقاد ، وهو قول لا دليل عليه ، بل هو ـ باطل و ـ مخالف للدليل .

• وروى عمرو بن الهيثم قال : خرجنا في سفينة ، وصحبنا فيها قدري ومجوسي ، فقال القدري للمجوسي : أسلم ، قال المجوسي : حتى يريد الله ، فقال القدري : إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد ! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان ! هذا شيطان قوي !!

• وفي رواية أنه قال : فأنا مع أقواهما !!

• وَوَقفَ أعرابيٌّ على حَلْقَةٍ فيها عمرو بن عبيد ، فقال : يا هؤلاء إن ناقتي سُرِقت فادعوا الله أن يردَّها عليَّ ، فقال عمرو بن عبيد : اللهمَّ إنك لم تُرد أن تُسْرَق ناقته فسرقتْ ، فارددها عليه ! فقال الأعرابي : لا حاجة لي في دعائك ! قال : ولم ؟ قال : أخافُ ـ كما أراد أن لا تُسْرَقَ فسُرِقَتْ ـ أن يريد ردَّها فلا تُرَدُّ !!

• وقال رجل لأبِي عصام القسطلانِي : أرأيتَ إن منعنِي الهدى

وأوردني الضلال ثم عذَّبني ، أيكون منصفًا ؟ فقال له أبو عصام : إن يكن الْهدى شيئًا هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء .

● وأما الأدلة من الكتاب والسنة : فقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] . ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الدهر : ٣٠] . وقال تعالى:﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] . وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

● ـ هذا ، ـ ومنشأُ الضلالِ : من التسوية بين المشيئة والإرادة ، وبين المحبة والرضى ، فسوَّى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا : فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدَره ، فيكون محبوبًا مرضيًا . وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له ، فليست مقدَّرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه . وقد دلَّ على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتابُ والسنةُ والفطرةُ الصحيحةُ. أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها . وأما نصوص المحبة والرضى ، فقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. ﴿ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧] . وقال تعالى عقيب ما نَهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء : ٣٨] . وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ :

« إن الله كره لكم ثلاثًا: قِيلَ وقالَ ، وكثرة السؤالِ، وإضاعة المال». « صحيح »

● فإن قيل : كيف يريد الله أمرًا ولا يرضاه ولا يُحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكوِّنه ؟ وكيف يَجمع إرادته له وبغضه وكراهته ؟ قيل : هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقًا ، وتباينت طرقهم وأقوالهم . فاعلم أن المراد نوعان : مرادٌ لنفسه ، ومراد لغيره . فالمراد لنفسه ، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد . والمراد لغيره ، قد لا يكون مقصودًا لما يريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران : بغضه وإرادته ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما . وهذا كالدواء الكريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضو المتآكل ، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة ، إذا علم أنَّها توصل إلى مراده ومحبوبه . بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب ، وإن خفيت عنه عاقبته ، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية .

● فهو سبحانه يكره الشيء ، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سببًا إلى أمر هو أحبُّ إليه من فوقه . من ذلك :

● أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد ، وعملهم بِما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه ويرضاه .

● ومع هذا فهو وسيلة إلى محابٍّ كثيرةٍ للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أَحبُّ إليه مِنْ عَدَمِها ، منها :

• أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات ، التي هي أخبث الذوات وشرها ، وهي سبب كل شر ، في مقابلة ذات جبرائيل ، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها ، وهي مادة كل خير ، فتبارك خالق هذا وهذا . كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقبيح ، والخير والشر . وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه ، فإنه خلق هذه المتضادات ، وقابلها بعضها ببعض ، وجعلها محالَّ تصرفِه وتدبير ملكه ، ومنها :

• ظهورُ آثارِ أسْمائه القهرية ، مثل : القهار ، والمنتقم ، والعدل ، والضار ، والشديد العقاب ، والسريع العقاب ، وذي البطش الشديد ، والخافض ، والمذل [٢٨] .

---

(٢٨) • وبعض هذه الأسْماءِ التي ذكرها العلامة المؤلِّف ثم يثبت بِها نصٌّ من القرآن أو السنة الصحيحة ، وذلك مثل :

١ـ المنتقم . ٢ـ العدل . ٣ـ الضار . ٤ـ الخافض . ٥ ـ المذل :

• ولا ريب : أنَّ هذه الأسماء قد ثبَتَتْ مُشْتَقَّاتُها كصفاتٍ لله عز وجل ، إذ هو الذي ينتقم مِمَّن يشاء مِنْ عباده، وهو الذي يعدل بينهم ، وهو الذي يضر وينفع وحده ، وهو الذي يَخفض القسْط ويرفعه ، ويَخفض مَنْ يشاء ويرفع مَنْ يشاء ، وهو الذي يُذِلُّ مَنْ يشاء ويُعزُّ مَنْ يشاء :

• ولكن : ثبوت الصفة له عز وجل لا يعني ثبوتَ الاسم ـ على العكس ـ وذلك لأنَّ أسْماءَه سبحانه وتعالى توقيفية لابد فيها من ثبوت نَصٍّ من القرآن والسنة :

• نعم : هذه مسألة مختلف فيها ، والذي يبدو أنَّ العلامة المؤلِّفَ مال إلى مذهب مَنْ قال بِجواز تسميته عز وجل بكل ما هو مَدْحٌ وكمال وإنْ لم يرد به نصٌّ :

بَيْدَ أَنَّ الْمذهب الصحيح في ذلك هو مذهب مَنْ جَعل أسْماءَه عز وجل توقيفية :

• وانظر ـ للمزيد ـ كتاب : « القواعد المثلى ... » للشيخ العلامة ابن عثيمين .

● فإنَّ هذه الأسْماء والأفعال كمال ، لابد من وجود متعلقها ، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء . ومنها :

● ظهور آثار أسْمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسْماء لتعطلت هذه الأحكام والفوائد .

● وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله : « **لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم** » ـ رواه مسلم ـ ومنها : « صحيح »

● ظهور آثار أسْماء الحكمة والخبرة ، فإنه الحكيم الخبير ، الذي يضع الأشياء مواضعها ، وينْزلها منازلَها اللائقة بِها ، فلا يضع الشيء في غير موضعه ، ولا ينْزله في غير منْزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته. فهو أعلم حيث يَجعل رسالاته ، وأعلم بِمن يصلح لقبولِها ويشكره على انتهائِها إليه ، وأعلم بِمن لا يصلح لذلك . فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطلت حكم كثيرة ، ولفاتت مصالح عديدة ، ولو عطلت تلك الأسباب لِما فيها من الشر ، لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب ، وهذا كالشمس والمطر والرياح ، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف ما يَحصل بِها من الشر . ومنها :

● حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، فإن عبودية الجهاد من أحبِّ أنواع العبودية إليه سبحانه . ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يُجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه .

• إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها .

• فإن قيل : فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب ؟

فهذا سؤال فاسد ! وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه ، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك ، والتوبة بدون التائب!...

• فإن قيل : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود القيُّومية والمشيئة النافذة ؟ قيل : هذا هو الذي أوقع من عميتْ بصيرتُهُ في شهود الأمر على غير ما هو عليه ، فرأى تلك الأفعال طاعات ، لموافقته فيها المشيئة والقدَر ، وقال : إن عصيتُ أمرَه فقد أطعتُ إرادته ! :

• وفي ذلك قيل :

« أصبحت منفعلاً لما يختاره مِنِي ، ففعلي كُلُّهُ طاعات » !

• وهؤلاءِ أعمى الخلق بصائر ، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية ، فإن الطاعة هي موافقة الأمر الدينِي الشرعي ، لا موافقة القدر والمشيئة ، ولو كانت موافقة القدر طاعةً لكان إبليس من أعظم المطيعين له ، ولكان قومُ نوح وهود وصالح وشعيب وقوم فرعون – كلهم مطيعين !! وهذا غاية الجهل ، لكن إذا شهد العبد عجزَ نفسه ، ونفوذَ الأقدار فيه ، وكمال فقره إلى ربه ، وعدمَ استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين : كان بالله في هذه الحال لا بنفسه ، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصنًا حصينًا ...، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحالة ، فإذا حجب عن هذا المشهد وبقي بنفسه ، استولى عليه حكم النفس ، فهنالك نُصبتْ عليه الشباكُ والأشراك ، وأُرسِلت عليه الصيادونَ ، فإذا انقشع عنه ضبابُ ذلك الوجود الطبعي ، فهنالك يَحضره الندم والتوبة والإنابة ، لإنه

كان في المعصية محجوبًا بنفسه عن ربه ، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر ، فبقي بربه لا بنفسه .

● فإن قيل : إذا كان بقضاء الله وقدره ، ونَحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله ، فكيف ننكره ونكرهه ؟!

● فالجواب : أن يقال أولاً : نَحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدِّرُهُ ، ولم يرد بذلك كتابٌ ولا سنةٌ ، بل من المقضيِّ ما يُرضَى به ، ومنه ما يُسخط ويمقت ، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه ، بل من القضاء ما يُسخط ، كما أن من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم .

● ويقال ثانيًا : هنا أمران : قضاء الله ، وهو فعل قائم بذات الله تعالى، ومقضي ، وهو المفعول المنفصل عنه . فالقضاء كله خير وعدل وحكمة ، نرضى به كلِّه ، والمقضي قسمان : منه ما يُرضى به ، ومنه ما لا يُرضى به .

● ويقال ثالثًا : القضاء له وجهان : أحدهما : تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه يرضى به . والوجه الثانِي : تعلقه بالعبد ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به . مثال ذلك : قتل النفس ، له اعتباران : فمن حيث قدَّره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونِهاية لعمره ـ يرضى به ، ومن حيث صدَر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله ـ نسخطه ولا نرضى به .

● وقوله : « والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان » : إلى آخره :

• التعمق : هو المبالغة في طلب الشيء ، والمعنى : أن المبالغة في طلب القدر والغوصَ في الكلام فيه ذريعة الخذلان . الذريعة : الوسيلة . والذريعة والدرجة والسلم ـ متقاربة المعنى ، وكذلك الخذلان والحرمان والطغيان متقاربة المعنى أيضًا ، لكن الخذلان في مقابلة النصر ، والحرمان في مقابلة الظفر ، والطغيان في مقابلة الاستقامة .

• وقوله : « فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسةً » :

• عن أبِي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه : إنا نَجد في أنفسنا ما يتعاظم أَحدُنا أن يتكلم به ؟ قال : « **وقد وجدتُموه ؟** » قالوا : نعم ، قال : « **ذلك صريح الإيمان** » . رواه مسلم ، الإشارة بقوله : « **ذلك صريح الإيمان** » إلى تعاظم أن يتكلموا به . ولمسلم أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة ؟ فقال : « **تلك مَحض الإيمان** » . وهو بمعنى حديث أبِي هريرة ـ السابق ـ ، فإن وسوسة النفس أو مدافعة وسوَاسها بمنْزلة المحادثة الكائنة بين اثنين ، فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريحُ الإيمان ومحضُ الإيمان :

« صحيح »

« صحيح »

• هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان . ثم خلف من بعدهم خلفٌ ، سَوَّدُوا الأوراقَ بتلك الوساوس ، التي هي شكوك وشبه ، بل وَسَوَّدُوا القلوبَ ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقَّ :

• ولذلك أطنب الشيخ رحمه الله في ذم الخوض في الكلام في القدر والفحص عنه :

• وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« صحيح » « **أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم** » ـ رواه الشيخان ...

● وقال تعالى : ﴿ **فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا** ﴾ [التوبة : ٦٩]، الخلاق : النصيب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ** ﴾ [البقرة : ٢٠٠]، أي: استمتعتم بنصيبكم كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم وخضتم كالذي خاضوا ، أي : كالخوض الذي خاضوه ، أو كالفوج أو الصنف أو الجيل الذي خاضوا . وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض ، لأن فساد الدين إما في العمل وإما في الاعتقاد ، فالأول من جهة الشهوات ، والثاني من جهة الشبهات .

● ـ هذا ، ـ وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأُمَّة : مسألةُ الْقَدَرِ . وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع !!.

● وقوله : « فمن سأل : لم فعل؟ فقد ردَّ حُكْمَ الكتابِ ، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين » :

● اعلم أن مبنَى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله ـ على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع . ولهذا لم يَحك الله سبحانه عن أمة نبيٍّ صدقت بنبيها وآمنت بِما جاء به أنَّها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونَهاها عنه وبلَّغها عن ربِّها ، ولو فعلت ذلك لَما كانت مؤمنة بنبيها ، بل انقادت وسلمت وأذعنت ، وما عرفت من الحكمة عرفته ، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته ، ولا جعلت ذلك من شأنِها ، وكان رسولُها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك ، كما في الإنْجيل : « يا بنِي إسرائيل لا تقولوا : لِمَ أَمَرَ

رَبُّنَا؟ ولكن قولوا : بِمَ أَمَرَ رَبُّنَا » :

● ولِهذا : كان سلف هذه الأمة ، التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارفَ وعلومًا ـ لا تسأل نبيها : لَمَ أمر الله بكذا ؟ ولِمَ نَهى عن كذا ؟ ولِمَ قَدَّر كذا ؟ ولِمَ فعل كذا ؟ لعلمهم أن ذلك مضادٌّ للإيمان والاستسلام، وأن قَدَمَ الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم ...

● وقال القرطبي ناقلاً عن ابن عبد البر : « فمن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم ونفي الجهل عن نفسه ، باحثًا عن معنًى يَجب الوقوف في الديانة عليه : فلا بأس به ، فشفاءُ العِيِّ السؤالُ . ومن سأل متعنِّتًا غير متفقه ولا متعلم ، فهو الذي لا يحل قليلُ سؤاله ولا كثيرُهُ ...

● وقال ﷺ : « **مِنْ حُسْنِ إِسلامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يعنيه** » . رواه الترمذي وغيره ...[٢٩]

● ـ هذا ، ـ ولا شكَّ في تكفير مَنْ رَدَّ حكمَ الكتابِ ، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بُيِّنَ له الصوابُ ليرجعَ إليه ، فالله سبحانه وتعالى لا يُسْأَلُ عَما يفعل ، لكمال حكمته ورحمته وعدله ، لا لمجرَّد قهره وقدرته ، كما يقول جهم وأتباعه :

● وسيأتِي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ : « ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله »[٣٠] .

---

(٢٩) **لا يثبت :**

وقد توسعت في تَخريجه وتحقيقه في جزء حديثيٍّ خاصٍّ به ، وهو مطبوع بِحمد الله تعالى .

(٣٠) وذلك عند الفقرة رقم [٦٧] .

[٥٣] قوله : (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو مُنَوَّرٌ قلبه من أولياء الله تعالى ، وهي درجة الراسخين في العلم ، لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود ، وعلم في الخلق مفقود ، فإنكار العلم الموجود كفر ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم المفقود) .

• ش : الإشارة بقوله : « فهذا » إلى ما تقدم ذكره ، مما يَجب اعتقاده والعمل به ممَّا جاءت به الشريعة .

• وقَولُهُ : « وهي درجة الراسخين في العلم » . أي : علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً ، نفيًا وإثباتًا .

• ويعنِي بالعلم المفقود : علمَ القَدَر الذي طواه الله عن أنامه ، ونَهاهم عَنْ مَرَامِه .

• ويعنِي بالعلم الموجود : علمَ الشريعة ، أصولها وفروعها ، فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين ، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين . قال تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن : ٢٦ـ ٢٧] الآية . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

• ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عَدَمُها ، ولا من جَهْلنا انتفاءُ حكمته . ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيَّاتِ والعقارب والفأْرِ والحشراتِ ، التي لا يعلم منها إلا المضرة : لم يَنف أن يكون الله تعالى خالقًا لَها ، ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيتْ علينا ، لأن عدم العلم

لا يكون علمًا بالمعدوم .

[٥٤] قوله: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم).

• ش : قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] ...، ـ و ـ اللوحُ المذكورُ هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه ، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقاديرَ...(٣١)

(٣١) • وكتابة مقادير الخلائق ممَّا اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، ومن الأدلة عليه ما : أخرجه الإمام مسلم [٢٦٥٣] بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « **إنَّ الله كتب مقادير الخلائق قبل أنْ يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » ، وزاد في رواية أخرى ـ وكذا الآجري في الشريعة [٣٧٩-٣٨٠] والبغوي في شرح السنة [١/١٢٣ـ ١٢٤] ـ هذه الجملة: « **وكان عرشه على الماء** »، وسندها صحيح ـ أيضًا ـ .

• وأما القلمُ الذي قد كُتبتْ به هذه المقاديرُ فقد ورد ذكره في بعض الأحاديث ، ومِنْ أَصَحِّها ما :

• أخرجه البخاري [٥٠٧٦] ـ هكذا ـ وقال أَصْبَغُ أخبرنِي ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال ـ فذكر حكايةً ثم قال ـ : فقال النبيُّ ﷺ : « **يا أبا هريرة : جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أنتَ لاقٍ** ... » :

• وأصبغُ هذا هو ابن الفرج الإمام الحافظ المصريُّ ، والسند منه إلى إبراهيم صحيح :

• وقد أخرجه الفريابيُّ في « القدر [»٤٣٧] عن محمد بن إسحاق أبي بكر أخبرنِي أَصْبَغُ بن الفرج ... فذكره.

• وهذا إسناد صحيح عن أصبغ :

• وقد تابع أبا بكر بن إسحاق عليه ـ أيضًا ـ محمد بن يحيى والرماديُّ ، وانظر في ذلك ـ لزامًا ـ التغليق للحافظ ابن حجر [٤/٣٩٦] .

• وقد صحَّحَ الحديث ـ من طريق يونس ـ أيضًا: الإمامُ النسائيُّ في « الكبرى [»عقب رقم /٥٣٢٣].

• وقد توبع أصبغُ عليه بنحوه ، تابعة حرملة بن يحيى عند البيهقي [١ / ٧٩] ، ـ وغيره ـ وسنده صحيح عن ابن وهب أيضًا .

• وتوبع عليه ـ أيضًا ـ ولكن مقتصرًا على الجملة المرفوعة المذكورة آنفًا ، تابعه أحمد بن صالح ـ وهو الإمام المصريُّ الحافظ ـ عن ابن وهب ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » [١١٠]، والسند إليه صحيح. =

[٥٥] قوله : (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن – لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائنًا – لم يقدروا عليه. جَفَّ القلمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة).

● ش : ... عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا ، فقال: « **يا غلام ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تَجده تُجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعتِ الأقلام ، وجَفَّتِ الصُّحفُ** » . رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح :

● وفي روايةِ غيرِ الترمذيِّ : « **احفظ الله تَجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَجَ مع الكرب ، وأن مع**

=

● وقد توبع يونسُ عليه ـ أيضًا ـ ، حيث أخرجه النسائيُّ [٥٣٢٣] وابن أبي عاصم [١٠٩] من طريقين عن الأوزاعيِّ عن الزهريِّ به وبنحوه .

● وقد أعلَّ الإمامُ النسائيُّ هذا الطريقَ فقال عقبه: «الأوزاعيُّ لَمْ يسمع هذا الحديثَ من الزهري» اهـ.

● قلت :وقد دَلَّ على ذلك أنَّ الفريابيَّ قد أخرجه في القدر [٤١٨] بسندٍ صحيح عن الأوزاعيِّ قال: حَدَّثني مَنْ سمع الزهريَّ يُحدِّثُ عن أبي سلمة ... فذكره .

● هذا ، وانظر ـ للمزيد ـ الفتح للحافظ ابن حجرٍ [١١٩/٩] و[٤٩١/١١] وشرح مسلم للإمام النووي [١٩٧/١٦ـ ١٩٨] والجامع الصحيح في القدر للشيخ الفاضل مقبل بن هادي[ص ٣٨ـ إلى ـ ٤٢].

العسر يسرًا »(٣٢) ... (٣٣)

● ـ هذا ، ـ فإذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ كُلاًّ من عند الله ـ عز وجل ـ ، فالواجب ـ عليه ـ حينئذ هو ـ : إفرادُهُ سبحانه بالخشية والتقوى ! :

● قال تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ـ وقال تعالَى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] ، ـ وقال سبحانه أيضًا: ـ ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤١] ...

[٥٦] قوله : (وما أخطأ العبدَ لمْ يكن ليصيبه ، وما أصابه لمْ يكن ليخطئه) .

● ش : هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة ، ولقد أحسن القائل حيث يقول :

« ما قضى الله كائن لا محالهْ — والشقي الجهول من لام حالهْ » !

[٥٧] قوله : (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا ، ليس فيه ناقض ، ولا معقِّب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه) .

---

(٣٢) لا يثبت ! :

● ورواية الترمذي ضعيفة منكرة الإسناد ، والرواية الأخرى لغيره تالفة :

● وقد توسعت في تخريجهما وتحقيقهما في جزء لي في : « ضعيف الأربعين النووية » .

(٣٣) وهذه الفقرة رقم [٥٥] قد اتفق أهل السنة والجماعة على صحة معناها ، وعليه : فكون حديث ابن عباس هذا لا يصح مِمَّا لا يؤثِّرُ شيئًا في اعتماد معنى هذه الفقرة ، إذْ إنه معنًى متفق عليه بين أهل السنة والجماعة .

● ش: هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها ، كما قال ﷺ : « **قَدَّرَ اللهُ مقاديرَ الخلق قبل أن يَخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء** ». « صحيح » فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها ، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم . فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصوَّر إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها . قال تعالى: ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] .

[٥٨] قوله: (وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته ، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]. وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

● ش : الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها . قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، و تؤمن بالقدَر خيره وشره** » : وقال ﷺ في آخر الحديث : « **يا عمر ، أتدري من السائل ؟** » قال : الله ورسوله أعلم، قال : « **فإنه جبرائيل ، أتاكم يعلمكم دينكم** » . رواه مسلم . « صحيح »

● وقوله : « والإقرار بتوحيد الله وربوبيته » . أي : لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى ...

● وهذا لأنَّ الإيمان بالقدر يتضمن الإيمانَ بعلم الله القديم وما أظهر من علمه الذي لا يُحاط به وكتابة مقادير الخلائق .

• وقد ضَلَّ في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك ، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر !.

• وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي يُكَذِّبُ به القدرية جملةً ، حيث جعلوه لم يَخلق أفعال العباد ، فأخرجوها عن قدرته وخلقه .

• ـ هذا ، ـ والْقَدَرُ ، الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه ، وأن الذي جحدوه هم القدَرية المحضة بلا نزاع : هو ما قَدَّره الله من مقادير العباد . وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء ، كقول ابن عمر رضي الله عنهما ، لما قيل له : يزعمون أن لا قَدَرَ وأن الأمرَ أُنُفٌ : « أخبرهم أنِّي منهم بريء وأنَّهم منِّي براءٌ » ـ أخرجه مسلم ـ ...

[٥٩] قوله : (فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا ، وعاد بما قال فيه أفَّاكًا أثيمًا) .

• ش : اعلم أن القلب له حياة وموت ، ومرض وشفاءٌ ، وذلك أعظم مما للبدن . قال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

• أي : كان ميتًا بالكفر فأحييناه بالإيمان . فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها ، بخلاف القلب الميت ، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح ...، وكذلك القلب المريض بالشهوة ، فإنه لضعفه يَميل إلى ما يعرض له من ذلك بِحسب قوة

المرض وضعفه .

• ومرض القلب نوعان ، كما تقدم : مرض شهوة ، ومرض شبهة ، وأردؤها مرض الشبهة ، وأردأ الشُّبه ما كان من أمر القدر . وقد يَمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه ، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابِها ، بل قد يَموت وصاحبه لا يشعر بموته ، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائدُهُ الباطلةُ !!

• فإنَّ القلب إذا كان فيه حياةٌ تأَلَّمَ بورود القبيح عليه ، وتأَلَّم بِجهله بالحق بِحسب حياته : « ما لِجُرْحٍ بِميت إيلام » .

• وقد يشعر بمرضه ، ولكن يشتد عليه تَحَمُّلُ مرارةِ الدواءِ والصبر عليها ، فيؤْثِرُ بقاءَ أَلَمِه على مشقة الدواء فإن دواءه في مخالفة الْهوى ، وذلك أصعب شيء على النفس ، وليس له أنفع منه ، وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه ، لضعف علمه وبصيرته وصبره !!...

• ـ هذا ، ـ وعلامة مرض القلب عُدُولُهُ عن الأغذيةِ النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة ، وعدولُهُ عن دوائه النافع ، إلى دوائه الضار ، فههنا أربعة أشياء : غذاء نافع ، ودواء شاف ، وغذاء ضار ، ودواء مهلك . فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي ، علًى الضارِّ المؤذي ، والقلب المريض بضد ذلك وأنفعُ الأغذية غذاء الإيمان ، وأنفعُ الأدوية دواءُ القرآن ، وكل منهما فيه الغذاء والدواء ، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو أجهل الجاهلين وأضلّ الضالين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفَاءٌ والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وقْرٌ وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيد** ﴾ [فصلت : ٤٤] . وقال تعالى : ﴿ **ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسَارًا** ﴾ [الإسراء : ٨٢] . و«من»

في قوله : « من القرآن » لبيان الجنس ، لا للتبعيض . وقال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس : ٥٧] . فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواءِ الدنيا والآخرة ، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به . وإذا أحسن العليل التداوي به ، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه : لم يقاوم الداءُ أبدًا . وكيف تقاوم الأدواءُ كلام ربِّ الأرض والسماء ، الذي لو نزل على الجبال لصدَعها ، أو على الأرض لقطعها ؟!

● فما من مرض من أمراض القلوب ... إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحِمية منه ، لمن رزقه الله فهمًا في كتابه .

● وقوله : « لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا ، أي : طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرًّا مكتومًا ، إذ القدر سر الله في خلقه ، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب ، وقد قال تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن ٢٦ـ ٢٧] إلى آخر السورة .

● وقوله : « وعاد بما قال فيه » أي : في القدر : « أفاكًا » أي : كذابًا « أثيمًا » . أي : مأثومًا .

[٦٠] قوله : (والعرش والكرسي حق) .

● ش : كَما بَيَّنَ تعالَى في كتابه ، قال تعالَى : ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج: ١٥ـ ١٦] . ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ** ﴾ [غافر: ١٥] . ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، في غير ما آية من القرآن. ﴿ **الرَّحْمَنُ**

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥]. ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٦] . ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر : ٧] . ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] . ﴿ وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]. وفي دعاء الكرب المروي في«الصحيحين»: « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رَبُّ الْعَرْشِ العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » ...

● والعرش في اللغة : عبارة عن السرير الذي للمَلِك ، كما قال تعالى عن بلقيس : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٣] .

● وأما الكرسي فقال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وقد قيل : هو العرش . والصحيح أنه غيره ...، وعن سعيد ابن جبْير عن ابن عباس في قوله تعالَى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . أنه قال : الكرسي : موضع القدمين ، والعرش لا يقدِّرُ قَدْرَهُ إلاَّ اللهُ تعالَى . وقيل : كرسيه : عِلْمُهُ ...، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظَّنِّ ... (٣٤)

---

(٣٤) ● وأقربُ الأقوال في بيان معنى : « الكرسيِّ » أنه هو : « العرشُ نَفْسُهُ » ، وذلك :

● لأنَّ العرش في لغة العرب يطلق على : « سَرِيرُ الْمَلِك » ، وهكذا أُطلق ـ أيضًا ـ في القرآن الكريم، حيث ذكر الله سبحانه وتعالى عرشَ ملكةِ سَبَإٍ بمعنى : « سرير المُلْكِ » وذلك في أكثر من آية في سورة : « النمل » :

● وقال عن نبيه يوسف عليه السلام في سورة : « يوسف » : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

● وقد جاءَ وصف الكرسيِّ بذلك ـ أيضًا ـ في القرآن ، حيث قال تعالى في سورة « ص » عن نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ، والكرسيُّ هنا عند أهل العلم هو : « سَرِيرُ مُلْكِ سليمان » عليه الصلاةُ والسلامُ وعليه :

=

[٦١] قوله : (وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه) .

● ش : أما قوله : « وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه ». فقال تعالَى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦]. وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر : ١٥] . وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا ، لأنه لما ذكر العرش والكرسي ، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ، ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ، بل له في ذلك حكمة اقتضته ، وكون العالي فوق السافل ، لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالِي ، محيطًا به ، حاملاً له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه . فانظر إلى السماء ، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب

● فالْكُرْسِيُّ هو العرشُ ، والعرشُ هو الكرسيُّ :

● وأمَّا وصف العرش بأنه : « قُبَّة » ، فهذا مِمَّا لَمْ يَثبتْ البتةَ عن النبي ﷺ !!، وعليه فلا إلزامَ به ولا الْتزَامَ !! .

● وثَمَّ بَحثٌ جليلٌ ـ كما في المجموع [٦/٥٤٥ـ إلى آخره تقريبًا] ـ يفيد أنَّ العرشَ قد وسع السموات والأرض ، فهذا ممَّا يؤكِّدُ ما ذهبنا إليه ، ـ حيث وصف الله تعالى الكرسيَّ بذلك كما في آية الكرسيِّ من سورة البقرة ، فلْيُراجعه مَنْ شاءَ فإنه نفيس جدًّا .

● وأَمَّا كون ابن عباسٍ وبعض الصحابة رضي الله عنهم قد ذهبوا إلى أنَّ الكرسيَّ هو موضع القدمين أو المرقاة للعرش ، فهذا لا حجة فيه ، حيث إنه ليس بمَرفوع إليه ﷺ ، والظاهر أنه مأخوذٌ عن بعض أهل الكتاب ، وعليه ، فهو من الإسرائيليات وليس له حُكْمُ المرفوعات .

● نعم : وقد وردت جملة عن ابن مسعود مرفوعًا تفيد أنَّ العرش غير الكرسيِّ ، وهو في الفصل من الله تعالى بين العباد يوم القيامة ، وهذا الجملة نَصُّها هكذا : « ... وينْزل الله في ظُلَلٍ من الغمام مِنَ العرشِ إلى الكرسيِّ ... » ، بَيْدَ أنَّ هذه الجملة ضعيفة منكرة لا تثبت عن النبيِّ ﷺ !! لا سيما وهو مخالف ـ أيضًا ـ لكلِّ ما سبق من الأدلة هنا .

● هذا ، والله تعالى أعلم ، وبه سبحانه وتعالَى التوفيق .

تعالَى أعظمُ شأنًا وأجلُّ من أن يلزم من علوِّه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل ـ إليه ـ، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به ، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش ، وعدم إحاطة العرش به ، وحصره للعرش ، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق .

• ونفاةُ العلوِّ أهلُ التعطيل لو فصَّلوا بِهذا التفصيل ، لَهُدوا إلى سواء السبيل ، وعلموا مطابقة العقل للتنْزيل ، ولسلكوا خلف الدليل ، ولكن فارقوا الدليل ، فضَلُّوا عن سواء السبيل . والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] وغيرها : كيف استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول .

• وأما قوله : « محيط بكل شيء وفوقه » ، (فالمعنى : أنه سبحانه محيط بكل شيء ، وفوق كل شيء) .

• أما كونه محيطًا بكل شيء، فقال تعالَى : ﴿**وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**﴾ [البروج : ٢٠] . ﴿ **أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ** ﴾ [حم السجدة : ٥٤] . ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا** ﴾ [النساء : ١٢٦] . وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك ، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة ، تعالَى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا !!:

• وإنما المراد : إحاطةُ عظمتِه ، وسعةُ عِلْمِه وقدرتِه ، وأنَّها بالنسبة إلى عظمته كخردلة ... (٣٥)

---

(٣٥) • وانظر ـ لزامًا ـ في بيان الكلام عن إحاطته عز وجل : « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية [٦/٥٤٥ ـ إلى قبيل آخر المجلد] .

• ومن المعلوم ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها ، وإن شاء جعلها تحته ، وهو في الحالين مباين لَها ، عالٍ عليها، فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف . فلو شاء لقبض السموات والأرض اليومَ ، وفعل بِهما كما سيفعل بِهما يوم القيامة ، فإنه لا يتجدَّدُ به إذْ ذاكَ قدرة ليس عليها الآن ، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سَمواته ؟ أو يُدنِي إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لَمْ يُقَدِّرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ !!...

• وأما كونه فوق المخلوقات ، فقال تعالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام : ١٨،٦١]. ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠]، وعن أبِي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي** »، وفي رواية : « **تغلب غضبي** » « صحيح » رواه البخاري ...، [٣٦] وروى مسلم عن النبيِّ ﷺ ، في تفسير قوله تعالَى : ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ [الحديد : ٣] : « **أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء** » « صحيح » ، والمراد بالظهور هنا : العلو . ومنه قوله تعالَى : ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ** ﴾ [الكهف : ٩٧] ، أي : يعلوه . فهذه الأسْماء الأربعة متقابلة : اسْمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالَى وأبديته ، واسْمان لعلوه وقربه .

---

(٣٦) • وقد روى مسلم ـ أيضًا ـ هذا الحديث في صحيحه [٢٧٥١] بنحوه ، وأمَّا البخاريُّ فقد رواه في هذا الموضع [٣١٩٤] وغيره ، وعليه :
• فاقتصارُ المؤلِّف على أنَّ البخاريَّ أخرجه فيه قصورٌ !!.

• ـ هذا ، ـ ومن سَمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف ، وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر [٣٧] ، ولا ريب أن الله سبحانه لما خَلق الخلق لم يَخلقهم في ذاته المقدسة ، تعالَى الله عن ذلك ، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، فتعين أنه خلقهم خارجًا عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم ، لكان متصفًا بضدِّ ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده ، وضد الفوقية : السفول ، وهو مذموم على الإطلاق !!:

• وإذا كانت صفةُ العلوِّ والفوقيةِ صفةَ كمال ، لا نقص فيه ، ولا يستلزم نقصًا ، ولا يوجب محذورًا ، ولا يُخالف كتابًا ولا سنة ولا إجماعًا ، فنفي حقيقته يكون عينَ الباطل والمحال الذي لا تأتِي به شريعة أصلاً . فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله ، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلاَّ بذلك ؟!...

• ـ هذا ، ـ وهذه الأنواع من الأدلة ـ الدَّالة على صفة الْعُلُوِّ والفوقية من كتاب الله تعالى وسنةِ رسوله ﷺ ـ لو بُسِطَتْ أَفْرَادُهَا لَبَلَغَتْ نحو ألفِ دليلٍ :

• فعلى الْمُتأَوِّلِ أن يُجيبَ عن ذلك كُلِّهِ ، وَهَيْهَاتَ له بِجوابٍ صحيحٍ عن بعض ذلك !!...

• وقوله : « وقد أعجز عن الإحاطة خلقه » ـ أي : لا يحيطون به علمًا ولا رؤية ، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة ، بل هو سبحانه محيط

---

(٣٧) وانظر كلام السلف في ذلك بوفْرَةٍ في: «العلو للعليِّ الغَفار» للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى .

بكل شيء ، ولا يُحيط به شيء .

[٦٢] قوله : (ونقول : إنَّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلَّم الله موسى تكليمًا ، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا) .

• ش : قال الله تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ [النساء : ١٢٤] ، وقال تعالَى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٢٦٤] :

• والْخُلَّةُ هي : المحبَّةُ المستغرقة للمُحِبِّ ، كما قيل :

« **قد تَخللت مسلك الروح منِّي ولذى سُمِّي الْخليل خليلاً** »

• ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالَى ، كسائر صفاته . ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في « الصحيح » ... عن النبي ﷺ قال : « **لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله** » . يعني : نَفْسَهُ - ﷺ - ... « صحيح »

• فَبَيَّنَ ﷺ أنَّه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً ، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق . مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يُحبُّ أشخاصًا ، كقوله ... - في « الصحيحين » لَمَّا - قال له عَمْرو بن العاص : أي الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « **عائشة** » ، قال : فمن الرجال ؟ قال : « **أبوها** » : « صحيح »

• فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة ، والمحبوب بِها لكمالها يكون محبًّا لذاته ، لا لشيء آخر ، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير ، ومن كمالِها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة ، لتخللها المحبة ، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب .

• ـ هذا ، ـ وكما أنَّ منْزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم ، كذلك منْزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء . « صحيح »

[٦٣] قوله : (ونؤمن بالملائكة والنبيين ، والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين) .

• ش : هذه الأمور من أركان الإيمان . قال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية . وقال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ـ الآية . فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمانَ هو الإيمان بهذه الجملة ، وسَمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين ، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة . لقول : ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦] . وقال ﷺ ، في الحديث المتفق على صحته ؛ حديث جبْرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان . فقال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » ـ رواه مسلم ـ . « صحيح »

• فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياءُ والرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، ولم يؤمن بها حقيقةَ الإيمان إلا أتباع الرسل .

• وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع ، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها !

• أمَّا الملائكةُ فهم : أعظمُ جنود الله :

• ومنهم : ﴿ وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا ﴾ [المرسلات : ١] ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [المرسلات : ٣ ـ] .

• ومنهم : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ [النازعات : ١ ـ ٤] .

• ومنهم : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [الصافات : ١ ـ ٣] .

• ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله : الفِرَق والطوائف والجماعات ، التِي مفردها : « فرقة » و« طائفة » و« جماعة » ، ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، وملائكة قد وكلوا بِحَمْلِ العرش ....، إلى غير ذلك مِنْ أَصناف الملائكة التِي لا يُحصيها إلا الله ـ تعالَى ـ .

• ولفظُ : « الْمَلَك » يشعر بأنه رسول مُنفِّذ لأمْرِ مُرْسِلِه ، فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر كله للواحد القهار ، وهم ينفذون أمره : ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] .

• فَهُمْ عباد مكرَمون ، منهم الصافُّون ، ومنهم المسبِّحون . ليس منهم إلا له مقام معلوم ، ولا يتخطاه ، وهو على عمل قد أُمر به ، لا يقصر عنه ولا يتعداه ، وأعلاهم الذين عنده : ﴿ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩ ـ ٢٠] .

• والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم ، فتارة يقرن الله

تعالَى اسْمه باسْمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفَّهم بالعرش وحملهم له ، ومراتبهم من الدنو ، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم ، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص . قال تعالى: ﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلائِكَته وَكُتُبِه وَرُسُلِه** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] . ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْم** ﴾ [آل عمران : ١٨] . ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَات إِلَى النُّورِ** ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِه وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [غافر : ٧] . ﴿ **وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الزمر: ٧٥]. ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ** ﴾ [فصلت : ٣٨] . ﴿ **كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾ [الانفطار: ١١] . ﴿ **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** ﴾ [عبس: ١٦] . ﴿ **يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [المطففين : ٢١]. ﴿ **لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى** ﴾ [الصافات : ٨] .

● وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم :

● فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحدَ الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان .

● وأما الأنبياء والمرسلون ، فعلينا الإيمان بمن سَمَّى الله تعالَى في كتابه من رسله ، والإيمان بأن الله تعالَى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء ، لا يعلم أسْماءهم إلاَّ الله تعالَى الذي أرسلهم . فعلينا الإيمان بهم جملةً ، لأنه لم يأت في عددهم نَصٌّ . وقد قال تعالَى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ [النساء : ١٦٤] . وقال تعالَى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا**

رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:٧٨].

وعلينا الإيمان بأنَّهم بلَّغوا جميعَ ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به ، وأنَّهم بيَّنوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله ، ولا يَحل خلافه . قال تعالَى: ﴿ **فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النحل : ٣٥] . ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النحل : ٨٢] ...

• وأما الإيمان بِمحمد ﷺ ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً .

• وأما الإيمان بالكتب المنَزَّلة على المرسلين ، فنؤمن بِما سَمَّى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والإنجيل والزبور ، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلَها على أنبيائه ، لا يعرف أسْماءها وعددَها إلى الله تعالى! [(٣٨)] .

• وأما الإيمان بالقرآن ، فالإقرار به ، اتباع ما فيه ، وذلك أَمْرٌ زائدٌ على الإيمان بغيره من الكتب .

• فعلينا الإيمانُ بأنَّ الكتب المنَزَّلةَ على رسل الله أتتهم من عند الله ، وأنَّها حق وهدى ونور وبيان وشفاء . قال تعالى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا** ﴾ [البقرة : ١٣٦] إلى قوله : ﴿ **وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ [البقرة: ١٣٦] . ﴿ **الـم * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [آل عمران : ١، ٢] . إلى

---

(٣٨) • وإيماننا بِهذه الكتب الْمُنَزَّلَة المباركة مِنْ : توراة وإنجيل يجب أنْ يكون مقرونًا بِما نَصَّتْ عليه آيات كثيرةٌ من القرآن الكريم : بأنَّها قد حُرِّف منها الكثيرُ والكثيرُ ، وعليه :

• فما كان مِنْ هذه الكتب لا يُخالف ما ثبت في ديننا فنحنُ لا نصدِّقه ولا نكذِّبه ، وما كان منها محتويًا على باطلٍ تبطلُهُ الملَّةُ الحنيفيةُ والدينُ فهو مردود مجزوم بتحريفِهِ ، فتنبه !

قوله : ﴿ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران : ٤] .

[٦٤] قوله: (ونُسَمِّي أهْلَ قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبيُّ ﷺ معترفين، وله بكلِّ ما قاله وأخبر مصدِّقين) [٣٩] .

• ش : يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أنَّ الإسلام والإيمان واحدٌ ، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله .

---

(٣٩) • والعلامة الشارح ـ رحمه الله تعالى ـ لن يُنَبِّه في شرح هذه الفقرة على قول الإمام الطحاويِّ ـ رحمه الله تعالى ـ: «...معترفين»، وهو قول ظاهره وباطنه باطل إنْ فُهِمَتِ المعرفةُ بأنَّها:«مطلق المعرفة » ، وذلك :

• وذلك لأنَّ الإيمان عند أهل السنة هو : « التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح والأركان »، والتصديق بالقلب يجب أنْ يكون تصديقًا مقرونًا بتسليم القلب وخضوعه وانقياده لمقتضى حقيقة الإيمان!! :

• وأما مطلق المعرفة وحده فلا يكفي في تحقيق حقيقة الإيمان ، إذْ لو كان كافيًا وحده لكان مشركو العرب مؤمنين، إذ قد كانوا يعرفون أنَّ محمدًا ﷺ صادق، كما قال تعالى في سورة: « الأنعام »: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ ، ولو كان كافيًا لكان علماءُ أهل الكتاب المعاندون مؤمنين، إذْ قد كانوا عارفين بأنَّ محمدًا ﷺ حَقٌّ وأنه رسولٌ مِنْ عند الله تعالَى، كما قال الله تعالَى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾ ، ولو كان كافيًا وحده لكان فرعونُ وقومه مؤمنين بموسى ﷺ ، إذْ قال موسى لفرعون ـ فيما حكى الله تعالى ـ : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ ، وقال تعالَى عن قوم فرعون : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ** ﴾ !!.

• هذا ، وكون المعرفة وحدها هي الإيمان إنما هو مذهبُ بعض فرق الضلالة والزيغ والانْحراف ، ولا ريبَ أنَّ هذا ـ التَّلَفُّظَ بهذه الكلمة ـ قد وقع سَهوًا من الإمام الطحاوي صاحب الْمتْن وكذا من العلامة المؤلف شارح هذا المتْن ، إذ كلامهما في هذه المسألة واضح جليٌّ مفارق لمذهب أهل الضلال هؤلاء، وانظر كلامهما في مفارقة هؤلاء الضُّلال في الفقرة الآتية برقم [٧١] وشرحها، بل إنَّ الشارح ـ رحمه الله تعالى ـ سوف يُنَبِّهُ على بطلان هذا المعنى الزائِغ في موضع آخر ـ عند شرحه للفقرة رقم [٧٦] ـ:

• وإنما أردت أنْ أُنَبِّهَ هنا على هذه اللفظة حتى لا يغتر جاهل بذكرها في هذا المتن وبسكوت الشارح عليها !!.

والمراد بقوله : « أهل قبلتنا » ، من يَدَّعِي الإسلامَ ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء ، أو من أهل المعاصي ، ما لم يُكَذِّبْ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ .

• وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ : « ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[٤٠] . وعند قوله: « والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء »[٤١] .

[٦٥] قوله: (ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله).

• ش : يشيرُ الشيخ رحمه الله إلى الكفِّ عن كلام المتكلمين الباطل ، وذمِّ علمهم ، فإنَّهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم . ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ [النجم :٢٣] .

• وعن أبي حنيفة رحمه الله ، أنه قال : لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء ، بل يصفه بما وصف به نفسه .

• وقوله : « ولا نماري في دين الله » معناه : لا نُخاصم أهل الحق بإلقاءِ شبهات أهل الأهواء عليهم ، التماسًا لامترائهم وميلهم ، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل ، وتلبيسِ الحق ، وإفساد دين الإسلام !!

[٦٦] قوله : (ولا نُجادل في القرآن ، ونشهد أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، فعلَّمه سيد المرسلين محمدًا ﷺ . وهو كلام الله تعالى ، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ،

(٤٠) وذلك عند الفقرة رقم [٦٧] .

(٤١) وذلك عند الفقرة رقم [٧١] .

ولا نقول بخلقه ، ولا نخالف جماعة المسلمين) .

● ش : فقوله : « ولا نُجادل في القرآن » ، يحتمل أنه أراد : أنَّا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول : إنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، إلى آخر كلامه . ويُحتمل أنه أراد : أنَّا لا نُجادل في القراءة الثابتة ، بل نقرؤه بكل ما ثبتَ وصحَّ . وكلٌّ من المعنيين حَقٌّ .

● وقوله : « ونشهد أنه كلام رب العالمين » ، قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله : « وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً »(٤٢) .

● وقوله : « نزل به الروح الأمين » . هو جبرائيل عليه السلام ، سُمي روحًا لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو أمينٌ حقٌّ أمين ، صلوات الله عليه . قال تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥] . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ [التكوير : ١٩ ـ ٢١] . وهذا وصف جبرائيل .

● وقوله : « فعلَّمه سيد المرسلين » ، تصريح بتعليم جبرائيل إياه ، إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلْهامًا .

● وقوله : « ولا نقول بِخلقه ، ولا نُخالف جماعة المسلمين » ، تنبيه على أن من قال بِخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين ، فإن سلف الأمة

---

(٤٢) وذلك عند الفقرة رقم [٣٦] .

كلَّهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق ، بل قوله : « ولا نُخالف جَماعة المسلمين » ، مجرى على إطلاقه : أنا لا نُخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه فإن خلافهم زيغٌ وضلال وبدعة .

[٦٧] قوله : (ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ ، ما لَمْ يستحلَّهُ ، ولا نقولُ لا يضرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ لمن عَمِلَهُ) .

• ش : أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله : « ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قال وأخبر مصدِّقين »[٤٣] ، يشير الشيخ رحمه الله بِهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب .

• واعلم ـ رحمك الله وإيانا ـ أن باب التكفير وعدم التكفير ، بابٌ عظمت الفتنةُ والمحنةُ فيه ، وكثر فيه الافتراق ، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم . فالناس فيه على طرفين وَوَسَطٍ :

• فطائفة تقول : لا نكفِّر من أهل القبلة أحدًا . فتنفي التكفير نفيًا عامًّا ، مع العلم بأنَّ في أهل القبلة المنافقين ، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع ، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حين يمكنهم . وهم يتظاهرون بالشهادتين . وأيضًا : فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة المتواترة . ونحو ذلك ؛ فإنه يُستتاب ، فإنْ تاب ، وإلا قُتِلَ كافرًا مُرْتَدًّا ...، ولِهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحدًا

---

(٤٣) وذلك عند الفقرة رقم [٦٤] .

بذنب ، بَلْ يُقال : لا نُكفرهم بكل ذنبٍ ، كما تفعله الخوارجُ . وفرْقٌ بين النفي العام ونفي العموم . والواجب إنما هو نفي العموم ، مناقضةً لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب . ولهذا ـ والله أعلم ـ قيده الشيخ رحمه الله بقوله : « ما لَمْ يستحلَّهُ » .

• وقوله : « ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ... » إلى آخر كلامه ، رَدٌّ على المرجئة ، فإنَّهم يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنبٌ ، كم لا ينفع مع الكفر طاعةٌ :

• فهؤلاء في طرف ، والخوارج في طرف ، فإنَّهم يقولون نكفِّر المسلم بكل ذنب ، أو بكل ذنب كبير ، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يَحبط إيمانه بالكبيرة ، فلا يبقى معه شيء من الإيمان !!:

• لكن الخوارج يقولون : يَخرج من الإيمان ويدخل في الكفر ! والمعتزلة يقولون : يَخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر ، وهذه المنْزلة بين المنْزلتين !! وبقولهم بِخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار !!:

• ـ هذا ، ـ وطوائفُ من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال ، لكن في الاعتقادات البِدْعية ، إن كان صاحبها متأولاً ، فيقولون : يكفر كل من قال هذا القول ، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره ، أو يقولون : يكفر كل مبتدع ، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمورٌ عظيمة !!...

• والمقصود هنا : أن البدع هي من هذا الجنس ، فإن الرجل يكون مؤمنًا باطنًا وظاهرًا ، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه ، إما مجتهدًا وإما مفرطًا مذنبًا ، فلا يقال : إن إيمانه حبط لمجرد ذلك ، إلا أن يدل على ذلك دليل

شرعي ، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة ، ولا نقول : لا يكفر :

• بل العدلُ هو الوسط ، وهو : أن الأقوال الباطلة المبتدَعة المحرَّمة المتضمنة نفيَ ما أثبته الرسول ، أو إثبات ما نفاه ، أو الأمرَ بِما نَهى عنه ، أو النهي عما أمر به ـ : يقال فيها الحق ، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ، ويبين أنَّها كفر ، ويقال : من قالها فهو كافر ، ونحو ذلك ، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال ، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بِخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها :

• وأمَّا الشخص المعيَّنُ إذا قيل : هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافرٌ ؟ :

• فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة ، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يُخلده في النار ، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت ...

• ولأنَّ الشخصَ المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له ، ويمكن أنْ يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله ، كما غفر للذي قال : « إذا مِتُّ فاسحقوني ثم اذْرُونِي » ، ثم غفر الله له لخشيته ، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته ، أو شكَّ في ذلك ، ـ وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان ـ :

• لكنَّ هذا التوقُّفَ في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا ، لمنع بدعته ، وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه . ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا

قيل : إنه كفرٌ والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقًا زنديقًا .

● ـ هذا ، ـ ومن كفَّر كلَّ مَنْ قال القول المبتدع في الباطن ، يلزمه أن يكفِّر أقوامًا ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطل يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين ...، وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين ، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج . ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة ، بل بفرع منها . ولهذا انتحل أهلُ هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير . فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا ، ومن ممادح أهل العلم أنَّهم يخطئون ولا يكفِّرون .

● **ـ فائدةٌ جليلةٌ ـ :**

● ولكن بقي هنا إشكال يَرِد على كلام الشيخ رحمه الله ، وهو أن الشارع قد سَمَّى بعض الذنوب كفرًا ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٤] . وقال ﷺ : « **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** » . متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . « صحيح »

وقال ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقابَ بعض** » . ـ وقال ﷺ أيضًا ـ « **إذا قال الرجلُ لأخيه : يا كافر ـ فقد باء بها أحدُهما** » . متفق عليهما ... « صحيحان » وقال ﷺ : « **أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خَصلة منهن كان فيه خَصْلَةٌ من النفاق حتى يَدَعها : إذا حدَّث كذَب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدَر ، وإذا خاصم فجرَ** » . متفق عليه من حديث عبد الله ابن عَمْرو رضي الله عنه . « صحيح » وقال ﷺ : « **لا يزنِي الزاني حين يزنِي وهو مؤمن ،**

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربُها وهو مؤمن ... » ـ متفق عليه أيضًا ـ : « صحيح »

• ونظائر ذلك كثيرة .

• والجواب : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفرُ كفرًا ينقل عن الملَّة بالكلية ، كما قالت الخوارج ، إذْ لو كان كفر كفرًا ينقل عن الملَّة لكان مرتدًّا على كل حال ، ولا يُقبل عفو ولي القصاص، ولا تَجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر ! وهذا القول معلومٌ بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام :

• ومتفقون على أنه لا يَخرج من الإيمان والإسلام ، ولا يدخل في الكفر ، ولا يستحق الخلود مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة . فإن قولَهم باطل أيضًا ، إذ جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، إلى أن قال : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ١٧٨] . فلم يُخرج القاتل من الذين آمنوا ، وجعله أخًا لوليِّ القصاص ، والمرادُ أخُوَّة الدين بلا ريب . وقال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ [الحجرات : ٩] ، إلى أن قال : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٠] . ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزانِي والسارق والقاذف لا يُقتل ، بل يُقام عليه الحدُّ ، فدلَّ على أنه ليس بمرتد . وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: « **ما تعدُّونَ الْمفلسَ فيكم؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ، قال : « **المفلس من يأتِي يوم القيامة وله حسناتٌ أمثال الجبال ، فيأتِي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، وسفك**

دم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، فيقتصُّ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار » رواه مسلم ...، وهذا مبسوط في موضعه : « صحيح »

● ـ هذا ، ـ والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة ، فإنَّهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مُخَلَّدٌ في النار ، لكن قالت الخوارج : نُسميه كافرًا ، وقالت المعتزلة : نُسميه فاسقًا ، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

● وأهل السنة أيضًا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب . كما وردت به النصوص ، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ ، ولا ينفع مع الكفر طاعةٌ ! وإذا اجتمعت نصوص الوعد ، التِي استدلت بِها المرجئة ، ونصوص الوعيد ، التِي استدلت بِها الخوارج والمعتزلة؛ تبين لك فساد القولين . ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى .

● ثم بعد هذا الاتفاق بين أهل السنة اختلفوا اختلافًا لفظيًّا لا يتَرتب عليه فساد ، وهو : أنه هل يكون الكفرُ على مراتب ، كفرًا دون كفر ؟ كما اختلفوا : هل يكون الإيمان على مراتب ، إيمانًا دون إيمان ؟ وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى « الإيمان » : هل هو قولٌ وعملٌ يزيد وينقص ، أم لا ؟ بعد اتفاقهم على أن من سَماه الله تعالَى ورسوله كافرًا نُسميه كافرًا ، إذ من الممتنع أن يُسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ويسمي رسولُه من تقدم ذكره كافرًا ، ولا نُطلقُ عليهما اسم الكفر ، ولكن من قال : إن الإيمان قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقصُ ، قال : هو كفر عملي لا اعتقادي ، والكفر عنده على مراتب ، كفر دون كفر ،

كالإيمان عنده .

● ومن قال : إن الإيمان : هو التصديق ، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان ، والكفر : هو الجحود ، ولا يزيدان ولا ينقصان ، قال : هو كفر مجازي غير حقيقي ، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن المِلّة . وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان ، كقوله تعالَى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ،أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ، إنَّها سُميت إيمانًا مجازًا ، لتوقف صحتها على الإيمان ، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنًا ...

● ـ والمقصود : بيان أنه ـ ليس بين فقهاء المِلّة نزاعٌ في أصحاب الذنوب ، إذا كانوا مقرين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنَّهم من أهل الوعيد . ولكن الأقوال المنحرفة قولُ من يقول بتخليدهم في النار ، كالخوارج والمعتزلة !! ...

● وهنا أمر يَجب أن يتفطن له ، وهو : أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقلُ عن المِلّة ، وقد يكون معصية : كبيرة أو صغيرة ، ويكون كفرًا : إما مجازيًّا ، وإما كفرًا أصغر ، على القولين المذكورين . وذلك بِحسب حالِ الحاكم : فإنه إن اعتقد أن الحكم بِما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو استهان به مع تيقُّنه أنه حكم الله ؛ فهذا كفر أكبر ، وإن اعتقد وجوب الحكم بِما أنزل الله ، وعلمه في هذه الواقعة ، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ؛ فهذا عاصٍ ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا ، أو كفرًا أصغر . وإن جهل حكم الله فيها ، مع بَذْلِ جهده ، واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه ، فهذا مخطئ ، له أجر على اجتهاده ، وخطؤه

مغفور .

● وأراد الشيخ رحمه الله بقوله : « ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لِمَنْ عَمِلَهُ » : مخالفة المرجئة ...

[٦٨] قوله : (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ، ونخاف عليهم ، ولا نقنِّطهم) .

● ش : وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره. قال تعالَى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٧] ...، ومدح أهل الخوف ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٧ـ ٥٨] . إلى قوله : ﴿ **أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

● قال الحسن رضي الله عنه : عملوا ـ والله ـ بالطاعات ، واجتهدوا فيها ، وخافوا أن تُردَّ عليهم ، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشيةً ، والمنافق جمع إساءةً وأمنًا . انتهى (٤٤) ... (٤٥)

(٤٤) وانظر كلامًا مفيدًا في شأن بيان حقيقة الرجاءِ المحمود والفرق بينه وبين الرجاء المذموم عند شرح الفقرة التالية رقم [٦٩] .

(٤٥) ● وقوله : « ولا نشهد لهم بالجنة » فيه تفصيل عند أهل السنة ، وسوف يذكره العلامة الشارح عند شرح الفقرة رقم [٧٨] ، فانظره مشكورًا .

● وهذا التفصيل المشار إليه آنفًا إنما هو في حكم الشهادة على الشخص المعيَّنِ من المؤمنين :

=

[٦٩] قوله : (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام ، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة) .

● ش : يَجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا ، فإن الْخَوف الْمَحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تَجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط :

● والرجاء المحمود : رجاءُ رجل عمل بطاعة الله على نور من الله ، فهو راج لثوابه ، أو رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه إلى الله ، فهو راج لمغفرته. قال الله تعالَى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

● أما إذا كان الرجل متماديًا في التفريط والخطايا ، يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمنِّي والرجاء الكاذب . قال أبو علي الروذباري رحمه الله : الخوف والرجاء كجناحي الطائر ، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدُهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت . وقد مدح الله أهلَ الخوف والرجاء بقوله : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ [الزمر : ٩] الآية . وقال : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ [السجدة : ١٦] ، الآية .

=

● وأمَّا الشهادة بالجنة لعموم المؤمنين والمتقين فهي عقيدة أهل السنة والجماعة :

● قال العلامة ابنُ باز ـ رحمه الله تعالى ـ في تعليقه على متن الطحاوية هذا : « ... مِنْ عقيدة أهل السنة والجماعة : الشهادةُ للمؤمنين والمتقين على العموم بأنَّهم من أهل الجنة ... ، كما دلت على ذلك الآياتُ الكريماتُ والسنةُ المتواترةُ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ... » اهـ .

• فالرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمنًا ، والخوفُ يستلزم الرجاءَ ، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا .

• ـ هذا ، ـ وكل أحد إذا خفْتَه هربتَ منه ، إلا الله تعالَى ، فإنك إذا خفته هربتَ إليه ، فالخائف هارب من ربه إلى ربه !...

• فالرجاءُ والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد ...

[٧٠] قوله : (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) .

• ش : يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة . وفيه تقرير لما قال أولاً : « لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله » . وتقدم الكلام على هذا المعنى [٤٦] .

---

(٤٦) هذا الحَصْرُ فيه نظر ، بل هو باطل ، إذْ ـ كما قال العلامة ابن باز في تعليقه على متن الطحاويِ هذا ـ : « قد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه لقوله سبحانه : ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٥ـ ٦٦] ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنَّها تدل على أن العبادة حق لله وحده ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئًا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله و لم يحقق قول لا إله إلا الله وهذه المسائل كلها تُخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحودًا وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد فراجعها إن شئت وبالله التوفيق » اهـ كلامُ ابن بازٍ رحمه الله تعالى .

[٧١] قوله : (والإيمان : هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجَنَانِ(٤٧) . وجميع ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق . والإيمان واحد ، وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ، ومخالفة الهوى ، وملازمة الأولى) .

● ش : اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان ، اختلافًا كثيرًا : فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهلُ المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين : إلى أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

● وذهب كثيرٌ مِنْ أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله : أنه الإقرار باللسانِ ، والتصديق بالجنانِ .

● ومنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي ، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله ، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه ! .

● وذهب الكرَّامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان ، ولكنهم يقولون بأنَّهم يستحقون الوعيد

---

(٤٧) [هذا التعريف فيه نظر وقصور ، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصر وقد ذكر الشارح ابن أبي العز جملة منها فراجعها إن شئت ، وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظيًّا بل هو لفظي ومعنوي ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة والله المستعان] اهـ قاله العلامة ابن باز في تعليقه على متن الطحاويِّ هذا ، وهو كما قال رحمه الله تعالى .

الذي أوعدهم الله به ! وقولهم ظاهر الفسادِ !!.

● وذنب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحدُ رؤساء القدرية ـ إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب ! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله ! فإن لازمه أن فرعون وقومَه كانوا مؤمنين ، فإنَّهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بِهما، ولهذا قال موسى لفرعون : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء : ١٠٢] . وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] . وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، ولم يكونوا مؤمنين به ، بل كافرين به ، معادين له . بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان ! فإنه لم يَجهل ربه ، بل هو عارف به ، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر : ٣٦] . ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر : ٣٩] . ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]. والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى ، ولا أحد أجهل منه بربه !!.

● وبين هذه المذاهب مذاهبُ أُخَرُ ، بتفاصيل وقيود ، أعرضتُ عن ذكرها اختصارًا ...

● ـ هذا ، ـ والاختلاف الذي بين أبِي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة ـ اختلافٌ صوريٌ . فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب ، أو جزءاً من الإيمان ، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه ـ : نزاع لفظي ، لا يترتب عليه فساد اعتقاد ...، وإلا فقد « نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزانِي والسارق وشارب الخمر والمنتهب » « صحيح » ، ولم يوجب ذلك زوال اسم

الإيمان عنهم بالكلية ، اتفاقًا . ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل ، وأعنِي بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنَى به عند إطلاق قولِهم : الإيمان قول وعمل . لكن هذا المطلوب من العباد : هل يشمله اسم الإيمان ؟ أم الإيمان أحدهما ، وهو القول وحده ، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر ، وإن أطلق عليهما كان مجازًا ؟ هذا محل النِّزاع (٤٨) .

● وقد أجمعوا على أنه لو صدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه ، وامتنع عن العمل بِجوارحه ـ : أنه عاص لله ورسوله ، مستحق للوعيد (٤٩) .

● لكن فيمن يقول : إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان مَن قال : لما كان الإيمان شيئًا واحدًا فإيمانِي كإيمان أبِي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما ! بل قال : كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام !!.

● وهذا غلوٌّ منه . فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر ، ولا شك أن البصراء يَختلفون في قوة البصر وضعفه ، فمنهم الأخفش والأعشى ، ومن يرى الخط الثخين ، دون الدقيق إلا بزجاجة ونَحوها ، ومن يرى عن قرب زائد على العادة ، وآخر بضده .

● ولَهذا ـ والله أعلم ـ قال الشيخ رحمه الله: «وأهله في أصله سواء»،

---

(٤٨) لا ! ، ليس الخلافُ في ذلك صوريًّا كما قال المؤلف ـ رحمه الله ـ ، وسوف يأتِي بيانُ ذلك عند التعليق رقم [٥١]، وانظر ـ أيضًا ـ التعليق السابق رقم [٤٧] .

(٤٩) نَعَمْ : ولكن يلزم أنْ يكون التصديق بالقلب حينئذ مقرونًا بِخضوع القلب وتسليمه وانقياده لحقيقة وأصل هذا الإيمان ، وإلا فلو صَدَّقَ أحدٌ بقلبه وفي نفس الوقت قام مقام المعاند لهذا الدِّين أو المستهزئِ به أو نَحو ذلك فلا ينفعه تصديقه هذا البتة !!.

يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور « لا إله إلا الله » في قلوب أهلها لا يُحصيه إلا الله تعالى : فمن الناس من نور « لا إله إلا الله » في قلبه كالشمس ، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري ، وآخر كالمشعل العظيم ، وآخر كالسراج المضيء ، وآخر كالسراج الضعيف ...

• وَكُلَّمَا اشْتَدَّ نورُ هذه الكلمةِ وعَظُمَ أَحرق من الشبهات والشهوات بِحسب قوته ، بِحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبًا إلا أحرقه ، وهذه حال الصادق في توحيده ، فسماء إيمانه قد حُرس من كل سارقٍ :

• ـ هذا ، ـ ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ ـ الذي فِي « الصحيح » ـ : « **إن الله حَرَّمَ على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله** » ...، وما جاءَ من هذا النوع من الأحاديث التِي أشكلت على كثير من الناس ، حتَّى ظنَّها بعضهم منسوخة ، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي ، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار ، وأوَّل بعضهم الدخول بالخلود ، ونَحو ذلك . « صحيح »

• والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط ، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإن المنافقين يقولونَها بألسنتهم ، وهم تَحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار (٥٠) ، فإن الأعمال لا تتفاضل بصُورها وعددها ، وإنما تتفاضل بتفاضل

---

(٥٠) كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

ما في القلوب ...

● **وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل ـ :** فمعلوم أنه لا يَجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله ، ولا يَجب على كل أحد من الإيمان المفصَّل مما أخبر به الرسول ما يَجب على من بلغه خبره ، كما في حق النجاشي وأمثاله . وأما الزيادة بالعمل والتصديق الذي لا يستلزمه ، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به...، وأيضًا : فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً ، يَجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أُمِرَ به ، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يَجب على غيره الإيمان به إلا مجملاً ، وهذا يَجب عليه فيه الإيمان المفصَّل . وكذلك الرجل أول ما يُسلم ، إنما يَجب عليه الإقرار المجمل ، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبِها ويؤديها ، فلم يتساو الناس فيما أُمِروا به من الإيمان ...

● وإذا كان النِّزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعًا لفظيًّا ، فلا محذور فيه ، سوى ما يَحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك ، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونَحوهم ، وإلى ظهور الفسق والمعاصي ، بأن يقول : أنا مؤمن مسلم حقًّا كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله ! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي . وبِهذا المعنى قالت المرجئة : لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله ! وهذا باطلٌ قطعًا . فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع . وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عُرفِ الشارع ، فإن الشارع ضمَّ إلى التصديق أوصافًا

وشرائطَ ، كما في الصلاة والصوم والحج ونَحو ذلك[٥١] .

● فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله : أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق ، قال تعالى خبرًا عن إخوة يوسف : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] ، أي : بمصدِّقٍ لنا ، ومنهم من ادَّعى إجماع أهل اللغة على ذلك . ثم هذا المعنى اللغوي ، وهو التصديق بالقلب ، هو الواجب على العبد حقًّا لله ، وهو أن يُصدِّق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله ، فمن صدَّق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ، والإقرارُ شرطُ إجراء أحكام الإسلام في الدنيا . هذا على أحد القولين ، كما تقدم ، ولأنه ضد الكفر ، وهو التكذيب والجحود ، وهما يكونان بالقلب ، فكذا ما يضادُّهما . وقوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، يدلُّ على أن القلب هو موضع الإيمان ، لا اللسان ، ولأنه لو كان مركبًا من قول وعمل ، لزال كله بزوال جزئه ، ولأن العمل قد عُطف على

---

(٥١) ●لا !! ، ليس النِّزاعُ في ذلك صوريًّا أو لفظيًّا كما قال العلامةُ الشارح !!

●إذْ كيف يستوي قول من قَصَرَ الإيمان ـ شرعًا ـ على أنه : « تصديق بالقلب ونطق باللسان » فقط بِمَنْ زاد على ذلك أنه : « عملٌ بالجوارح والأركان ، وأنه يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعصيات بل وبالغفلات أيضًا » ؟!! .

●كيف يستوي قول مَنْ قال : « الإيمان واحدٌ ، بِمَنْ قال : ليس بواحدٍ ، بل الناسُ المتَّصِفُونَ به متفاوتون في تَحقيقه والثبات على درجات كَمَاله » ؟!! .

●كيف يستوي القولُ الخارجُ عمَّا كان عليه السلفُ الكرامُ ـ وهو قول المرجئة ـ بِما كان عليه سلفنا القائلون بأن الإيمان : « قول وعمل ويزيد وينقص » ؟!! .

●كيف يستوي القولُ المحرَّفُ لِمَا ذُكِرَ ـ صراحةً ـ في كثير من الآيات وكثيرٍ من الأحاديث الصحيحة المتواترة في هذا الباب بقول السلف المثبتين هذا كُلَّهُ جملةً وتفصيلاً .

●وانظر ـ لزامًا ـ التعليق السابق رقم [٤٧] .

الإيمان ، والعطف يقتضي المغايرة ، قال تعالى : ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة : ٢٥] وغيرها ، في مواضع من القرآن .

● وقد اعتُرِض على استدلالِهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق ـ بِمنع الترادف بين التصديق والإيمان ، وهب أن الأمر يصحُّ في موضع ، فلِمَ قلتم إنه يوجب الترادف مطلقًا .

● ـ هذا ، وقد اعترضوا أيضًا بأنه ـ : لَمْ يُقابَلْ لفظُ الإيمانِ فقط بالتكذيب كما يقابَل لفظ التصديق ، وإنما يقابَل بالكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل لو قال : أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ـ : لكان كفرًا أعظم ، فعُلم أن الإيمان ليس التصديقَ فقط ، ولا الكفر التكذيب فقط ، بل إذا كان الكفر يكون تكذيبًا ، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب . فكذلك الإيمان ، يكون تصديقًا وموافقة وموالاة وانقيادًا ، ولا يكفي مجرد التصديق ...

● ـ واعترضوا أيضًا فقالوا : و ـ التصديق يكون بالأفعال أيضًا . كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ : ـ في زِنا بعض الجوارحِ ... ـ : « وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ ويُكذِّبُه » . « صحيح »

● وقال الحسن البصري رحمه الله : ليس الإيمانُ بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمَنِّي، ولكنه ما وَقَرَ في الصدور وصَدَّقَتْه الأعمال .

● ولو كان تصديقًا فهو تصديق مخصوص ، كما في الصلاة ونَحوها كما قد تقدم ، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييرًا له ، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق ، بل بإيمان خاص ، وصفه وبيَّنه . فالتصديق الذي هو الإيمان ، أدنَى أحواله أن يكون نوعًا ـ خاصًّا ـ مِن التصديق العام !..

● ـ واعترضوا أيضًا ـ فقالوا : إنَّ الرسول ـ ﷺ ـ قد وافَقَنا على معاني الإيمان ...، ـ حيث ـ قال ﷺ ـ كما في الصحيح ـ : « **الإيمانُ بضعٌ ـ وستُّونَ ـ شُعْبَةً، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(*) :

« صحيح » ولكن بلفظ : « ... بضع وسبعون... »

● فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى : إيمانًا ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والصوم والحج ، والأعمال الباطنة ، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه ، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق ، فإنه من شُعب الإيمان . وهذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعًا ، كشعبة الشهادتين ، ومنها ما لا يزول بزوالِها إجماعًا ، كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا ، منها ما يقرب من شعبة الشهادة ، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى ، وكما أن شُعب الإيمان إيمان ، فكذا شعب الكفر كفر ، فالحكم بما أنزل الله ـ مثلاً ـ من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله كفر. وقد قال ﷺ : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » . رواه مسلم ...، إلى غير ذلك من الأحاديث الدَّالَّة على قوة الإيمان وضعفه بِحسب العملِ .

« صحيح »

● وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم ـ قَوْلُهُ ـ : « وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيانٌ »(٥٢) :

● فَسَمَّى حُبَّ الصحابة إيمانًا ، وبغضهم كفرًا .

(*) وقد توسعت في تَخريج هذا الحديث وتَحقيقه وبيان الصحيح المحفوظ مِنْ لفظِهِ: في كتابي: « الصحيح المسند من عقيدة أهل السنة والجماعة » .

(٥٢) وذلك عند الفقرة [٩٩] .

● ـ وقال المعترضونَ أيضًا ـ :

● ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب ، إذ لو أطاع القلبُ وانقادَ، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة. قال ﷺ ـ كما في «الصحيحين» ـ : « **إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لَها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب** » . فمن صلح قلبه صلح جسده قطعًا ، بخلاف العكس . « صحيح »

● وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوالُ كُلِّه ، فإن أُريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت ، فمسلَّم . ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء ، فيزول عنه الكمال فقط .

● ـ وقال المعترضون أيضًا ـ :

● والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا : منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال : ٢] . ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾ [مريم : ٧٦] . ﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ﴾ [المدثر : ٣١] . ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ [الفتح : ٤] . ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

وقال تعالى : ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥] ...،

وقال ﷺ ـ كما في « الصحيحين » ـ : « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحبَّ إليه من وَلَدِه وَوَالِدِه والنَّاسِ أجمعين** » . والمراد : نفي الكمال، ونظائِرُهُ كثيرةٌ ، وحديثُ شُعَبِ الإيمانِ ـ السابق ذكره آنفًا يدلُّ على ذلك أيضًا ـ ... « صحيح »

● فكيفَ يُقال بعد هذا : إنَّ إيمان أهل السموات والأرض سواء ؟! وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان ؟! وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضًا(٥٣) .

● ـ وقال المعترضون أيضًا ـ : وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة ، فلا يكون العمل داخلاً في مُسَمَّى الإيمان ـ : فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقًا عن العمل وعن الإسلام ، وتارة يقرن بالعمل الصالح ، وتارة يقرن بالإسلام . فالمطلق مستلزم للأعمال ، قال تعالَى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٢] الآية . ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [الحجرات : ١٥]، الآية . ﴿**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [المائدة: ٨١]. وقال ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ** » ، الحديث ، ـ وهو في « الصحيحين » ـ ، وقال ـ ﷺ أيضًا ـ : « **لا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا** » ـ رواه مسلمٌ ـ . « صحيح » « صحيح »

---

(٥٣) وقد علَّقَ العلامةُ ابن بازٍ ـ في تعليقه على متن الطحاوية هذا ـ على هذا ـ أيضًا ـ فقال : « قوله : (والإيمان واحدٌ . وأَهْلُهُ في أصله سواء) . هذا فيه نظر ، بل هو باطل ، فليس أهلُ الإيمانِ فيه سواءً بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم مثل إيمان غيرهم وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين وهذا التفاوت بِحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وما شرعه لعباده وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة ومن قال بقولهم . والله المستعان » اهــ .

● أما إذا عطف عليه العمل الصالح ، فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذُكر لهما ، والمغايرة على مراتب : أعلاها : أن يكونا متباينين ، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءًا منه ، ولا بينهما تلازم ، كقوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [الأنعام : ١] . ﴿ **وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ** ﴾ [آل عمران : ٣] . وهذا هو الغالب ، ويليه : أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ٤٢] . ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [المائدة : ٩٢] . الثالث : عطف بعض الشيء عليه ، كقوله تعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ﴾ [البقرة : ٩٨] . ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ** ﴾ [الأحزاب : ٧] . وفي مثل هذا وجهان : أحدهما : أن يكون داخلاً في الأول ، فيكون مذكورًا مرتين . والثاني : أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا ، وإن كان داخلاً فيه منفردًا ، كما قيل مثل ذلك في لفظ «الفقراء والمساكين» ونَحوهما ، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران . الرابع : عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾ [غافر : ٣] . وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط ، كقوله :

❋ **فألفى قولَها كذبًا ومينًا** ❋

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة : ٤٨]. والكلام على ذلك معروف في موضعه.

● فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه ، نظرنا في

كلام الشارع : كيف ورد فيه الإيمان فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البِر ، والتقوى ، والدِّين ، ودين الإسلام ... :

● وفي « الصحيح » : قولُهُ ـ ﷺ ـ لوفدِ عبد القيسِ : « آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدُّوا الخُمس من المغنم » . « صحيح »

ومعلوم أنه لم يُرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان . وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مُسَمَّى الإيمان فوق هذا الدليل ؟ فإنه فسَّر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق ، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود ...، وفي حديث سؤالات جبريلَ في معنى الإسلام والإيمان ... قال النبيُّ ﷺ : « هَذَا جبَرائيل أتاكم يعلمكم دينكم » . « صحيح »

فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان ، فتبين أن ديننا يَجمع الثلاثة . لكن هو درجات ثلاثة : مسلم ، ثم مؤمن ، ثم محسن . والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعًا ، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجردًا عن الإيمان ، هذا محال ...

● ـ ثم ختم المعترضون كلامهم بقولِهم ـ : فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر ...، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة ، أعني في الإفراد والاقتران ، منها : لفظ الكفر والنفاق ، فالكفر إذا ذكر مفردًا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] . ونظائره كثيرة . وإذا قرن بينهما كان الكافر مَنْ

أَظهرَ كفره ، والمنافق مَنْ آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ...، وكذلك الإسلام والإيمان : إذا قرن أحدهما بالآخر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ... كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر ...، وإذا انفرد أحدهما شمل معنَى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره ، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فهل يقال في قوله تعالى : ﴿ **إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾ [المائدة : ٨٩] أنه يعطى المقلُّ دون المعدم ، أو بالعكس ؟ وكذا في قوله تعالى : ﴿ **وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٧١] .

● ـ هذا ، ـ والواجبُ رَدُّ مواردِ النِّزاع إلى الله ورسوله . وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة ، ولا معارضة بحمد الله تعالى ، ولكن الشأن في التوفيق ، وبالله التوفيق .

● قوله : « وجميع ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كلُّهُ حقٌّ » . يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة ، القائلين بأن الأخبار قسمان : متواتر وآحاد ، فالمتواتر ـ وإن كان قطعيَّ السند ـ لكنه غير قطعي الدلالة ، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين !! ولِهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات ! قالوا : والآحاد لا تفيد العلم ، ولا يُحتج بِها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ! فسدُّوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسْمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ، ومقدمات خيالية ، سَموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية !! وهي في التحقيق ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ**

كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٣٩ ـ ٤٠] ...

● وطريق أهل السنة : أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوه بمعقولٍ ولا قولِ فلانٍ ، كما أشار إليه الشيخُ رحمه الله ، وكما قال البخاري رحمه الله : سَمعت الحميديَّ يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله ، فأتاه رجل فسأله عن مسألةٍ ، فقال : قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا . فقال رجل للشافعي : ما تقول أنت ؟! فقال : سبحان الله أتراني في كنيسة أتراني في بَيْعةٍ أتراني على وسطي زنار؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ . وأنت تقول : ما تقول أنت ؟! ، ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى : **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾** [الأحزاب : ٣٦] ...(٥٤)

[٧٢] قوله : (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن) .

● ش : قال تعالى : **﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾** [يونس : ٦٢ ـ ٦٣] الآية ...

● فالمؤمنون أولياء الله ، والله تعالى وليهم ، قال الله تعالى : **﴿ اللَّهُ وَلِيُّ**

---

(٥٤) ● هذا ، وقد توسَّعَ العلامة الشارحُ في هذه الفقرة توسعًا كبيرًا في نقل الخلاف في مسألة الإيمان وحَدِّه ونَقْلِ أدلة الموافقين لمذهب الطحاوي والمخالفين له :

● وَلا ريب : أنَّ أدلة المخالفين حَقٌّ وبرهانٌ ونورٌ وضياءٌ ، وكيف لا تكون كذلك ، ومذهب المخالفين هؤلاء هو هو مذهبُ سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى ؟!! ، وانظر ـ للمزيد ـ شرح الفقرة الآتية رقم [٧٤] .

الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، الآية. وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ [محمد : ١١] ...، فالله يتولى عباده المؤمنين ، فيحبهم ويُحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، ومن عادى له وليًّا فقد بارزه بالمحاربة . وهذه الولاية من رحمته وإحسانه .

• والولاية أيضًا نظير الإيمان ، فيكون مراد الشيخ : أن أهلها في أصلها سواء ، وتكون كاملة وناقصة .

• أَمَّا أولياءُ الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى : ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ** ﴾ [يونس : ٦٢ ـ ٦٤] ، الآية . والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون. فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح ـ ويَجتنبون المحرمات ـ . والسابقون : الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ـ وبترك المكروهات بعد المحرمات ـ . كما في « صحيح البخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله تعالى : من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل ، حتى أحبَّه ، فإذا أحببته كنتُ سَمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بِها ، ورجله التي يمشي بِها ، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذنِي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي**

« ثابت » **عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموتَ وأكره مساءته »** . والولي : خلاف العدو ، وهو مشتق من الولاء ، وهو الدنو والتقرب ، فولي الله : هو من والى الله بموافقته محبوباته ، والتقرب إليه بمرضاته .

[٧٣] قوله : (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن) .

● ش : أراد أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله والأتبعُ للقرآن ، وهو الأتقى ، والأتقى هو الأكرم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

[٧٤] قوله : (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى) .

● ش : تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين ، وبِها أجاب النبي ﷺ في حديث جبرائيل المشهور المتفق على صحته ، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابيٍّ ، وسأله عن الإسلام ؟ فقال : « **أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن مُحمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتِي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتَحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً** » . وسأله عن الإيمان ؟ فقال : « **أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . وسأله عن الإحسان ؟ فقال : « **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » ... ـ رواه مسلم ـ . « صحيح »

● وَفسَّرَ ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس ، المتفق على صحته ، حيث قال لَهم : « **آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟**

شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم » . ومعلوم أنه لم يُرِد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر في غير موضع أنه لابد من إيمان القلب . فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان ، وقد تقدم الكلام على هذا ... (٥٥) « صحيح »

● والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق ، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة ، فإن تلك إنما فسرتْها السنة ، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة .

● فَمِنَ الكتابِ : قولُهُ تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٢] الآية . وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [الحجرات : ١٥]، الآية. وقوله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] ، فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية ـ : دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ، فمن تركها كان من أهل الوعيد ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب ، الذي وُعِدَ أَهْلُهُ بدخول الجنة بلا عذاب :

● ولا يقال : إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبرائيل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة ، لأنه فسر الإيمان في حديث جبرائيل بعد تفسير الإسلام ، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام ، كما

---

(٥٥) وذلك عند شرح الفقرة الآتية رقم [٧٤] .

أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره . بخلاف حديث وفد عبد القيس ،لأنه فسره ابتداءً ، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام . ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان ، فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه (٥٦).

● وقوله : « والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، من الله تعالى » ـ تقدم قوله ﷺ في حديث جبرائيل : « **وتؤمن بالقدر خيره وشره** » ، وقال تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾ [التوبة : ٥١] وقال تعالى: ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ [النساء : ٧٨] ، ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: ٧٩]، الآية .

« صحيح »

● وَفَرَّقَ سبحانه وتعالَى بين الحسنات التي هي النعم ، وبين السيئات التي هي المصائب ، فجعل هذه من الله ، وهذه من نفس الإنسان ، لأن الحسنة مضافةٌ إلى الله ، إذ هو أحسنَ بِها من كل وجه ، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه ، وأما السيئة ، فهو إنما يَخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإن الرب لا يفعل سيئة قط ، بل فعله كله حسن وخير .

---

(٥٦) وهذا الإشكال الذي أُلزم به الإمام الطحاويُّ رحمه الله تعالى إنما أوردَ عليه لكونه قد اقتصر في تعريف الإيمان ـ شرعًا ـ على أنه : « التصديق بالقلب والنطق باللسان » دون إقرار ذلك بعمل الجوارح والأركان ، ومذهبه في ذلك باطل مخالف لمذهب سلفنا الصالح ، ومذهبه في ذلك ـ أيضًا ـ هو مذهب المرجئة ، وقد سبق تفصيل بطلان مذهبه هذا في ثنايا هذا المختصر وبعض التعليقات عليه ، والله المستعان وعليه التكلان .

● ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح : « **والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك** »(٥٧) . أي : فإنك لا تخلق شرًّا محضًا ، بل كل ما يَخلقه ففيه حكمة ، هو باعتبارها خيرٌ ، ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس ، فهذا شرٌّ جزئي إضافي ، فأما شر كلي ، أو شر مطلق ـ : فالرب سبحانه وتعالى منَزَّه عنه وهذا هو الشر الذي ليس إليه ، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات ، كقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الرعد : ١٦] ، ﴿ **كُلٌّ مِّن عِندِ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ٧٨] ، وإما أن يضاف إلى السبب ، كقوله : ﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ [الفلق : ٢] ، وإما أن يُحذف فاعله ، كقول الجن : ﴿ **وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ [الجن : ١٠] .

● وليس إذا خلق ما يتأذَّى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة ، بل لله من الرحمة والحكمة ـ ما ـ لا يقدِّرُ قَدْرَهُ إلا الله تعالى ، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة ـ يكون شرًّا كليًّا عامًّا ، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرًا أو مصلحةً للعباد ، كالمطر العام ، وكإرسال رسول عام ...

● وفي قوله : « فمن نفسك » ـ مِنَ الفوائد : أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها ، فإن الشر كامن فيها ، لا يَجيء إلا منها ، ولا يشتغل بِملام الناس ولا ذمهم إذا أساءوا إليه ، فإن ذلك من السيئات التي أصابته ، وهي إنما أصابته بذنوبه ، فيرجع إلى الذنوب ، ويستعيذ بالله من شر

---

(٥٧) وهذا جزءٌ من حديث مطوَّل، أخرجه مسلم [٧٧١] وغيره، ومداره على يعقوب بن أبي سلمة الماجِشَون ، وله ـ كما قال أبو سعدٍ ـ أحاديث يسيرة ، ومع قلة حديثه لم يوثَّقْ توثيقًا قويًّا !!.

نفسه وسيئات عمله ، ويسأل الله أن يعينه على طاعته ، فبذلك يَحصل له كل خير ، ويندفع عنه كل شر .

[٧٥] قوله : (ونحن مؤمنون بذلك كله ، لا نُفَرِّق بين أحد من رسله ، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به) .

● ش : الإشارة بذلك إلى ما تقدم ، مما يجب الإيمان به تفصيلاً .

● وقوله : « لا نُفرق بين أحد من رسله ، إلى آخر كلامه » أي : لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بِهم ونصدقهم كلهم ، فإنَّ من آمن ببعض وكفر ببعض ، كافر بالكل . قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا** ﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥١] . فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن به منهم موجود في الذي لم يؤمن به ، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين ، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافرًا بِمن في زعمه أنه مؤمن به ، لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم ، فكان كافرًا حقًّا ، وهو يظن أنه مؤمن ، فكان من الأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنَّهم يُحسنون صنعًا [٥٨] .

(٥٨) ● وكوننا لا نفرِّقُ بين أحد من رسل الله تعالى ـ صلى الله عليهم وسلم ـ إنما معناه : أننا لا نُفَرِّقُ بينهم من حيث إثباتُ الرسالة لهمْ وإثباتُ أنَّهم كانوا على الحقِّ المبين والملة الحنيفية : ملة التوحيد والإسلام :

● وليس معناه : أنَّهم مُتَّحدون متساوون في الفضل والمكانة عند الله تعالى ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ ، وقال تبارك وتعالى ـ أيضًا ـ : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ ، وهذا التفصيل الذي ذكرته آنفًا هو ما عليه أهل السنة والجماعة قاطبةً ، وقد أجمعوا ـ قاطبةً ـ أيضًا على أن أفضل الأنبياءِ والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هو سيدنا محمد ﷺ .

[٧٦] قوله : (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحِّدون ، وإنْ لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين . وهم في مشيئته وحكمه ، إنْ شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر عز وجل في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨، ١١٦] وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يبعثهم إلى جنته . وذلك بأن الله تعالى تولَّى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته . اللهم يا وليَّ الإسلام وأهْلِهِ ، ثَبِّتْنا على الإسلام حتى نلقاك به) .

● ش : فقوله : « وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يُخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون » ردٌّ لقول الخوارج والمعتزلة ، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار . لكن الخوارج تقول بتكفيرهم ، والمعتزلة بِخروجهم عن الإيمان ، لا بدخولِهم في الكفر ، بل لهم منْزلة بين منْزلتين ، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله : « ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله »[٥٩].

● وقوله : « وأهل الكبائر من أمة محمد » تَخصيصه أمة محمد ، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قَبْلَ نَسْخِ تلك الشرائعِ به ، حُكْمُهُمْ مُخالفٌ لأهلِ الكبائر من أمة مُحمد . وفي ذاك نظر ، فإن النبي ﷺ أخبر ـ كما في « الصحيحين » : « **يَخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة**

(٥٩) وذلك عند الفقرة رقم [٦٧] .

« صحيح » **من إيمان »** ، و لم يَخص أمته بذلك ، بذلك ذكر الإيمان مطلقًا ، فتأمله :

● هذا ، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة .

● وقوله : « في النار » معمول لقوله : « لا يُخلدون » . وإنَّما قدمه لأجل السجعة ، لا أن يكون في النار خبر لقوله : وأهل الكبائر ، كما ظنه بعض الشارحين !.

● واختلف العلماء في الكبائر على أقوال ، فقيل : سبعة ، وقيل : سبعة عشر . وقيل : ما اتفقتِ الشرائعُ على تَحريمه . وقيل : ما يسد بابَ المعرِفة بالله ...، وقيل : كلُّ ما نَهى اللهُ عنه فهو كبيرة ، وقيل : إنَّها ما يترتب عليها حَدٌّ أوْ تُوُعِّدَ عليها بالنار أو اللعنةِ أو الغضبِ :

● وهذا ـ الأخيرُ هو ـ أمثل الأقوالِ .

● ـ هذا ، وقد ـ اختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر : فمنهم من قال : الصغيرة ما دون الحدَّيْن : حد الدنيا وحد الآخرة. ومنهم من قال: كل ذنب لم يُختم بلعنة أو غضب أو نار . ومنهم من قال : الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ، والمراد بالوعيد : الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب ، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا ، أعنِي المقدَّرة ، فالتعزيز في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب . وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره ، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة ، كالشرك ، والقتل ، والزنا ، والسحر ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، ونَحو ذلك ، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور ، وأمثال ذلك .

● ـ هذا ، ـ وترجيح هذا القول من وجوهٍ :

● أحدهما : أنه هو المأثور عن السلف ، كابن عباس ، وابن عيينة ، وابن حنبل رضي الله عنهم ، وغيرهم .

● الثاني : أن الله تعالَى قال : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] . فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أُوعِد بغضب الله ولعنته وناره ، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرةً عنه باجتناب الكبائر .

● الثالث : أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب ، فهو حد متلقى من خطاب الشارع .

● الرابع : أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر ، بخلاف تلك الأقوال(٦٠) .

● وقوله : « وإن لم يكونوا تائبين » لأنَّ التوبة لا خلاف أنَّها تَمحو الذنوبَ(٦١) ، وإنَّما الخلاف في غير التائب.

● وقوله : « بعد أن لقوا الله تعالَى عارفين » لو قال : مؤمنين ، بدل قوله : عارفين ، كان أولى ، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر . وإنَّما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم ، وقوله مردود باطل ، كما تقدم(٦٢)

---

(٦٠) وانظر كلامًا مفيدًا جدًّا في التفريق بين الكبائر والصغائر في بحث قَيِّمٍ للإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالَى ـ في كتابه : « مدارج السالكين » [٣٤٢/١ ـ إلى ـ ٣٦١] .

(٦١) وذلك باستثناء ما كان من الذنوب متعلِّقًا بِحقوق العباد ، فذلك لابد فيه من إرجاع الحقوق إلى أهلها أو استسماحهم إذا لم يُقْدَرْ على هذا الإرجاع ، وثَمَّ بعض التفاصيل في مسألة ما يتعلق بِحقوق العباد ليس هذا مجال ذكرها .

(٦٢) وذلك عند الفقرة رقم [٧١] .

فإن إبليس عارف بربه ، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر : ٣٦] . ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وكذلك فرعون وأكثر الكافرين . قال تعالَى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] . ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٥] . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنَى .

● ـ هذا ، ـ وكأن الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء ، التي يشير إليها أهل الطريقة ، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر ، بل هم سادة الناس وخاصتهم (٦٣) .

● وقوله : « وهم في مشيئة الله وحكمه ، إن شاء غفر لَهم وعفا عنهم بفضله » إلى آخر كلامه ـ فَصَّل الله تعالى بين الشرك وغيره لأن الشرك أكبر الكبائر ، كما قال ـ معناه ـ ﷺ ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور ، وعلَّق غفران ما دونه بالمشيئة ، والجائز يعلَّق بالمشيئة دون الممتنع ، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنًى . ولأنه علق هذا

« صحيح »

---

(٦٣) ● جملة : « أهْلُ الطريقة » المراد بِها هنا : مَنْ يعرفون بالْمُتَصَوِّفَة أو الصوفية ، وهؤلاء عند كثير منهم حقائق المعرفة ، وعند أكثرهم بدع وشطحات ومنكرات ، ومَنْ كانت منهم عنده حقائق المعرفة بالله تعالَى فلا يخلو من أنْ يكون على علمٍ بشرع الله تعالى ، أو على اتِّباعٍ لأئمة العلم والدِّين من العلماء الرَّبانيين ، وعليه :

● فإطلاق هذه الجملة من العلامة الشارح على وجه المدح هكذا دون تَمييز بِمن هم المرادون منها فيه نظرٌ ، وقد يُلَبِّس على بعض الجهال ، وعليه ، فكان ينبغي للمؤلِّفِ أنْ يُميز أهل الحق من أهل الطريقة هؤلاء ، والله المستعان سبحانه !! :

● هذا ، وهذا التنبيه السابق هنا إنَّما هو على فرض التسليم بالتَّحَدُّث بِمثل هذه الجملةِ ـ جملةِ : أهل الطريقةِ ـ ، وإلاَّ فإنا لَمْ نَرَ التَّحَدُّثَ به مُستَساغًا عند المحققين من أهل العلم الكرام !! .

الغفران بالمشيئة ، وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به ، غير مُعَلَّقٍ بالمشيئة(٦٤) ، كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣] . فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة .

● وقوله : « ذلك أن الله تولَى أهل معرفته » ـ فيه مؤاخذة لطيفة ، كما تقدم ـ قبيل سطورٍ ـ .

● وقوله : « اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكنا بالإسلام » ، وفي نسخة : « ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به » ، روى شيخ الإسلام أبو إسْماعيل الأنصاري في كتابه « الفاروق » ، بسنده عن أنس رضي الله عنه ، قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول : « **يا وليَّ الإسلام وأهله ، مسِّكني بالإسلام حتى ألقاك عليه** »(٦٥) ومناسبةُ ختم الكلام المتقدم بِهذا الدعاء ظاهرة. وبِمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه ، حيث قال: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: ١٠١] . وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه ، حيث قالوا : ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٢٥] .

---

(٦٤) وانظر ـ لزامًا ـ التعليق السابق رقم [٦١] .

(٦٥) **إسناده ضعيف !**

وقد توسعت في تَخريجه وتَحقيقه في : «الموسوعة في ذِكْرِ الأحاديث الضعيفة والموضوعة» عند رقم [٧٧] .

[٧٧] قوله : (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم) .

● **ش :** قال ﷺ : « **صَلُّوا خلفَ كلِّ بَرٍّ وفاجر** » رواه مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الدارقطني ، وقال : مكحول لم يلقَ أبا هريرة . وفي إسناده معاوية بن صالح ، متكلَّمٌ فيه ، وقد احتج به مسلمٌ في صحيحه(٦٦)...، وفي «صحيح البخاريِّ» : أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يصلي خلف الحجَّاج بن يوسف الثقفي ، وكذا أنس بن مالك ، وكان الْحجَّاج فاسقًا ظالِمًا . وفي «صحيحه» أيضًا ، أن النبي ﷺ قال : « **يُصَلُّونَ لكُم ، فإن أصابوا فلكم ولَهم ، وإن أخطأوا فلكم وعليهم** »(٦٧) .

---

(٦٦) **لا يثبت ! :**

وقد توسعت في تَخريجه في : « الموسوعة » عند رقم [٩٩] .

(٦٧) ليس في رواية البخاري [٦٩٤] لفظة : «ولَهم» ، وإنَّما هي عند أحمد [٢/٣٥٥ ـ ٥٣٧] بَيْدَ أنَّ شيخنا العلامة الألبانِي قد ذكر في « صحيح الترغيب .. » [١/١٩٤/حاشية] أنَّها في بعض نسخ البخاري :

● وعلى كل حال فمدار هذا اللفظ عندهما ـ وعند غيرهما أيضًا ـ على عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، وهو ـ كما قال أبو حاتم الرازي ـ : « فيه لين ، يكتب حديثه ولا يحتج به » ، وقد ضَعَّفَه الناس حتى قال الدارقطنِي : « خالف فيه البخاريُّ الناسَ ، وليس بِمتروكٍ » .

● وقد ورد نَحو هذا اللفظ من طريق آخر عن أبِي هريرة مرفوعًا .

فقال الشافعي في « الأم » [١/٢٤٦ ـ ٢٤٧] : « روى صفوان بن سليم عن ابن المسيب عن أبِي هريرة مرفوعًا بنحوه » :

● وهذا إسناد صحيح لولا ما فيه من الانقطاع ، إذْ إنَّ الإمامَ الشافعيَّ لَمْ يُدركْ صفوانَ بنَ سُليمٍ!!

● نَعَمْ : وصله ابن حبان [٢٢٢٥/ إحسان] من طريق أبِي أيوب الإفريقي عبد الله بن عليٍّ عن صفوان به :

● فهذا لا حكم له بالصحة ـ أيضًا ـ إذ الإفريقي هذا هو ـ كما قال أبو زرعة الرازي ـ : « ليس =

● واعلم ، رحمك الله وإيانا : أنه يَجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يَعلم منه بدعة ، ولا فسقًا ، باتفاق الأئمة ، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ، ولا أن يَمتحنه ، فيقول : ماذا تعتقد ؟! بل يصلي خلف المستور الحال ، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته ، أو فاسق ظاهر الفسق ، وهو الإمام الراتب الذي لا يُمكنه الصلاة إلا خلفه ، كإمام الجمعة والعيدين ، والإمام في صلاة الحج بعرفة ، ونَحو ذلك ـ : فإن المأموم يصلي خلفه ، عند عامة السلف والخلف . ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر ، فهو مبتدع عند أكثر العلماء . والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها ...

● والفاسق والمبتدع صلاتُه في نفسها صحيحة ، فإذا صلّى المأْموم خلفه لم تُبْطَلْ صلاتُهُ :

● لكن : إنَّما كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصلاةَ خلفه ، لأنَّ الأمْرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجب .

● ومن ذلك : أن من أظهر بدعة وفجورًا لا يُرَتَّبُ إمامًا للمسلمين ، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب ، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسنًا ، وإذا كان بعض الناس إذا تَرك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثَّرَ ذلك في إنْكار المنكر حتى يتوب أو يُعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه ـ : فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية ، ولم تَفُتِ المأمومَ جمعةٌ

=

بالمتين ، في حديثه إنْكار ، هو لينٌ » !!

● نعم : قد ورد شاهد لِهذا الحديث من حديث عقبة بن عامر ، وقد صححه البعض ، و ـ بعد البحث ـ لَمْ أَقْتَنعْ بذاك التصحيحِ !

ولا جماعةٌ . وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يُفَوِّتُ المأمومَ الجمعةَ والجماعةَ، فهنا لا يَترك الصلاة خلفه إلا مبتدعٌ مخالفٌ للصحابة رضي الله عنهم . وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه ولاة الأمور ، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية ، فهنا لا يترك الصلاةَ خلفه ، بل الصلاة خلفه أفضل ، فإذا أمكن الإنسان أن لا يُقَدِّمَ مُظْهِرًا للمنكر في الإمامة ، وجب عليه ذلك ، لكن إذا وَلاهُ غَيْرُهُ ، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة ، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشرٍّ أعظم ضررًا من ضَرَرِ ما أظهر من المنكر ـ : فلا يَجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ، ولا دفع أخف الضررين بِحصول أعظمهما ، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، بِحسب الإمكان . فتفويتُ الجمع والجماعات أعظمُ فسادًا من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر ، لا سيما إذا كان التخلُّف عنها لا يدفع فجورًا، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة .

• وأما إذا أمكن فعلُ الجمعة والجماعة خلف البرِّ ، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر . وحينئذ ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر ، فهو موضع اجتهاد العلماء : منهم من قال : يعيد ، ومنهم من قال : لا يعيد . وموضع بسط ذلك في كتب الفروع .

• واما الإمام إذا نسي أو أخطأ ، ولم يعلم المأمومُ بِحاله ، فلا إعادة على المأموم ، للحديث المتقدم ـ آنفًا عند البخاري ـ ...

• ـ وأمَّا ـ لو علم أن إمامه بعد فراغه كان على غير طهارة ، أعاد عند أبِي حنيفة ، خلافًا لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه . وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغُ عند المأموم . وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع .

• ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء !! فليس له أن يصلي خلفه ، لأنه لاعبٌ وليس بِمُصَلٍّ .

• وقوله : « وعلى من مات منهم » أي : ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يُستثنَى من هذا العموم البُغاةُ وقطّاع الطريق ، وكذا قاتلُ نفسه ، خلافًا لأبي يوسف ، لا الشهيد ، خلافًا لمالك والشافعي رحمهما الله ، على ما عرف في موضعه .

• لكنَّ الشيخَ إنما ساق هذا لبيان أنّا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور ، لا للعموم الكُلّي .

• ولكن المظهرون للإسلام قسمان : إما مؤمن ، وإما منافق ، فمن عُلِمَ نفاقه لم تَجُزِ الصلاةُ عليه والاستغفارُ له ، ومن لم يُعلم ذلك منه صُلي عليه . فإذا عَلِمَ شخص نفاقَ شَخصٍ لم يُصلِّ هو عليه ، وصلى عليه من لم يعلم نفاقَهُ (٦٨) ...

[٧٨] قوله : (ولا نُنزلُ أحدًا منهم جنةً ولا نارًا) .

• ش : يريد : أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار ، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم (٦٩) .

(٦٨) والمراد بالنفاق في كلام الشارح هنا هو النفاقُ الأكبر الْمُخْرِجُ من الإسلام .

(٦٩) • وهؤلاء العشرة المشهور مِنْ مَذْهَب أهل السنة والجماعة أنّهم مشهود لَهم بالجنة ـ جعلنا الله تعالى من أَهْلِهَا ـ ، وهؤلاءِ العشرة هم : « أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبِي طالب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبِي وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، رضي الله تعالى عنهم جميعًا » .

• وانظر ـ للمزيد ـ التعليق الآتِي برقم [١٢٠] .

● وإنْ كنا نقول : إنه لابد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار ، ثم يَخرج منها بشفاعة الشافعين .

● ولكنا نقف في الشخص المعيَّن ، فلا نَشهد له بِجنة ولا نار إلا عن علم ، لأن الحقيقة باطنة ، وما مات عليه لا نُحيط به ، لكن نرجو للمحسنين ، ونَخاف على المسيئين .

● وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال :

أحدها : أن لا يُشهد لأحد إلا للأنبياء ، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية ، والأوزاعي .

والثانِي : أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص ، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث .

والثالث : أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون ، كما في «الصحيحين»: أنه مُرَّ بِجنازة، فأَثْنَوْا عليها بِخير، فقال النبي ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، ومُرَّ بأخرى، فأُثْنِي عليها بشَرٍّ، فقال: «**وَجَبَتْ**»... فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هذا أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شَرًّا وجبتْ له النارُ ، أنتم شهداء الله في الأرض** » [٧٠] ... « صحيح »

[٧٩] قوله : (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى) .

---

(٧٠) ● وهذا القول الثالث هو الصواب في هذه المسألةِ ، والدليل عليه ظاهر حديث «الصحيحين» هذا ، ولكنْ :

● يَجب أنْ يُعلم أنَّ المؤمنين الذينَ هم شهداءُ الله في الأرض إنَّما هم أهل الصلاح والاستقامة والفضل وليسوا كل من انْتَسبَ إلى عموم المسلمين !

وانظر ـ للمزيد ـ « فتح الباري » [٣/٢٢٩ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١] .

● ش : لأننا قد أمرنا بالحكم بالظاهر ، ونُهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم . قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات : ١١] ، الآية . وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] . وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

[٨٠] قوله : (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف) .

● ش : في ـ « الصحيحين » ـ عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **لا يحل دمُ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيِّب الزانِي ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** »[٧١] ... « صحيح »

[٨١] قوله : (ولا نَرَى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننزع يدًا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، ما لم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة) .

● ش : قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

(٧١) ● ثَمَّ أُمورٌ أُخرى ـ غير ما ذكرنا في هذا الحديث ـ يُقتلُ بِها المسلم أو المسلمةُ ، منها ترك الصلاة ، والأدلة على هذا كثيرة ، وعليه :

● فهذا الحديث يُحْمَلُ على المسلم الذي لم يأْتِ بشيء ـ غير ما ذكر في هذا الحديث ـ يَسْتَوْجِبُ قتله ، وذلك جَمْعًا بين النصوص الكريمة في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] . وفي ـ « الصحيحين » عن أبي هريرة ـ عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني** » ...، وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبْرًا فمات ، فميتَتُهُ جاهلية** » ـ أخرجاه في « الصحيحين » ، واللفظ لمسلم ـ ، وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **خيار أئمتكم الذين تُحبونَهم ويُحبونكم ، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تُبغضونَهم ويُبغضونَكم ، وتلعنونَهم ويلعنونكم** » ، فقلنا : يا رسول الله ، أفلا نُنَابذهم بالسيف عند ذلك ؟ قال : « **لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا مَن ولِيَ عليه والٍ ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينْزعنَّ يدًا من طاعته**»(٧٢) .

« صحيح » « صحيح »

● فقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ، ما لم يأمروا بمعصية :

● فتأمل قوله تعالَى : **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [النساء : ٥٩] ـ كيف قال : **﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾** ، ولَم يقل : وأطيعوا أولي الأمر منكم ؟ لأن أولي الأمر لا ينفردون بالطاعة ، بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله . وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع

(٧٢) ● هذا الحديث مداره على مسلم بن قَرَظَة عن عوف به ، ومسلمٌ هذا لم يعرف بتوثيق متينٍ أو معتبر ، فالقلب لا يطمئنُّ لماي يتفرد به .

● وقد أخرجه مسلم [١٨٥٥] وغيره من طريق مسلم هذا به ، وكذلك : فإن في الطريق إلى مسلم هذا نظرًا وكلامًا !! :

وانظر ـ لزامًا ـ التعليق الآتي رقم [٧٣] .

الله ، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله ، بل هو معصوم في ذلك . وأما وَلِيُّ الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله ، فلا يُطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله:

● وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا ، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعافُ ما يَحصل مِنْ جَوْرِهِمْ (٧٣) ، جعل في الصبر

---

(٧٣) ● مسألة الخروج على الأئمة والحُكَّام مسألةٌ خطيرةٌ جدًّا ، والكلام فيها يَحْتمل رسالةً مستقلَّةً بِهَا ، وذلك لعظَمِ خَطَرِها ولكونِ بعض الناس يرى التَّرَخُّصَ في القيام بِها أمرًا سَهْلاً أو مُقَرِّبًا إلَى الله تعالَى على أيِّ حالٍ !!:

● وسوف أُوجِزُ الكلام فيها هنا إيجازًا ، فأقول ، وبالله تعالَى التوفيق :

● هذه المسألة على النحو التالي :

١ـ حُرْمَةُ الخروج عليهم ، وذلك إنْ كانوا أئمةَ عَدْلٍ ، ويَحكمون الناس بالشرع الكريم المستقيم ، وهذا إجماع منعقد عند أهل السنة والجماعة ، ومَن خالفه فهو ـ في عداد الخوارج قاتلهم الله عز وجل .

٢ـ حرمة الخروج عليهم ، إنْ كانوا حاكمين بالشرع الكريم ، ومقيمين للصلاة ، حتى ولو كانوا أصحاب جَوْرٍ وفسق فيما يختصُّ بأنفسهم فيما بينهم وبين الله عز وجل ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أيضًا .

٣ـ حُرْمَةُ الخروج عليهم ، إنْ كانوا حاكمين بالشرع ، ومقيمين للصلاة ، حتى ولو كانوا جائرين على الناس وظالمين لهم ومغتصبين بعضَ حقوقِهم ، وهذا مذهب المحققين من أهل السنة وجمهورهم قديمًا، وأمَّا حديثًا فقد استقرَّ الأمْرُ ـ عند أهل العلم ـ على ترك هذا الخروج قولاً واحدً بينهم :

● قال الحافظ ابن حجر في « تَهذيب التهذيب » [٢/ ٢٨٨] : « ... وهذا ـ يعني الخروج بالسيف على أئمة الجور ـ مذهب للسلف قديم ، لكن استقرَّ الأمْرُ على ترك ذلك لَمَّا رأَوْه قد أَفْضَى ـ يعنِي : من الفساد والشر ـ إلى أشَدَّ منه ... » اهـ.

● وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما ـ في « المجموع » [٢٨/ ١٧٩ـ ١٨٠] : أنَّ العدل المأمور به من الصبر على ظلم الأئمة وجورهم هو من أصول السنة والجماعة ، ثم قال : « ... وأمَّا ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويلٍ سائغٍ ، أوْ غيرِ سائغٍ ، فلا يَجوز أنْ يُزال ، لما فيه من ظلم وجورٍ ، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشرَّ بما هو شرٌّ منه ، وتزيل العدوانَ بما هو أعدى منه !:

● فالخروج عليهم يُوجِبُ من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم ! ... » اهـ.

● وقال الإمام الطحاويُّ في متن الطحاوية : « ... ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاةِ أُمورِنا ، وإنْ جاروا ... » اهـ .

=

على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور ، فإن الله تعالى ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا ، والجزاء من جنس العمل ، فعلينا الاجتهادُ في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا**

● ورحم الله الإمامَ أحمد حيث قال : لا يُتَعَرَّضُ للسُّلْطَان ، فإنَّ سَيْفَهُ مسلول » اهـ !!

٤ـ فأمَّا إن كان الحُكَّامُ ليسوا ممَّن سبق ذكرهم ووَصْفُهُمْ آنفًا ، أو كانوا قد أَتَوْا بكفرٍ بَوَاحٍ صريحٍ عندَ أهل العلم الكرام ، فهذا الصِّنْفُ من الحكام فيه تفصيل ، وهذا التفصيل كما يلي :

(أ) إنْ كان خَلْعُهُمْ سَيَتِمُّ عن طريق أَهْلِ الحل والعقد ، دون إِشْهَار سلاحٍ أوْ حدوث فتنٍ ، فهذا الخلع يكون واجبًا حينئذ باتفاق أهل العلم الكرام .

(ب) وأمَّا إن كان خَلْعُهُمْ سيتم عن طريق أهل الحل والعقد أو بعضِهِم أوْ غيرهم ، ولكنْ بإشهار السلاح وحدوث فتن ، فالأصلُ والذي جرت به العادةُ في الخروج حينئذ أنه لا يأتي ـ هذا الخروج ـ إلا بالفساد والشر المستطير للبلاد والعباد ، وهذا الشرُّ وذاك الفساد مثل إزهاق الأرواح وسَفْك دماءِ أهل الإسلام وَهَتْكِ الأعراض ونَشْرِ الذُّعْرِ وتَغْييبٍ بل وذهاب الأَمْنِ والاستقرار وضرب الدعوة إلى الله تعالى وضرب أهلها الأبرياء وتشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام مَنْ لا يعرفه من الجاهلين به وبأهله ، وهذا كُلُّه دون مصلحة شرعية مُحَقَّقَة تُذْكَرُ ويُرْمَى إليها !!! ، وعليه :

● فَمَنْ سيخرج أو خرجَ أوْ يريد الخروجَ ، والحال بهذا الذي وصفتُ ، فسوف يكون عند الله تعالى من أهل الظلم والإثم والعدوان بما سيتسبَّبُ فيه مِنْ حصول هذا الفساد العظيم وذاك الشر المستطير الأليم ، ولا ريب أنه سيكون بذلك ممَّن صَدُّوا بل من أكبر مَنْ صَدُّوا عن سبيل الله عز وجل ، وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ **وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النحل : ٩٤] ! .

● هذا ، وَلْيُعْلَمْ : أنَّ دعوتنا ودعوةَ مشايخنا من أهل العلم الكرام ـ في زماننا هذا ـ هي في عَدَمِ المصادمة مع الحكام وعدم الاشتباك معهم في فتنٍ فضلاً عن الخروجِ عليهم !!:

● وأمَّا الذي ندينُ الله عز وجل به ـ والحالُ هكذا ـ إنَّما هو :

● القيام بتعلُّمِ العلمِ الشرعيِّ وتربية النَّفْسِ عليه ، ودعوة الناس إلى الله عز وجل ودينه الحقِّ ، وذلك كلُّه مع الْجَهْرِ بالحقِّ ولكن بالحِكْمَةِ والموعظةِ الحسنةِ والنظر في عواقب الأُمورِ مِنْ حيثُ المصالحُ والمفاسدُ!:

● والله عز وجل نسأَلُ أنْ يَهدي الرَّاعِيَ والرَّعِيَّةَ إلى التَّحاكم لشرعه المبارك عز وجل ، وأَنْ يُجَنِّبَ المسلمين جميعًا ـ حكامًا ومحكومين ـ الفتن كُلَّها ما ظهر منها وما بطن ، إنه سبحانه وتعالى وليُّ ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالَى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] . وقال تعالَى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٧٩] . وقال تعالَى : ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٩] . فإذا أراد الرعية أن يتخلَّصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلمَ ...

[٨٢] قوله : (ونَتَّبِعُ السنةَ والجماعةَ ، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقةَ) .

• ش : السنة : طريقة الرسول ﷺ ، والجماعة : جماعة المسلمين ، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين . فاتباعهم هدى ، وخلافهم ضلال . قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران : ٣١] . وقال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء : ١١٥] ...، وقال تعالَى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥] . وقال تعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

• وثبت في « السنن » الحديث الذي صححه الترمذي ، عن العرباض ابن سارية ، قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، ذَرَفت منها العيون،

ووجِلَت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مُودِّع؟ فماذا تعهدْ إلينا ؟ فقال : « **أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بِها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحدَثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة** »[(٧٤)] ...

● ـ هذا ، وسيأتي لِهذا المعنَى زيادةُ بيانٍ إن شاء الله تعالَى ، عند قول الشيخ : « ونَرى الجماعة حقًّا وصوابًا ، والفرقة زيغًا وعذابًا »[(٧٥)] ...

[٨٣] قوله : (ونحب أهل العدل والأمانة ، ونبغض أهل الجور والخيانة) .

● **ش** : وهذا من كمال الإيمان وتَمام العبودية ، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونِهايتها ، وكمال الذل ونِهايته . فمحبة رسول الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ، فغير الله يُحَب في الله ، لا مع الله ، فإن المحب يُحب ما يُحب مَحبوبُه ، ويبغض ما يبغض ، ويوالِي ما يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضائه ، ويغضب لغضبه ، ويأمر بِما يأمر به ، وينهَى عما ينهَى عنه ، فهو موافق لِمحبوبه في كل حال . والله تعالى يُحب المحسنين ، ويُحب المتقين ، ويُحب التوابين ، ويُحب المتطهرين ، ونَحن نُحب من أحبَّه الله . والله لا يُحب

---

(٧٤) **لا يثبت !:**

وقد توسعت في تَخريجه وتَحقيقه في جزءٍ لي في : « ضعيف الأربعين النووية » .

(٧٥) وذلك عند الفقرة رقم [١١٢] .

الخائنين ، ولا يُحب المفسدين ، ولا يُحب المستكبرين ، ونَحن لا نُحبهم أيضًا ، ونبغضهم ، موافقةً له سبحانه وتعالَى ...، فالمحبة التامة مستلزمة الموافقة للمحبوب في مَحبوبه ومكروهه ، وولايته وعداوته . ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعداءه ، ولابد أن يُحب ما يُحبه من جهادهم ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف : ٤] . والحب والبغض بِحسب ما فيهم من خصال الخير والشر ، فإن العبد يَجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة ، والحبِّ والبغضِ ، فيكون مَحبوبًا من وجهٍ ومبغوضًا من وجهٍ ، والحكم للغالب ...

[٨٤] قوله : (ونقول : الله أعلم ، فيما اشْتَبَهَ علينا عِلْمُهُ).

● ش : تقدم في كلام الشيخ رحمه الله : « أنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، وردَّ عِلْمَ ما اشتبه عليه إلى عالمه »[٧٦] .

● ومن تكلم بغير علم فإنَّما يتبع هواه ، وقد قال تعالَى : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج : ٣ـ ٤] ...، وقال تعالَى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] . وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه ، فقال تعالى : ﴿ **قُلِ**

---

(٧٦) وذلك عند الفقرة رقم [٣٨] .

اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الكهف : ٢٦] . **﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بعِدَّتِهِم ﴾** [الكهف : ٢٣] ...

[٨٥] قوله : (ونرى المسح على الخفين ، في السفر والحضر ، كما جاء في الأثر) .

● ش : تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين ـ أيضًا ـ، والرافضة تُخالف هذه السنة المتواترة ، والمسأَلةُ معروفةٌ ، والكلام عليها في كتب الفروع .

[٨٦] قوله : والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين ، بَرِّهم وفاجرهم ، إلى قيام الساعة ، لا يبطلها شيءٌ ولا ينقضهما) .

● ش : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرَّدِّ على الرافضة ، حيث قالوا : لا جهاد في سبيل الله حتَّى يَخرج الرضى من آل مُحمد ، وينادي منادٍ مِنَ السماء : اتبعوه !! وبطلان هذا القول أظهر من أن يُستدلَّ عليه بدليل ، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصومًا اشتراطًا من غير دليلٍ ! ...

● ـ هذا ، ـ والرافضة هؤلاءِ أخسر الناس صفقةً فِي هذه المسألة ، لأنَّهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمامَ المعدومَ ، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا !! فإِنَّهم يدعون أنه الإمام المنتظر ، محمد بن الحسن العسكري ، الذي دخل السِّرْدَابَ فِي زعمهم ، سنة ستين ومائتين ، أو قريبًا من ذلك بسامُرَّا! وقد يقيمون هناك دابة ، إما بغلةً وإما فرسًا ، ليركبها إذا خرج ! ويقيمون هناك في أوقات عَيَّنُوا فيها من ينادي عليه بالخروج . يا مولانا ، اخرج !

يا مولانا ، اخرج ! ويشهرون السلاح ، ولا أحد هناك يقاتلهم ! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء !!

• وقوله : « مع أولي الأمر بَرِّهم وفاجرهم » ـ لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر ، فلابد من سائس يسوس الناس فيهما ، ويقاوِمُ العدوَّ ، وهذا المعنَى كما يَحصل بالإمام الْبَرِّ يَحصل بالإمام الفاجر.

[٨٧] قوله : (ونؤمن بالكرام الكاتبين ، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين) .

• ش :قال تعالَى : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار : ١٠ـ ١٢]. وقال تعالَى : ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٧ ـ ١٨]..

• ثم ـ إنه ـ قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل . وكذلك النية ، لأنَّها فعل القلب ، فدَخَلَتْ في عموم : ﴿ **يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار : ١٢].

• ويشهد لذلك قوله ﷺ : « **قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة ، وإذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرًا** » . وقال رسول الله ﷺ: « **قالت الملائكة : ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنَّما تركها من جَرَّائِي**»، خرجاهما في « الصحيحين » واللفظ لمسلم . « صحيح »

[٨٨] قوله : (ونؤمن بملك الموت ، المُوكَّلِ بقبض أرواح العالمين) .

● ش : قال تعالَى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [حم السجدة : ١١] . ولا تُعارضُ هذه الآية قَوْلَهُ : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] ، وقولَهُ تعالَى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٤٢] ـ : لأن ملَك الموت يتولى قبضَها واستخراجها ، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، ويتولَّوْنَها بعدَه ، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره ، وحُكْمِه وأَمْرِه ، فصحَّتْ إضافة التوفِّي إلى كُلٍّ بحَسَبِه [٧٧] ...

[٨٩] قوله : (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال مُنكرٍ ونكيرٍ في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم . والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران) .

● ش : قال الله تعالَى : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٥ـ ٤٦] . وقال تعالَى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور : ٤٥ ـ ٤٧] . وهذا يَحتمل أن يُراد به

(٧٧) ولا يُعرف في القرآن ولا في السنة أنَّ مَلَكَ الموت يُسَمَّى : « عزرائيل » !!

عذابُهم بالقتل وغيره في الدنيا ، وأن يُراد به عذابُهم في البرزَخ ، وهو أظهر، لأن كثيرًا منهم مات و لم يعذب في الدنيا ، أو المراد من ذلك[٧٨] ...

• وعن أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيُقْعِدانه ، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد** ﷺ **؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد** الله ورسوله ، **فيقول : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا** » . ـ أخرجاه في «الصحيحين» ـ ، وفي «الصحيحين » ـ أيضًا ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبِي ﷺ مر بقبرين ، فقال : « **إنّهما ليعذّبان ، وما يُعذّبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة** »، فدعا بِجريدة رطبة ، فشقها نصفين ، وقال : « **لعله يُخفف عنهما ما لَمْ ييبسا** » . وفي « صحيح » أبِي حاتم ـ ابن حبان ـ عن أبِي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ : « **إذا قبر أحدكم ، أو الإنسانُ أتاه مَلكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر : النكير** » ، وذكر الحديث إلخ[٧٩] ...

« صحيح »

« صحيح »

• وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمانُ به ، ولا نتكلّم في كيفيته ، إذْ ليس للعقل وقوف على كيفيته ،

(٧٨) ومن أدلة القرآن الصريحة في ذلك ـ أيضًا ـ قوله تعالى في سورة : « نوح » : ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا** ﴾ .

(٧٩) **ضعيف منكر الإسناد !:**

وقد توسعت في تَخريجه وتَحقيقه في : « الموسوعة » عند رقم [١٠٠] .

لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتِي بِما تُحيله العقول ، ولكنه قد يأتِي بِما تَحارُ فيه العقول ...

• وليس السؤال في القبر للروح وحدها ، كما قال ابن حزم وغيره ، وأفسد منه قول من قال : إنه للبدن بلا روح ! والأحاديث الصحيحة ترد القولينِ .

• وكذلك عذابُ القبر يكون للنفس والبدن جميعًا ، باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب مفردةً عن البدن ومتصلة به .

• واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ... قُبِرَ أو لَمْ يُقْبَر ، أكلته السِّباعُ أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء ، أو صُلب أو غرق في البحر ـ وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ...

• فالحاصل أن الدُّور ثلاث : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القَرَار:

• وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تَخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعٌ لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبع لَها ، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيامُ الناس من قبورهم ـ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا . فإذا تأملت هذا المعنَى حقَّ التأمل ، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حفر النار (٨٠) مطابق للعقل ،

---

(٨٠) وقد ورد في حديث مرفوع : « أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران » ، وهو حديث ـ من حيث السند ـ منكر ، وقد توسع في بيان ضعفه شيخنا الفاضل محمد عمرو ، وذلك في كتابه : « البدائل الْمُسْتَحْسَنَة » [١/١/٢١ ـ إلى ـ ١٢٦ عند الحديث رقم [٢٢]] .

وأنه حق لا مرية فيه ، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

● ويَجب أن يُعلم أن النار التي في القبر والنعيم ، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها ...

● ـ هذا ، وقد اختلف في مسألة مهمةٍ ، وهي ـ :

● هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟!

● وجوابُهُ ، أنه نوعانِ :

● منه ما هو دائمٌ ، كما قال تعالَى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر : ٤٦] ...(٨١)

● والنوع الثانِي : أنه مُدَّةٌ ، ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خَفَّتْ جرائمهم ، فيعذب بِحسب جرمه ، ثم يُخَفَّفُ عنه !! ...

[٩٠] قوله : (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب ، والصراط والميزان) .

● ش : الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة

(٨١) ● ومن الأدلة على ذلك من السنة ، ـ وذلك في حق بعض الناس ـ ما :

● أخرجه البخاري [٥٧٨٩ ـ ٥٧٩٠] ومسلم [٢٠٨٨] والنسائي في الكبرى ـ كما في « تحفة الأشراف » [٤٥٦/٩] ـ وأحمد [٣١٥/٢ـ ٣٩٠ـ ٤٥٦ـ ٤٦٧ـ ٥٣١] وغيرهم من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « بينما رجل يمشي وعليه حُلَّةٌ ، مُرَجِّلاً جُمَّتَهُ ، تُعْجِبُهُ نَفْسُه : إذْ خُسِفَ به ، فهو يَتَجَلْجَلُ فِي الأرض إلى يوم القيامة » .

● واللفظ لرواية أحمد الثالثة ، وسندها صحيح ، وزاد مسلم في رواية صحيحة أيضًا جملة : « إنَّ رَجلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ... » .

السليمة . فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل ، وردَّ على منكريه في غالب سور القرآن ...

● ومن هذا قوله : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ [يس : ٧٨] ؟ إلى آخر السورة . فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان ، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها . بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووَضَح الأدلة وصحة البرهان لما قدَرَ . فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحدٌ فاقتضى جوابًا ، فكان قوله : ﴿ **وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾ [يس : ٧٨] ما وَفّى بالجواب . ـ ثم ـ أقام الحجة وأزال الشبهة لَمَّا أراد سبحانه ... تأكيدَ الحجة وزيادة تقريبها فقال : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [يس : ٧٩] . فاحتج بالإبداء على الإعادة ، وبالنشأةِ الأُولى على النشأة الأخرى . إذْ كلُّ عاقلٍ يعلم ضروريًّا أنَّ مَنْ قَدَرَ على هذه قَدَر على هذه ، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجزَ وأعجزَ . ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل خلقه أَتْبَعَ ذلك بقوله : ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يس : ٧٩] . فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ، ومولده وصورته ، فكذلك الثاني . فإذا كان تامَّ العلمِ ، كاملَ القدرةِ ، كيف يتعذر عليه أنْ يُحيي العظام وهي رميم ؟ ثم أكد الأمر بِحجة قاهرة ، وبرهان ظاهر ، يتضمن جوابًا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة ، والحياة لابد أن تكون مادتُها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ، ففيه الدليل والجواب معًا ، فقال : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ [يس : ٨٠] . فأخبر سبحانه بإخراج هذا

العنصر ، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة ، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة ، فالذي يُخرج الشيء من ضده ، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفَعه ، من إحياء العظام وهي رميم . ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجلِّ الأعظم ، على الأيسر الأصغر ، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر ، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا ، فقال : ﴿ **أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ** ﴾ [يس : ٨١] فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض ، على جلالتهما ، وعظم شأنهما ، وكبر أجسامهما، وسعتهما ، وعجيب خلقهما ، أَقْدَرُ على أن يُحيي عظامًا قد صارت رميمًا ، فيردُّها إلى حالتها الأولى . كما قال في موضع آخر : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [غافر : ٥٧] . وقال : ﴿ **أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ** ﴾ [يس : ٨١] . ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر ، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره ، الذي يفعل بالآلات والكلفة ، والنصب والمشقة ، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لابد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يَخلقه ويكونه نفس إرادته ، وقوله لِلْمُكَوَّن : « كُنْ » ، فإذا هو كائن كما شاءه وأراده . ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده ، فيتصرف فيه بفعله وقوله ـ فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس : ٨٣] .

• ومِنْ هذا ـ أيضًا ـ : قولُهُ سبحانه : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ**

سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة : ٣٦ـ ٤٠] . فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، وأن حكمته وقدرته تأبَى ذلك أشدَّ الإباء ، كما قال تعالَى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، إلى آخر السورة . فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ، ثم إلى المضغة ، ثم شقَّ سمعه وبصره ، وركب فيه الحواس والقوى ، والعظامَ والمنافع ، والأعصاب والرباطات التي هي أشده ، وأحكم خلقه غاية الإحكام ، وأخرجه على هذا الشكل والصورة ، التي هي أتمُّ الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرةً ثانيةً ؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته ، ولا تعجز عنه قدرته . فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يُتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب، الذي لا تقع الظنون على أقرب منه ...

● وقوله : « وجزاء الأعمال » ـ قال تعالَى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور : ٢٥] والدِّين : الجزاء ، يقال : كما تَدين تُدان ، أي : كما تُجازِي تُجازَى، وقال تعالَى : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] و[الأحقاف: ١٤] و[الواقعة : ٢٤] . ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ : ٢٦] . ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٩ ـ

٩٠] ، وأمثال ذلك ـ من الآيات الكريمات ـ :

● وقال ﷺ : ، فيما يروي عن ربه عز وجل ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : « **يا عبادي ، إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نَفْسَهُ** » ـ رواه مسلم ـ ... « صحيح »

● وقوله : « والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب».

قال تعالَى : ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ وقَعَت الوَاقِعَةُ ۞ وانشَقَّت السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ۞ والْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۞ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة : ١٥ ـ ١٨] ، إلى آخر السورة . ﴿ **يَأَيُّهَا الإنسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ ويَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُورًا ۞ وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وراءَ ظَهْرِه ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ ويَصْلَى سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِه مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَى إنَّ رَبَّهُ كَانَ بِه بَصِيرًا** ﴾ [الانشقاق : ٦ ـ ١٥] .

﴿ **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [الكهف : ٤٨].

﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٤٩] ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [إبراهيم : ٤٨] ، إلى آخر السورة . ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه** ﴾ [غافر : ١٥] ، إلى قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [غافر : ١٧] . ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٨١] . وروى

البخاري ـ ومسلم ـ ... عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال : « **ليس أحدٌ يُحاسَب يوم القيامة إلا هلك** » ، فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق : ٧ ـ ٨] ، فقال رسول الله ﷺ : « **إنَّما ذلك الْعَرْضُ ، وليس أحد يناقش الحسابَ يوم القيامة إلا عُذِّبَ** » « صحيح » . يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم ، ولكنه تعالَى يعفو ويصفح ...

● وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك : أنه أنشد في ذلك شعرًا :

« وطارت الصحف في الأيدي منشَّرة ... فيها السرائر والأخبار تطَّلعُ

فكيف سَهْوُكَ والأنباءُ واقعةٌ ... عما قليل ولا تدري بما تقعُ

أفي الْجنان وفوزٌ لا انقطاع له ... أم الجحيمُ فلا تبقي ولا تدعُ

طال البكاءُ فلم يُرحم تضرُّعهم ... فيها ولا رقية تغني ولا جزع

لينفعِ العلمُ قبل الموتِ عالِمَه ... قد سال قوم بِها الرُّجعى فما رَجَعُوا »

● قوله : « والصراط » ، : ونؤمن بالصراط ، وهو جسر على جهنم(٨٢) ، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله ﷺ سئل : أين الناسُ يوم تبدَّل الأرض غيرَ الأرض والسموات ؟ فقال : « **هم في الظُّلْمَةِ دونَ**

---

(٨٢) ● وهذا المعنى قد ورد في حديث صحيح :

● فأخرج البخاري [٨٠٦ ـ ٧٤٣٧ ـ ٧٤٣٨] ومسلم [١٨٢] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ ـ في حديث طويل ، وفيه ـ : « فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بين ظَهْرَانَي جهنم ... » ، وفي رواية أخرى وقع هكذا ـ بتفسير الصراط بأنه جسر ـ : « وَيُضرب جسرُ جهنم، فأكونُ أوَّل مَنْ يُجيزُ ... » ، أخرجه البخاري [٦٥٧٣ ـ ٦٥٧٤ ـ ٧٤٣٩] ومسلم [١٨٣] ، واللفظ لروايتَي البخاري الأولين ، وسنده صحيح أيضًا .

الْجِسْرِ »[٨٣]، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلَّفون عنهم ، ويبدأُ بَعْدُ المرورُ على الصراط ـ ، فيسبقهم المؤمنون ، ويُحال بينهم بسورٍ يَمنعهم من الوصول إليهم[٨٤] ...

(٨٣) • لَمْ يصح عن عائشة بهذا اللفظ ولا عن غيرها ، وإنَّما :

• قد صحَّ عنها مرفوعًا بهذا اللفظ التالي : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ** ﴾ . فأَيْنَ يَكُونُ الناسُ يومئذٍ ؟ يا رسولَ الله ! فقال : « على الصِّرَاط » :

• أخرجه مسلم [٢٧٩١] وغيره .

• وقد توسعتُ في بيان ما ذكرتُه آنفًا ـ تَخريجًا وتَحقيقًا ـ في كتابي : « النصيحة في ذكر الأحاديث الصحيحة » عند رقم [٢٩] .

• وانظر ـ للمزيد ـ التعليقَ عقب هذا .

(٨٤) • وانظر ـ لزامًا ـ التعليق قبل هذا رقم [٨٣] ، وعليه :

• فسوف تعرف أنَّ الوقوف أو المكث في هذه الظلمة لا يوجد عليه دليل صحيح ، وإنَّما سيقف الناس « يوم تبدلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ » على : الصراط نَفْسِه وليس في تلك الظلمة ودونه !!.

• وفي هذا ما يَجعل قلبَ المؤمن الخاشع لله تعالى يُصاب بالوجل والإشفاق من هَوْل النار ، وذلك :

(أ) • لأنَّ الصراط إذا كان ـ كما صَحَّ في الحديث السابق برقم [٨٢] ـ جسرًا على ظَهْر جهنمَ ، فهذا يدل على أنَّ جهنم هذه واسعةٌ واسعةٌ ، وهذا الصراط لم يُحطْ بها عُمْقًا وطولاً وعرضًا ، وإنَّما قد وضع فقط على ظَهْرَانَيْهَا ، فيا لها من نار واسعة !! للأجساد مُحْرِقة !!، وَلِلْبَهْجَة والسُّرورِ مُذْهِبَة، وللأحزانِ والغموم والهموم مُجْلِبَة ، فنسأل مَنْ خَلَقَهَا وبَرَأَهَا أَنْ يُنجِّينَا منها ومن كُلِّ ما يقرِّب إليها من قولٍ وعمل . آمين !! :

(ب) • ولأنَّ الناسَ في حال هذا الهول العظيم حيث : « تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ » ، وما يتبع ذلك من أهوالٍ لا يكاد يَقْدرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَخَيَّلَها الآن !:

• الناس يومئذ : يكونون فوق ظَهْرِ جهنمَ على الصراط ، فأَيُّ هَوْل هذا ، وأيُّ تَخويف هذا ، وهل يبقى هذا المشهد في سماء القلوب التي فيها خَيْرٌ وإنابةٌ إلا وسوف يُثْمرُ لَها التقوى حقًّا ، والوَرَعَ صدْقًا ، والمسارعةَ إلى الخيرات يقينًا ، والفرار إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وهو يُجيرُ ولا يُجار عليه ، فواصلوا عبادَ الله : الطريق إلى الآخرة باستحضار مثل هذه المشاهد الجليلة ، واثبتوا عليها وسَلُوا ربَّكم المزيدَ منها والشكرَ عليها :

• فاللهمَّ يا علامَ الغيوبِ وساترَ العيوب وغافرَ الذنوبِ وكاشفَ الغموم والهموم والكروب : نسألك أنْ تُودِعَ قلوبَنا عظمتَكَ وعظمة الآخرة وحقارةَ الدنيا !.

• وقوله : « والميزان » ، أي : ونؤمن بالميزان . قال تعالَى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . وقال تعالَى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٣ ـ ١٠٤] .

• قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بِحسبها .

• قال : وقوله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]. يُحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويُحتمل أن يكون المراد الموزونات ، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة . والله أعلم .

• والذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان :

• روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، قال : سَمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مدُّ البصر ، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال : لا ، يا رب ، فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل ، فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك ، فتُخرج له بطاقةٌ فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : أحضروه ، فيقول : يا رب ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا**

تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم » . وهكذا روى الترمذي ،وابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ... ، زاد الترمذي : « **ولا يثقل مع اسم الله شيءٌ** »(٨٥) :

« صحيح سوى ما تحت الخطّ »

● وفي سياق آخرَ ـ بلفظ : « تُوضَعُ الموازينُ يوم القيامة ، فيُؤتَى بالرَّجُلِ فيوضعُ في كِفَّةٍ » ... الحديث (٨٦)

● وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي : أن العامل يوزن مع عمله(٨٧) ، ويشهد له :

● ما روى البخاري ـ ومسلم ـ عن أبِي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال: « **إنه ليأتِي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزنُ عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾** [الكهف : ١٠٥] » .

« صحيح »

● ـ هذا ، ـ وقد وردتِ الأحاديثُ أيضًا بوزن الأعمال أنفسها ، كما في «صحيح مسلم» ، عن أبِي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان** »(٨٨) . وفي « الصحيح »، وهو

---

(٨٥) والحديث صحيح دون ما تحت الخطّ منه فإنه شاذ :
وقد توسعت في بيان ذلك ـ تَخريجًا وتَحقيقًا ـ في « النصيحة » رقم [٤٤] .

(٨٦) والحديث بهذا السياق منكر !!
وقد بينتُ ذلك في المصدر المذكور في التعليق السابق رقم [٨٥] .

(٨٧) واللفظ الذي استنبط منه العلامة الشارح قد سبق ـ في التعليق السابق برقم [٨٦] ـ ذِكْرُ أنَّه: « منكرٌ » ، وعليه فهذا الحديث لا يفيد ما ذكره الشارح رحمه الله تعالَى .

(٨٨) ● وقد أخرجه مسلم [٢٢٣] وغيره بسند قد اختلف أهل الحديث في تضعيفه وتصحيحه :
● وأخرجه النسائي [٥/٥/سندي] وابن ماجه [٢٨٠] عن أبِي مالك الأشعريِّ مرفوعًا بلفظ : « إسباغ الوضوء شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان .... » ، وإسناده صحيح بلا مرية .
● هذا ، وقد توسعت في الكلام عن هذا الحديث ـ تَخريجًا وتَحقيقًا ـ في جزءٍ لي في : « صحيح الأربعين النووية » .

خاتمة كتاب البخاري ، قوله ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»... « صحيح »

● فلا يُلْتَفَتُ إلى ملحد معاند يقول : الأعمال أعراضٌ لا تقبل الوزنَ، وإنما يقبل الوزنَ الأجسامُ !! فإن الله يقلب الأعراض أجسامًا ، كما تقدم...

● ـ وَبَعْدُ : فقد ـ ثبت وزنُ الأعمال والعاملِ وصحائفُ الأعمال ، وثبت أن الميزان له كِفَّتانِ . والله تعالَى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات .

● فعلينا الإيمان بالغيب ، كما أخبرنا الصادق ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان . ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ، لخفاء الحكمة عليه ، ويقدح في النصوص بقوله : لا يَحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوَّال !! وما أحرَاهُ بأن يكون من الذين لا يقيم الله لَهم يوم القيامة وزنًا .

● ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهورُ عدله سبحانه لجميع عباده ، فإنه لا أحدَ أحبَّ إليه العذرُ من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . فكيف ووراء ذلك من الحِكم ما لا اطلاع لنا عليه .

● فتأمل قول الملائكة ، لما قال الله لهم : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٣٠] . وقال تعالَى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

● ـ هذا ، ـ وقد تَقَدَّمَ عند ذِكْرِ الحوض(*): كلامُ القرطبي رحمه الله ،

(*) عند الفقرة رقم [٤٧] .

أن الحوض قبل الميزان ، والصراط بعد الميزان . ففي « الصحيحين » : « أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وُقفوا على قَنْطَرَة بين الجنة والنار ، فيقتصُّ لبعضهم من بعض ، فإذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهم في دخول الجنة »[٨٩] . « صحيح »

● و ـ قد ـ جعل القرطبي في : « التذكرة » هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة ، وليس يسقط منه أَحَدٌ في النار ، والله تعالَى أعلمُ[٩٠] .

[٩١] وقوله : (والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكُلٌّ لِمَا قد فرغ له ، وصائرٌ إلى ما خُلِقَ له ، والخيرُ والشرُّ مقدَّرانِ على العباد) .

● ش : أما قوله : « إن الجنة والنار مخلوقتان » ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة !! ...

● ـ هذا ، و ـ من نصوص الكتاب ـ الدَّالَّة على ما عليه أهلُ السنة في ذلك : قوله تعالى عن الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

---

(٨٩) ● قال شيخنا العلامة الألبانِيُّ في تعليقه على أصل هذا « المختصر » [ص/٤٧٥] : « لَمْ أَرَهُ في مسلم » اهـ.

● ولَمْ أَرَهُ أنا ـ أيضًا بعد البحث والتنقيب ـ في مسلم :

● وقد أخرجه البخاري ـ دون مسلمٍ ـ في هذين الموضعين [٢٤٤٠ ـ ٦٥٣٥] .

(٩٠) ● ولا دليل على ما ذهب إليه الإمامُ القرطبيُّ ـ رحمه الله ـ وأمَّا لفظ هذا الحديث فلا ينهض في أنْ يكون حُجَّةً في ذلك الْبتةَ ـ !.

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد : ٢١] . وعن النار : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] . ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [النبأ : ٢١ ـ ٢٢] . وقال تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم : ١٣ ـ ١٥] .

● ـ وأَمَّا السنة ـ ففي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » ... « صحيح »

● ونظائر ذلك في السنة كثيرة ...

● وقوله : « لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان » ـ هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف .

● وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف :

● والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها .

● وقال بفناء الجنة والنارِ : الجهمُ بنُ صفوان إمامُ المعطلة ، وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة . وأنكره عليه عامة أهل السنة ، وكفَّروه به ، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض .

● فأما أبدية الجنة ، وأنَّها لا تفنَى ولا تبيد ، فهذا ممَّا يُعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به ، قال تعالَى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] ، أي : غير مقطوع ...، وقوله ـ تعالَى ـ : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾

[هود : ١٠٨]، محكم . وكذلك قوله تعالَى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَاد** ﴾ [ص : ٥٤]. وقوله : ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ [الرعد : ٣٧] . وقوله : ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر : ٤٨] . وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن ...

● والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة ـ أيضًا ـ ...، ـ منها حديثُ ـ ذَبْحُ الْموت بينْ الجنة والنار ، ـ ثم ـ يُقال : يا أهل الجنة خلودٌ فلا موتَ ، ويا أهل النار ، خلودٌ فلا موت ، ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ . « صحيح »

● وأمَّا أَبَديَّةُ النار ودوامُها ، فللناسِ في ذلك ثَمانيةُ أَقوالٍ ، ـ منها ـ :

١ـ أنَّ مَنْ دخلها لا يَخرج منها أَبَدَ الآبادِ ، وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

٢ـ أنَّ أهلها يُعَذَّبُون فيها ، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة الناريَّة ، يَتَلَذَّذُونَ بها لموافقتها لطبعهمْ !!، وهذا قول إمامِ ـ الكفرِ ـ والاتِّحاديَّةِ ابنِ عربِي الطَّائيِّ ـ قَبَّحَهُ الله ربُّ البَريَّة ـ .

٣ـ يُخرجون منها ، وتبقى على حالها ليس فيها أَحَدٌ .

٤ـ أنَّها تَفنَى بنَفْسِها ، لأنَّها حادثةٌ ، وما ثَبتَ حدوثُهُ استحال بقاؤُهُ!!، وهذا قول الْجَهْم ـ المجرمِ ذي الجهل ـ وشيعته ، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار ، كما تَقدَّمَ ...

٥ـ أنَّ الله يُخرج منها مَنْ يشاءُ ، ثم يُبْقيها شيئًا ، ثم يُفْنيها ، فإنه جعل لَها أَمَدًا تنتهي إليه .

٦ـ أنَّ الله تعالَى يُخرج منها مَنْ شاءَ، كما ورد في السُّنَّةِ ـ الصحيحة ـ، ويبقى فيها الكفار ، بقاءً لا انقضاءَ له ، كما قال الشيخ رحمه الله :

● ـ هذا ، ـ وما عَدَا هذينِ القولينِ الآخيرينِ فظاهرُ البطلان ....، وهذان القولان الأخيران لأهل السنة يُنظرُ في أدلتهما :

● فمنْ أدلة القول الأول منهما : قوله تعالَى : ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] . وقوله تعالَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٦ـ ١٠٧] . ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة ، وهو قوله : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] ...

● ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] . ﴿ لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٥] . ﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٣٠] . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [البينة : ٨] ... ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] . ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] . ﴿ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] . ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] ، أي : مقيمًا لازمًا ...(٩١)

● ـ هذا ، ـ وأَحاديثُ الشفاعةِ صريحةٌ في خروجِ عُصَاةِ الموحِّدينَ من النار ، وأَنَّ هذا حُكمٌ مختصٌّ بِهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بِمنْزلتهم ، « وهي صحيحة »

---

(٩١) ● وقد قَصَّرَ العلامة الشارح جدًّا هنا في رَدِّ المذهب قبل الأخير، وهو مذهب باطل بلا ريب:

● وانظر رَدًّا جليلاً على هذا المذهب الباطل في كتاب : « رَفْعُ الأستار لإبطال أدلةِ القائلين بفناءِ النار » ، وهو للعلامة الصنعانيِّ ، رحمه الله تعالَى ، وفي أوَّله مقدِّمةٌ رائعةٌ في هذه المسألة لشيخنا العلامة الألبانيِّ ، رحمه الله تعالَى ، فانظرها لزامًا ـ أيضًا ـ .

ولم يختصَّ الخروجُ بأهل الإيمان .

● و ـ أَمَّا ـ بقاءُ الجنة والنار فليس لذاتهما ، بل بإبقاء الله لَهما .

● وقوله : « وخلق لهما أهلاً » ـ قال تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، الآية ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله ، طوبَى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يَعمل سوءاً ولَم يدركه ، فقال : « **أوْ غَيْرَ ذلك يا عائشةُ ، إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لَها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لَها وهم في أصلاب آبائهم** ». رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ (٩٢) .

● وقوله : « فَمَنْ شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، إلخ » ، مِمَّا يَجب أن يُعلمَ : أن الله تعالَى لا يَمنع الثواب إلا إذا منع سببه ، وهو العمل الصالح ، فإنه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] . وكذلك لا يعاقب

---

(٩٢) ● وأخرجه مسلم [٢٦٦٢] وأبو داود [٤٧١٣] والنسائي [٤/٥٧] وابن ماجه [٨٢] من طريقين صحيحين عن طلحة بن يَحيى عن عَمَّته عائشة بنت طلحة عن عائشة أُمِّ المؤمنين به ، واللفظ لرواية مسلم :

● وطلحة هذا هو المدنيُّ نزيلُ الكوفة ، وقد اختلف فيه ، فوثقه البعض ، وتكلّم فيه يَحيى القطان ويعقوب بن شيبة والساجي وقال البخاري: « منكر الحديث »، والراجح عندي فيه أنه: «لين الحديث» !:

● هذا ، وقد تابع طلحةَ فضيلُ بن عَمْرٍو الفُقَيْمِيُّ ولكن بلفظ مغايرٍ لبعض هذا ، وذلك فيما :

● رواه مسلم [٢٦٦٢] بسند صحيح عنه عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أُمِّ المؤمنينَ قالت : تُوُفِّيَ صَبِيٌّ . فقلتُ : طُوبَى له . عُصْفُورٌ مِنْ عصافيرِ الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أَوَ لاَ تَدْرِيْنَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ . فَخَلَقَ لِهذه أَهْلاً ، ولِهذه أَهْلاً » :

● وفضيلٌ هذا ثقةٌ رُبَّما وَهم ، فهذا هو الصحيح المحفوظ عن عائشة بنت طلحة .

أحدًا إلا بعد حصول سبب العقاب ، فإن الله تعالَى يقول : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وهو سبحانه المعطي المانع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع . لكن إذا مَنَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالحِ ، فلا يَمنعه مُوجِبَ ذلك أصلاً ، بل يعطيه من الثواب والقُرَب ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سَمعتْ ، ولا خطر على قلب بشر[٩٣] ، وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه وهو العمل الصالح . ولا ريب أنه يَهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، فله الحمدُ في الحالين ، وهو المحمود على كل حال ، كلُّ عطاءٍ منه فضلٌ ، وكلُّ عقوبةٍ منه عدلٌ ، فإن الله تعالَى حكيم يضعُ الأشياءَ في مواضعها التي تصلح لَها ، كما قال تعالَى : ﴿ وإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وكما قال تعالَى: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣] . ونَحو ذلك . وسيأتي لذلك زيادةٌ ، إن شاء الله تَعالَى ...[٩٤]

[٩٢] قوله : (والاستطاعة التي يجب بها الفعل ، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به ـ تكون مع الفعل .

---

(٩٣) • وذلك العطاءُ المذكور يكون في الجنة كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل: « أَعْدَدْتُ لعباديَ الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ... » :

• أخرجه البخاري [٣٢٤٤] ـ وفي مواضع أُخرى ـ ومسلم [٢٨٢٤] وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعًا به .

(٩٤) • وذلك عند شرح الفقرة رقم [٩٣] .

• وانظر ـ للمزيد ـ التعليق السابق برقم [٥] .

وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع ، والتمكن وسلامة الآلات ـ فهي قبل الفعل ، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]) .

● ش : الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع ، ألفاظ متقاربة وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين ، كما ذكره الشيخ رحمه الله ، وهو قول عامة أهل السنة ، وهو الوسط . وقالت القدرية والمعتزلة : لا تكون القدرة إلا قبل الفعل . وقابلهم طائفةٌ من أهل السنة فقالوا : لا تكون إلا مع الفعل .

● والذي قاله عامة أهل السنة : أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله ، لا يَجب أن تكون معه ، والقدرة التي بِها الفعل لابد أن تكون مع الفعل ، لا يَجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة .

● وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع ، والتمكن وسلامة الآلات ـ فقد تتقدم الأفعال . وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالَى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] . فأوجب الحج على المستطيع ، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحجُّ قد وجبَ إلا على من حج ، ولم يعاقب أحدًا على ترك الحج ! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام . وكذلك قوله تعالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] . فأوجب التقوى بِحسب الاستطاعة ، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى ، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ، ولم يعاقِب من لم يتق ! وهذا معلوم الفساد .

● وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة ، فقد ذكروا فيها قوله تعالَى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [هود : ٢٠] .

والمراد نفي حقيقة القدرة ، لا نفي الأسباب والآلات ، لأنَّها كانت ثابتة . وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله : « ولا يطيقون إلا ما كلفهم » ، إن شاء الله تعالَى ... (٩٥)

● وما قالته القدرية ـ بناء على أصلهم الفاسد ، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء ، فلا يقولون : إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصَّل بِها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية ! كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفًا ، فهذا جاهد به في سبيل الله ، وهذا قطع به الطريق ـ : وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر ، فإنَّهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمةً دينيةً ، خَصَّهُ بِها دون الكافر ، وأنه أعانه على الطاعة إعانةً لم يُعنْ بها الكافر . كما قال تعالَى : ﴿ **ولَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والْفُسُوقَ والْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ [الحجرات : ٧] ، فالقدرية يقولون : إنَّ هذا التحبيب والتزيين عامٌّ في كل الخلق ، وهو بِمعنَى البيان وإظهار دلائل الحق. والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن ، ولِهذا قال: ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ [الحجرات : ٧] . والكفار ليسوا راشدين !! ...

فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء ـ امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصُّه، والصواب : أن القدرة نوعان كما تقدم : نوع مصحح للفعل ، يمكن معه الفعل والترك ، وهذه هي التي يتعلق بِها الأمر والنهي ، وهذه تَحصل للمطيع

---

(٩٥) ● وذلك عن الفقرة رقم [٩٤] .

والعاصي ، وتكون قبل الفعل ، وهذه تبقى إلى حين الفعل ...،

وهذه قد تصلح للضِّدَّيْنِ ، وأَمْرُ الله مشروط بِهذه الطاقة ، فلا يُكلف الله من ليس معه هذه الطاقة ، وضد هذه العجز كما تَقَدَّمَ .

• وأيضًا : فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يَمتنع الفعل مع عدمها ، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصوَّر الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه . فالشارع ييسر على عباده ، ويريد بِهم اليسر ولا يريد بِهم العسر ، وما جعل عليهم في الدين من حرج ، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه ، فهذا في الشرع غير مستطيع ، لأجل حصول الضرر عليه ، وإن كان قد يسمى مستطيعًا . فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل ، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكنًا مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية ، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله ، أو يصلي قائمًا مع زيادة مرضه ، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته ، ونَحو ذلك . فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة ، فكيف يكلِّف مع العجز ؟!...

[٩٣] قوله: (وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد).

• ش : اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية . فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي : أن التدبير في أفعال الخلق كلِّها لله تعالَى ، وهي كلها اضطرارية ، كحركات المرتعش ، والعروق النابضة ، وحركة الأشجار ، وإضافتها إلى الخلق مجازٌ !!...

● وقابلتهم المعتزلة فقالوا : إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بِخلقها ، لا تعلق لها بَخلق الله تعالَى . واختلفوا فيما بينهم : أن الله تعالَى يقدر على أفعال العباد أَم لا ؟!

● وقال أهل الحق : أفعال العباد بِها صاروا مطيعين وعصاة ، وهي مخلوقة لله تعالَى ، والحق سبحانه وتعالَى منفرد بِخلق المخلوقات ، لا خالق لَها سواه :

● فالجبرية غَلَوْا في إثبات القدر ، فَنَفَوْا صنع العبد أصْلاً ، كما غلت المشبهة في إثبات الصفات ، فشبهوا .

● والقدرية نفاةُ القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالَى .

● وهى الله المؤمنين أهلَ السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يَهدي من يشاء إلى صراط مستقيم :

● فكلُّ دليلٍ صحيحٍ يقيمه الجبري ، فإنَّما يدل على أن الله خالق كل شيء ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لَمْ يكن ، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار ، وأن حركاته الاختيارية بِمنْزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار :

● وكل دليل صحيح يقيمه القدَري فإنَّما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقةً ، وأنه مريد له مختارٌ له حقيقةً ، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق ، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالَى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته .

● فإذَا ضَمَمْتَ ما مع كُلِّ طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى ـ فإنَّما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنَزَّلة ، من عموم

قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال ، وأن العباد فاعلون لأفعالِهم حقيقة ، وأنَّهم يستوجبون عليها المدح والذم .

• وهذا هو الواقع في نفس الأمر ، فإن أدلة الحق لا تتعارض ، والحق يصدِّق بعضه بعضًا . ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين ، ولكنها تتكافأ وتتساقط ، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخَرِ ...

• و ـ ثَمَّ ـ شبهة مِنْ شبهِ القومِ التي فَرَّقَتْهُمْ ، بل مَزَّقَتْهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، وهي : أنَّهم قالوا : كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبِهم وهو خلقها فيهم ؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم ؟!:

• وهذا السؤال لم يزل مطروقًا في العالم على ألسنة الناس ، وكل منهم يتكلم في جوابه بِحسب علمه ومعرفته ، وعنه تفرقت بِهم الطرق : فطائفة أخرجت أفعالَهم عن قدرة الله تعالَى ...، وطائفة التزمت الْجَبْرَ، وأَنَّ الله يُعذبُهم على ما لا يقدرون عليه !!:

• وهذا السؤال هو الذي أَوْجَبَ التفرقَ والاختلافَ !!:

• والجواب الصحيح عنه ، أنْ يقال : إن ما يُبتلى به العبد من الذنوب الوجودية ، وإن كانت خلقًا لله تعالَى ، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها ، فالذنب يكسب الذنب ، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها . فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضًا . يبقى أن يقال : فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب ؟ يقال : هو عقوبة أيضًا على عدم فعل ما خُلق له وفُطر عليه ، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحدَه لا شريك له ، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه ، كما قال تعالَى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ**

للدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠] فلما لم يفعل ما خُلق له وفطر عليه ، من محبة الله وعبوديته ، والإنابة إليه ـ عوقب على ذلك بأن زَين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي ، فإنه صادف قلبًا خاليًا قابلاً للخير والشر ، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضدَّه لم يتمكن منه الشر ، كما قال تعالَى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] . وقال إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢، ٨٣] . والإخلاص : خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالَى وإرادته ومحبته ، فخلص لله ، فلم يتمكن منه الشيطان . وأما إذا صادفه فارغًا من ذلك ، تَمكن منه بِحسب فراغه ، فيكون جعله مذنبًا مسيئًا في هذه الحالة عقوبةً له على عدم هذا الإخلاص . وهي محض العدل .

● وقد أخبر الله تعالَى أن تسليط الشيطان إنَّما هو ... على الذين يتولونه والذين هم به مشركون(٩٦) ، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم ، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خُلُوِّ القلب وفراغه من الإخلاص . فإلْهامُ البر والتقوى ثَمَرة هذا الإخلاص ونتيجته ، وإلهام الفجور عقوبة على خُلُوِّهِ من الإخلاص ...، ـ وهذا البرُّ وهذه التقوى والإخلاص والإنابة إليه ـ هو مَحض مِنَّته وفَضْله ، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده ، والخير كله في يديه ، ولا يَقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه ، ولا يتقي من الشر إلا ما وَقَاهُ ...

---

(٩٦) كما قال تعالَى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠]

● ـ هذا ، ـ ولا يكون سبحانه بِمنعهم من ذلك ظالمًا ، وإنما يكون المانع ظالمًا إذا منع غيره حقًّا لذلك الغير عليه ، وهذا هو الذي حَرَّمَهُ الربُّ على نفسه ، وأوجب على نفسه خلافه(٩٧) ، وأما إذ منع غيره ما ليس بِحق له ، بل هو محض فضله ومنته ـ لم يكن ظالمًا بِمنعه ، فمنع الحق ظلم ، ومنعُ الفضل والإحسان عدل . وهو سبحانه العدل في منعه ، كما هو المحسن المنَّان بعطائه ...

● ـ هذا ، وثَمَّ سؤال يَرِدُ هنا و ـ حاصِلُهُ : لِمَ تَفَضَّلَ على هذا ولَمْ يَتفضَّلْ على الآخَرِ ؟!:

● وقد تولَّى الله سبحانه الجواب عنه بقوله : ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد : ٢١] . ﴿ **لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ** ﴾ [الحديد : ٢٩] ...

● ـ هذا ، ـ وليس في الحكمة إطلاعُ كلِّ فردٍ من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه ، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد ، حتى أبصر طرفًا يسيرًا من حكمته في خلقه ، وأمره وثوابه وعقابه ، وتَخصيصه وحرمانه ، وتأملَ أحوالَ مَحالِّ ذلك ، استدلَّ بِما علمه على ما لم يعلمه .

● ولَمَّا استشكل أعداؤهُ المشركون هذا التخصيصَ ، قالوا : أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ قال تعالَى مُجيبًا لَهم: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

---

(٩٧) كما في الحديث الصحيح الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم [٢٥٧٧] ، وفيه يقول الله عز وجل : « يا عبادي : إنِّي حَرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم مُحرَّمًا ، فلا تظالَموا » .

• فتأمل هذا الجوابَ ، ترَ في ضمنه أنه سبحانه أعلمُ بالمحلِّ الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر ، من المحل الذي لا يصلح لغرسها ، فلو غُرِسَتْ فيه لم تثمر ، فكان غرسها هناك ضائعًا لا يليق بالحكمة ، كما قال تعالَى : ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ...

• ـ فائدة لابد من العلم بِها ـ :

• العبد فاعل لفعله حقيقةً ، وله قدرة حقيقة قال تعالَى : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٩٧] . ﴿ **فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [هود : ٣٦] ، وأمثال ذلك . وإذا ثبت كونُ العبد فاعلاً ، فأفعاله نوعانِ :

• نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته ، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً ، كحركات المرتعش . ونوع يكون منه مقارنًا لإيجاد قدرته واختياره ، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسبًا للعبد ، كالحركات الاختيارية. والله تعالَى هو الذي جعل العبد فاعلاً مُختارًا ، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له . ولِهذا أنكر السلف الجبر ، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز ، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال : للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح ، وليس له إجبار الثيب البالغ ، أي : ليس له أن يزوجها مكرهة . والله تعالَى لا يوصف بالإجبار بِهذا الاعتبار ...،

والله تعالَى إنَّما يعذب عبده على فعله الاختياري . والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطَر والعقول .

• فالحاصل : أن فعل العبد فعلٌ له حقيقةً ، ولكنه مخلوقٌ لله تعالَى ، ومفعول لله تعالَى ، ليس هو نفسَ فعل الله . ففرقٌ بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق . وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله : « وأفعال

العباد خلقُ الله وكسبٌ من العباد » أثبت للعباد فعلاً وكسبًا ، وأضاف الخلق لله تعالَى . والكسب : هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفعٌ أو ضرر، كما قال تعالَى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦].

[٩٤] قوله : (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم . وهو تفسير « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، نقول: لا حيلةَ لأحد، ولا تَحَوُّلَ لأحد، ولا حركةَ لأحد عن معصية الله ، إلاَّ بمعونة الله ، ولا قوةَ لأحدٍ على إقامة طاعةً الله والثبات عليها إلاَّ بتوفيق الله، وكلُّ شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره. غلبت مشيئته المشيئات كُلَّها، وعكست إرادته الإرادات كُلَّها، وغلب قضاؤه الحيلَ كُلَّها. يفعل ما يشاء ، وهو غير ظالمٍ أبدًا. ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]).

● ش : فقوله : « لم يكلفهم الله تعالَى إلا ما يطيقون » ـ قال تعالَى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . ﴿ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] و[الأعراف : ٤١] و [المؤمنون : ٦٣] ....، ولا يلزم دعاءُ المؤمنين في قوله تعالَى : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ـ التكليف بِما لا يطاق ، وذلك ـ لأن تَحميل ما لا يطاق ليس تكليفًا ، بل يَجوز أن يَحمله جبلاً لا يطيقه فيموت . وقال ابن الأنباري : أي : لا تُحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تَجَشُّمٍ وتَحمل مكروه، قال : فخاطب العرب على حسب ما تعقل ، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه : ما أطيق النظر إليك ، وهو مطيق لذلك ، لكنه يثقل عليه . ولا

يَجوز في الحكمة أن يكلفه بِحمل جبل بِحيث لو فعل يُثاب ولو امتنع يعاقَب، كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ...

● وقوله : « ولا يطيقون إلا ما كلفهم به » إلى آخر كلامه ـ أي : ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه . وهذه الطاقة هي التي من نَحو التوفيق ، لا التِي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات (٩٨) .

● ـ وقوله : « ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله » ـ دليل على إثبات القدَرِ. وقد فسرها الشيخ بعدها :

● ولكن في كلام الشيخ إشكال : فإن التكليف لا يستعمل بِمعنَى الإقدار ، وإنَّما يستعمل بِمعنَى الأمر والنهي ، وهو قد قال : لا يكلفهم إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم . وظاهره أنه يرجع إلى معنًى واحد ولا يصح ذلك ، لأنَّهم يطيقون فوق ما كلفهم به ، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف ، كما قال تعالَى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقال تعالَى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ [النساء : ٧٨] . وقال تعالَى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨] . فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه ، ولكنه تفضل علينا ورحمنا ، وخفف عنا ، ولم يَجعل علينا في الدين من حرج . ويُجاب عن هذا الإشكال بِما تقدم : أن المراد الطاقة التِي من نَحو التوفيق ، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات ، ففي العبارة قلق ، فتأمله ...

● وقوله : « وكل شيء يَجري بِمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره » ـ

(٩٨)وانظر الفرق بينهما عند شرح الفقرة رقم [٩٢].

يريد بقضائه القضاءَ الكونِيَّ لا الشرعيَّ ، فإن القضاءَ يكون كونيًّا وشرعيًّا ، وكذلك الإرادةُ والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلماتُ ونَحو ذلك :

● أما القضاء الكونِي ، ففي قوله تعالَى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [حم السجدة : ١٢] . والقضاء الدينِي الشرعي ، في قوله تعالَى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

● وأما الإرادة الكونية والدينية ، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ : « ولا يكون إلا ما يريد »(٩٩).

● وأما الأمر الكونِي ، ففي قوله تعالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]. وكذا قوله تعالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء : ١٦] ، في أحد الأقوال ، وهو أقواها . والأمر الشرعي ، في قوله تعالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، الآية . وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

● وأما الإذن الكونِي ، ففي قوله تعالَى : ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . والإذن الشرعي ، في قوله تعالَى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٥] .

● وأما الكتاب الكونِي ، ففي قوله تعالَى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١] . وقوله

---

(٩٩)وذلك عند الفقرة رقم [٧].

تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] . والكتاب الشرعي الديني ، في قوله تعالَى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥] . ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

● وأما الحكم الكونِي ، ففي قوله تعالَى عن ابن يعقوب عليه السلام : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف : ٨٠] . وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٢] . والْحُكْمُ الشرعيُّ ، في قوله تعالَى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١]. وقال تعالَى: ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة : ١٠] ...

● وأَمَّا التحريم الكونِي ، ففي قوله تعالَى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦] . ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٥]. والتحريم الشرعي، في قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [المائدة:٣]. ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣]، الآية .

● وأَمَّا الكلماتُ الكونية ، ففي قوله تعالَى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] ...، والكلمات الشرعية الدينية ، في قوله تعالَى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقوله : « يفعل ما يشاء ، وهو غير ظالم أبدًا » ـ الذي دل عليه

القرآن من تنْزيه الله نفسه عن ظلم العباد ، يقتضي قولاً وسطًا بين قولَي القدرية والجبرية ؛ فليس ما كان من بنِي آدم ظلمًا وقبيحًا يكون منه ظلمًا وقبيحًا ، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونَحوهم ! فإن ذلك تَمثيل لله بِخلقه ! وقياس له عليهم ! هو الرب الغنِي القادر ، وهم العباد الفقراء المقهورون...،

ـ وأهل السنة قد ... ـ علموا مِنْ عظمة الله وجلاله ، قدر نِعمِ الله على خلقه ، وعدم قيام الخلق بِحقوق نعمه عليهم ، إما عجزًا ، وإما جهلاً ، وإما تفريطًا وإضاعةً ، وإما تقصيرًا في المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه . فإن حقه على أهل السموات والأرض أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويشكر فلا يُكفَر ، وتكونَ قوة الحب والإنابة ، والتوكل والخشية ، والمراقبة والخوف والرجاء : جميعها متوجهةً إليه ، ومتعلقةً به ، بِحيث يكون القلب عاكفًا على مَحبته وتأليهه ، بل على إفراده بذلك ، واللسان مَحبوسًا على ذكره ، والجوارح وقفًا على طاعته :

● ولا ريبَ : أن هذا مقدور في الجملة ، ولكن النفوس تشحُّ به ، وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالَى . وأكثر المطيعين تشحُّ به نفسه من وجه ، وإن أتَى به من وجه آخر . فأين الذي لا تقعُ منه إرادةٌ تزاحُ مرادَ الله وما يُحبه منه ؟ وَمَنْ ذا الذي لم يصدر منه خلاف ما خُلق له، ولو في وقتٍ من الأوقات ؟!:

● فلو وضع الربُّ سبحانه عدله على أهل سَمواته وأرضه ، لعذبَهم بعدله ، ولم يكن ظالِمًا لهم . وغاية ما يُقدَّر ، توبةُ العبد من ذلك واعترافه ، وقبولُ التوبة محضُ فضله وإحسانه ، وإلا فلو عَذَّب عبدَه على جنايته لم يكن ظالِمًا ، ولو قُدِّر أنه تاب منها . لكن أوجب على نفسه ـ بِمقتضى فضله

ورحمته ـ أنه لا يعذب من تاب :

● وقد كتب على نفسه الرحمةَ ، فلا يسعُ الخلائقَ إلا رحمته وعفوه ، ولا يبلغ عملُ أحدٍ منهم أن ينجو به من النار ، أو يدخل الجنة ، كما قال أطوعُ الناس لربه ، وأفضلهم عَمَلاً ، وأَشدُّهم تعظيمًا لربه وإجلالاً : « **لن ينجي أحدًا منكم عَمَلُهُ** » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدنِي الله برحمة منه وفضل** » ـ أخرجه الشيخان ـ . « صحيح »

● وسأله الصِّدِّيقُ دعاءً يدعو به في صلاته . فقال : « **قُل : اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا . ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لِي مغفرةً من عندك وارحمنِي ، إنك الغفور الرحيم** » .ـ أخرجه الشيخان ـ ، فإذا كان هذا حال الصديقِ ، الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ـ فما بسواه ؟ بل إنَّما صار صديقًا بتوفيته هذا المقامَ حَقَّهُ ، الذي يتضمن معرفة ربه ، وَحَقِّهِ وعظمته ، وما ينبغي له ، وما يستحقه على عبده ، ومعرفة تقصيره !!: « صحيح »

● فَسُحْقًا وَبُعْدًا لِمَن زعم أن المخلوقَ يستغنِي عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجةٌ إليها ! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية !!:

● ـ هذا ، ـ فإن لَم يتسع فهمك لِهذا ، فانزل إلى وطأة النِّعَمِ ، وما عليها من الحقوق ، ووازن بين ـ مَنْ ـ شَكَرَهَا وَكَفَرَهَا ، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذّب أهل سَمواته وأرضه ، لعذَّبَهم وهو غير ظالم لَهم !!.

[٩٥] قوله: (وفي دعاءِ الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات).

● ش : اتفق أهل السنة ـ على ـ أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين :

● أحدهما : ما تسبب إليه الميت في حياته .

• والثاني : دعاءُ المسلمين واستغفارهم له والصدقةُ .

• ـ وأَمَّا الحجُّ ـ فهم على نزاعٍ فيما يصل إليه مِنْ ثواب الحجِّ :

• فعن محمد بن الحسن : أنه إنَّما يصل إلى الميت ثواب النفقة ، والحجُّ للحاجِّ .

• وعند عامة العلماء : ثواب الحج للمحجوج عنه ، وهو الصحيح .

• واختلف في العبادات البدنية ، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر :

• فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولِها ، والمشهور من مذهب الشافعي ومالكٍ عدم وصولِها .

• وذهبَ بعضُ أهلِ البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره .

• وقولُهُمْ مردود بالكتاب والسنة ، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالَى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾[النجم : ٣٩] . وقوله : ﴿ وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[يس : ٥٤] ...

وقد ثبت عن النبي ﷺ ـ كما في « صحيح مسلم » ـ أنه قال : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به من بعده** » . فأخبر أنه إنَّما ينتفع بِما كان تسبب فيه في « صحيح » الحياة ، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه ...

• ـ وهذا مردود وغير صوابٍ ، وأمَّا ـ الدليلُ على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه ، فالكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح :

• أما الكتاب ، فقال تعالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا**

اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر : ١٠] . فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم ، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء .

● وقد دل على انتفاء الميت بالدعاء إجماع الأُمَّةِ على الدعاءِ له في صلاة الجنازة .

● والأدعية التِي وردت بِها السنة في صلاة الجنازة مستفيضةٌ ...، وكذلك الدعاء لَهم عند زيارة القبور ...

● وأما وصول ثواب الصدقة ، ففي ... « صحيح البخاريِّ » عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتَى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن أمي توفيت وأنا غائبٌ عنها . فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : « **نعم** » ، قال : فإنِّي أشهدك أن حائطي المخرافَ صدقةٌ عنها . وأمثال ذلك كثيرة في السنة ...

● وأما وصول ثواب الصوم ، ففي « الصحيحين » ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « **من مات وعليه صيامٌ صام عنه وليُّه** » . وله نظائر في « الصحيح » ...

● وأما وصول ثواب الحج ، ففي « صحيح البخاري » ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن امرأةً من جُهَيْنَةَ جاءت إلى النبِي ﷺ ، فقالت : إن أمي نذرت أنْ تَحجَّ فلم تَحج حتى ماتت ، أَفَأَحُجُّ عنها ؟ قال : « **نَعم : حُجِّي عنها ، أرأيتِ لو كان على أمكِ دَيْنٌ أكنتِ قاضيتَه ؟ اقْضُوا الله ، فالله أَحقُّ بالوفاء** »[١٠٠] .

---

(١٠٠) ● أخرجه البخاري [١٨٥٢ـ ٧٣١٥] من طريقين صحيحين عن أبِي عوانة عن أبِي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما به، واللفظ للمصدر الأول، وسنده ظاهره الصحةُ ولكنْ :
● قد أخرجه البخاريُّ ـ أيضًا ـ [٦٦٩٩] ـ واللفظ له ـ والنسائي [٥/١١٦] وغيرهما من أكثر

● ونظائرهُ أيضًا كثيرة ...

● و ـ قد ـ أجمع المسلمون على أنَّ قضاءَ الدَّيْنِ يُسْقطه مِنْ ذِمَّةِ الميتِ، ولو كان مِنْ أجنبيٍّ، ومِنْ غير تَرِكَتِه ...

● وكُلُّ ذلكَ جارٍ على قواعدِ الشرع . وهو محض القياس ، فإن الثواب حق العامل ، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمْنَعْ من ذلك ، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته ، وإبرائه له منه بعد وفاته .

● ـ هذا ، وأَمَّا ـ الجواب عَمَّا استدلوا به من قوله تعالَى : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى** ﴾ [النجم : ٣٩] ـ فقد ـ أجاب العلماءُ ـ عنه ـ بأجوبةٍ ، أصحُّهَا بِجوابانِ :

● أحدهما : أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء ، وأولد الأولاد ، ونكح الأزواج ، وأسدى الخير وتودَّد إلى الناس ، فترحَّموا

=

من طريق صحيح عن شعبة عن أبي بشر قال : سمعتُ سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتَى رَجُلٌ النبيَّ ﷺ فقال له : إنَّ أُختِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وإِنَّها ماتَتْ ... فذكر باقيه بِنحو الرواية السابقة، وإسناده صحيح :

● وهل يمكن الجمع بين هاتين الروايتين ـ وذلك بأن يُقال : هما حديثَانِ منفصلانِ : عن أَبِي بشرٍ ـ أمْ لا ؟!:

● الظاهر ـ بعد البحث والنظر ـ : عدمُ إمكان ذلك الجمع ، إذْ لا يَخلو من نظر ومؤاخذة ، وعليه:

● فرواية شعبة هي المقدَّمة عن أَبِي بشر ، وذلك لجلالة شعبة إذا قيست بجلالة أَبِي عوانَة ، وذلك لأنَّ التثبتَ وقوةَ الحفظ التِي وُصِفَ بها أبو عوانةَ بل وقدمه بسببها البعضُ على شعبة : إنَّما هي مصروفة إلى الأحاديث التِي حدَّث بِها من كتبه ، وأمَّا إذا حدَّث من حفظه فالراجح فيه ـ مع كونه ثقةً ـ أنه قد يغلط ويخطئ ، ولم نقف على دليلٍ يثبت أنه حَدَّثَ بِهذا الحديث من كتابه ، فلعلَّهُ حَدَّث به من حفظه فلذا جاءَ بغير المحفوظ الذي رواه شعبة :

● وعلى كل حالٍ : فهذا الخلاف لا يَضُرُّ في موضع الاستدلال من الحديث ، وذلك لأنَّ الغرض منه مشروعية الحجِّ عن الميت ، ولا اضطراب في ذلك ، وانظر ـ إن شئتَ ـ « فتح الباري » [١٩٥/٤] .

عليه ، ودَعَوْا له ، وأَهْدَوْا له ثوابَ الطاعات ، فكان ذلك أثرَ سعيه ، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نَفْعِ كُلٍّ من المسلمين إلى صاحبه ، في حياته وبعد مَماته ، ودعوة المسلمين تُحيط من ورائهم . يوضحه : أن الله تعالَى جعل الإيمان سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم ، فإذا أتَى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك .

● الثانِي ، وهو أقوى منه :أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنَّما نفى ملكه لغير سعيه ، وبين الأمرين فرق لا يَخفى . فأخبر تعالَى انه لا يَملك إلا سعيه ، وأما سعي غيره فهو ملكٌ لساعيه ، فإن شاء أن يبذله لغيره ، وإن شاء أن يبقيه لنفسه ، _ وهذه الآية ... _ تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله ، لينقطع طمعه من نَجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايِخه ، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب ، وهو سبحانه لَم يقل لا ينتفع إلا بِما سعى .

● وكذلك قوله تعالَى ...: ﴿ وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥٤]. على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالَى قال : ﴿ فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥٤]

● وأما استدلالُهم بقوله ﷺ :« **إذا مات ابن آدم انقطع عمله** » « صحيح » فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه ، وإنَّما أَخْبَرَ عن انقطاع عمله. وأما عمل غيره فهو لعامله ، فإنْ وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل ، لا ثواب عمله هو ...

[٩٦] قوله : (والله تعالى يستجيب الدعوات ، ويقضي الحاجات) .

● ش :قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر : ٦٠].

﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦].

والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم ـ : أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضارِّ .

● وهنا سؤال معروف ، وهو :أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطَى شيئًا ، أو يعطَى غير ما سأل ؟ وقد أجيب عنه بأجوبة ، فيها ثلاثة أجوبة محقّقة :

● أحدها :أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقًا ، وإنَّما تضمنت إجابةَ الداعِي ، والداعِي أعَمُّ من السائلِ ، وإجابة الداعِي أَعَمُّ من إِعطاءِ السائل . ولهذا قال النبي ﷺ : « **ينْزل ربُّنا ـ تبارك وتعالَى ـ كُلَّ ليلة إلى السماء الدنيا : ـ حين يبقى ثلثُ الليل الآخرُ ـ، فيقول : مَنْ يدعونِي فأَستجيبَ له؟ . مَنْ يسأَلُني فأُعْطيَهُ ؟. مَن يَسْتَغفرُنِي فأَغْفِرَ له ؟ .** » ـ أخرجه الشيخان ـ .

« صحيح »

ففرق بين الداعي والسائل ، وبين الإجابة والإعطاء ، وهو فرق بين العموم والخصوص ، كما أتبع ذلك بالمستغفر ، وهو نوع من السائل ، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص ...

● الجواب الثانِي :أن إجابة دعاء السؤال أعمُّ من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي ﷺ فيما رواه مسلم في « صحيحه » ، أن النبي ﷺ قال : « **ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحمٍ إلا أعطاه بِها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل له دعوته ، أو يدَّخِرَ له من الخير مثلها ، أو يصرف**

عنه من الشر مثلها »، قالوا : يا رسول الله، إذًا نكثر، قال : «الله أكثر»(١٠١). « صحيح »

• فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لابد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلاً ، أو مثله من الخير مؤجلاً ، أو يصرف عنه من السوءِ مثله .

• الجواب الثالث : أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب ، والسبب له شروط وموانع ، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب ، وإلا فلا يَحصل ذلك المطلوب ، بل قد يَحصل غيره . وهكذا سائر الكلمات الطيبات ، من الأذكار المأثورة المعلَّقِ عليها جَلْبُ منافعَ أَوْ دَفْعُ مضارٍّ ...، فالأدعية والتعوذات والرُّقَى بِمنْزلة السلاح ، والسلاح بضاربِه، لا بحدِّه فقط ، فمتَى كان السلاح سلاحًا تامًّا ، والساعدُ ساعدًا قويًّا ، والمَحَلُّ قَابلاً ، والمانعُ مفقودًا حصلت به النكاية في العدو ، ومتَى تَخَلَّفَ واحد من هذه الثلاثة تَخَلَّفَ التأْثِيرُ :

---

(١٠١) حديث صحيح بَيْدَ أنَّ مسلمًا لم يُخرجه !، وإنَّما قد :

• أخرجه الأئمة أحمد [١١٠٧٥] والبخاري في « الأدب المفرد » [٧١٠] وابن أبي شيبة في «المصنَّف» [٢٤/٧/ط: دار الفكر] وعبد بن حميد في «مسنده» [٩٣٧/منتخب] وأبو يعلى [١٠١٩] والطحاوي في «مُشكل الآثار» [٣٧٥/١] وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» [١٤٢] وأبو نعيم في « الحلية » [٣١١/٦] والحاكم [٤٩٣/١] وغيرهم من طريق عليٍّ بن عليٍّ الرفاعيِّ عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدريِّ مرفوعًا بنحوه ، ولفظ الطحاوي فيه سقطٌ :

• وإسناده صحيح ، وقد صححه ـ أيضًا ـ البزار والحاكم وابن عبد البرِّ وغيرهم .

• وزاد البعض في آخره : « وأطيبُ » ، وهذه زيادة ضعيفة شاذة !!:

• وأشار أبو نعيم إلى كونه مُعَلَّلاً بالإرسال، وهذا باطل، وإنَّما الصواب المحفوظ أنه مرفوع متصل.

• وقد توبع عليٌّ الرفاعيُّ عليه ، تابعه قتادةُ الإمامُ الحافظُ ، بَيْدَ أنَّ السند إليه منكر !!

• وللحديث بعضُ الشواهد ـ أيضًا ـ :

• هذا ، وقد توسعتُ ـ في بيان ما ذكرتُه آنفًا هنا على سبيل الاختصار ـ في كتابِي : « النصيحة في ذِكْرِ الأحاديث الصحيحة » عند رقم [٣٢] .

• وبالله تعالَى التوفيق .

● فإذا كان الدعاءُ في نفسه غيرَ صالح ، أو الداعِي لم يَجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثَمَّ مانعٌ من الإجابة ـ : لَمْ يَحصل الأثرُ .

[٩٧] قوله : (ويملك كُلَّ شيءٍ ، ولا يملكه شيء . ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين ، ومن استغنى عن الله طرفة عين ، فقد كفر وصار من أهل الْحَيْن) .

● ش : كلامٌ حقٌّ ظاهرٌ لا خَفَاءَ فيه . والحين ، بالفتح : الْهلاك .

[٩٨] قوله : (والله يغضب ويرضى ، لا كأحدٍ من الْوَرَى) .

● ش : قال تعالَى : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٢٠] و[التوبة: ١٠١] و [المجادلة : ٢٢] و [البينة : ٨] . ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨]. وقال تعالَى : ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء : ٩٣]. ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٦١]. ونظائر ذلك كثيرة .

● مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب ، والرضى ، والعداوة ، والولاية ، والحب ، والبغض ، ونَحو ذلك من الصفات ، التِي ورد بِها الكتاب والسنة ، ومَنْعُ التأويلِ الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالَى . كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات ، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله : « إذْ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنًى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويلِ ، ولزومِ التسليمِ ، وعليه دين المسلمين » [١٠٢] ...

(١٠٢) وذلك عند الفقرة رقم [٤٢] .

● فقولُ الشيخ رحمه الله : « لا كأحد من الورى » ، نفي التشبيه .
ولا يقال : إن الرضى إرادة الخير ، والغضب إرادة الانتقام ـ فإن هذا نفيٌ للصفة .

[٩٩] وقوله : (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) .

● ش : يشير الشيخُ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب . وقد أثنَى الله تعالَى على الصحابة هو ورسولُهُ، ورضي عنهم ، ووعدهم الحسنَى، كما قال تعالى : ﴿ والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] . وقال تعالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [الفتح : ٢٩] ، إلى آخر السورة . وقال تعالَى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] . وقال تعالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، إلى آخر السورة . وقال تعالَى : ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقَاتَلُوا وكُلاًّ وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] . وقال تعالَى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَانًا ويَنصُرُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

والإيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٨ ـ ١٠] .

● وهذه الآياتُ تتضمن الثناءَ على المهاجرين والأنصار ، وعلى الذين جاءوا من بعدهم ، يستغفرون لَهم ، ويسألون الله أن لا يَجعل في قلوبِهم غِلاًّ لَهم ...

● وفي « الصحيحين » عن أبِي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبَّهُ خالدٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تَسُبُّوا أَحدًا منْ أَصْحَابِي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ** » ـ وقد انفرد مسلم بذكر سب « صحيح » خالد لعبد الرحمن ، دون البخاري :

● فالنبيُّ ﷺ يقول لخالد ونَحوه: «**لا تسبوا أصحابِي**»، يعنِي عبد الرحمن وأمثالَهُ ، لأن عبد الرحمن ونَحوه هم السابقون الأولون ، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا ، وهم أهل بيعة الرضوان ، فهم أفضل وأخص بصحبته مِمن أسلم بعد بيعة الرضوان ، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية ، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة ، ومنهم خالد بن الوليد ، وهؤلاء أسبق مِمن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة ، وسُمُّوا الطلقاء ، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية .

● والمقصود أنه نَهى من له صحبة آخرًا أن يسب من له صحبة أوَّلاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بِما لا يُمكن أنْ يُشْرِكوهم فيه ، حتى لو أنفق

أحدُهم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ .

● فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية ، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بِحال مع الصحابة ؟! رضي الله عنهم أجمعين .

● والسابقون الأوَّلونَ ـ من المهاجرين والأنصار ـ هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، وأهل بيعة الرضوانِ كلهم منهم ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ...

● وفي « الصحيحين » من حديث عمران بن حُصين وغيره ، أن رسول الله ﷺ قال : « **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونَهم ، ثم الذين يلونَهم** » ، قال عمران : فلا أدري : « أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة » . الحديث ...، « صحيح » وقال تعالَى : ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ [التوبة : ١١٧] ، الآيات ...

● فمن أضلُّ مِمن يكون في قلبه غِلٌّ على خيار المؤمنين ، وسادات أولياء الله تعالَى بعد النبيين ؟!:

● بل قد فضلهم اليهود والنصارى بِخصلة ، ـ إذْ إنه قد ـ قيل لليهود: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى ، وقيل للنصارى : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب عيسى ، وقيل للرافضة : من شَرُّ أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد !! لم يستثنوا منهم إلا القليل ، وفيمن سَبُّوهم من هو خير مِمَّن استثنوهم بأضعاف مضاعفة .

● وقوله : « ولا نفرط في حب أحد منهم » ـ أي : لا نتجاوز الْحَدَّ في حب أحد منهم ، كما تفعل الشيعة ، فنكون من المعتدين . قال تعالَى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : ١٧١] .

● وقوله : « ولا نتبرأُ من أحد منهم » ـ كما فعلت الرافضة ! فعندهم لا وَلاَءَ إلا ببَراءٍ ، أي : لا يتولَى أهل البيت حتَّى يتبَرأ من أبِي بكر وعمر رضي الله عنهما !!:

● وأهل السنة يوالونَهم كلهم، وينْزلونَهم منازلَهم التِي يستحقونَها...

● وقوله : « وحبهم دين وإيمان وإحسان » ـ لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص ...

● ـ هذا ، ـ وتسميةُ حُبِّ الصحابة إيمانًا مشكلٌ على الشيخ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب ، وليس هو التصديق ، فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان . وقد تقدم من كلامه : « أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان » ، ولم يَجعل الإيمان داخلاً في مسمى الإيمان ، وهذا هو المعروف من مذهب أهل السنة ، إلا أن تكون هذه التسمية مَجازًا ـ عند الشيخ رحمه الله ـ .

● وقوله : « وبغضهم كفر ونفاق وطغيان » ـ تقدم الكلام في تكفير أهل البدع ، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . وقد تقدم الكلام في ذلك[١٠٣] ...[١٠٤]

---

(١٠٣) عند شرح الفقرة رقم [٦٧] .

(١٠٤) ● والرافضة هم الذين يُبغضون أصحابَ النبي ﷺ إلاَّ نَفَرًا قليلاً منهم رضي الله عنهم جميعًا:

● وقد توسعت في الذَّبِّ عن الصحابة رضي الله عنهم وبينتُ ما عليه الروافضُ الضلاَّل هؤلاء ـ تِجاه الصحابة رضي الله عنهم ـ. مِنْ فَسادٍ وزيغٍ وانْحرافٍ ، وذلك في كتابِي : « الصحيح المنتقى من حياة الصحابة رضي الله عنهم » .

[١٠٠] قوله : (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أوَّلاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة).

● ش : اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه : هل كانت بالنص ، أو بالاختيار ؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلَى أنَّها ثبتت بالنص الخفي والإشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلي. وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنَّها ثبتت بالاختيار .

● والدليل على إثباتها بالنص أخبارٌ : من ذلك ما أسنده البخاري عن جُبير بن مُطعم ، قال : أتت امرأة النبي ﷺ ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت: أرأيت إن جئتُ فلم أجدك ؟ كأنَّها تريد الموت ، قال : « **إن لم تَجديني فأْتِي أبا بكر** » ... ، وذلك نَصٌّ على إِمامته ....، وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ، قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئَ فيه ، فقال : « **ادعي لي أباك وأخاك ، حتى أكتب لأبِي بكر كتابًا** » ثم قال: « **يأْبَى الله والمسلمون إلاَّ أبا بكر** »(١٠٥) ...

---

(١٠٥) ● هذا حديث أصله صحيح ، ولكنه بهذا اللفظ المذكور ليس في « الصحيحين » ، وإنَّما :

● قد أخرجه البخاري [٥٦٦٦ ـ ٧٢١٧] من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : قالت عائشةُ ... فذكرت قصة ، وفي آخرها ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لقد هَمَمْتُ ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ أَنْ أُرْسِلَ إلى أبِي بكر وَابْنِه فَأَعْهَدَ : أنْ يَقول القائلونَ ، أَوْ يتَمَنَّى الْمتمنُّونَ ، ثم قلتُ : يأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ المؤمنونَ ، أَوْ يدفع اللهُ ويأْبَى المؤمنون » .

● **وإسناده صحيح :**

● وقد أخرجه مسلم [٢٣٨٧] من طريق عروة عن عائشة قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ في مَرَضِه : « ادْعِي لِي أبا بَكْرٍ ، وأخاك ، حتى أَكتبَ كتابًا . فإنِّي أخاف أنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ ويقول قائلٌ : أنا أَولَى . ويأْبَى اللهُ والمؤمنونَ إلاَّ أبَا بَكْرٍ » :

=

وأحاديثُ تقديمه في الصلاة ـ وهي في « الصحيحين » ـ مشهورة معروفةٌ ، وـ فيها ـ يقول ـ : « **مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس** » . وقد روجع في « صحيح » ذلك مرة بعد مرة ، فصلى بِهِم مدة مرض النبي ﷺ . وفي « الصحيحين » ـ أيضًا ـ عن أبِي هريرة ، قال : سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **بينا أنا نائم رأيتني على قليب ، عليها دلو ، فنَزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبِي قحافة، فنَزع منها ذَنوبًا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت غَرْبًا، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أرَ عبقريًا من الناس يَفري فَرِيَّهُ ، حتى ضرب الناسُ**

● وإِسناده صحيح أيضًا :

● ومن هذا الطريق أخرجه النسائي في « الكبرى » [٢٥٣/٤] وأحمد [١٤٤/٦] ـ ولكن بلفظ: دَخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ في اليوم الذي بُدئَ فيه ، فقلتُ ... فذكرت القصة المُشارَ إليها آنفًا ولكن بنحوها ، وفي آخرها ـ قال رسول الله ﷺ : « ادْعِي لي أباكِ وأخاكِ ، حتى أكتبَ لأبِي بكرٍ كتابًا ، فإنِّي أخاف ... » ثم ساقه بمثل رواية مسلم ، بَيْدَ أنه قال : « عز وَجل » :

● واللفظ لأحمد ، وسنده كما ذكرت آنفًا .

● وقد رواه النسائي [٢٥٢/٤ ـ ٢٥٣] بسند آخَرَ عن عروة عن عائشة بنحو القصة فقط دون ذكر ما يتعلق بأبِي بكر ، وسنده ضعيف !

● ومن هذا الطريق الضعيف: أخرجه النسائي ـ أيضًا ـ [٢٥٢/٤] وأبو يعلى في « مسنده » [٤٥٧٩] ولكن بإسقاط عروة !!

● وقد رواه أحمد [٤٧/٦ ـ ١٠٦] وغيره من طريق ابن أبِي مليكة عن عائشة ... فذكر نَحو القصة السابقة في شأن أبِي بكر :

● وقد ورد هذا عن ابن أبِي مليكة من طريقين : أحدهما تالفٌ والثاني منكرٌ !!

● هذا ، وبما سبق يتبين للقارئ الكريم أنَّ اللفظ الذي ذكره المؤلِّفُ ـ أعلاهُ ـ إنَّما هو أقرب ما يكون ـ بتمامه ـ للفظ أحمد والنسائي ، وليس هو لفظ الصحيحين ، وبالله التوفيق :

● تنبيه :

● قد ذكر شيخنا العلامة الألبانيُّ في « الصحيحة » [تَحت رقم / ٦٩٠] طريقًا رابعًا لهذا الحديث عن عائشة ، وهو عن عبيد الله بن عبد الله عنها ، وبعد النظر في متنه رأيتُ أنه لا ذِكْرَ له فيه بشأن خلافة أبِي بكر صراحةً وإنما هو في تقديمه حال مرضه ﷺ ـ للإمامة في الصلاة على غيره من الصحابة رضي الله عنهم ، فَجَلَّ مَنْ لا يسهو عز وجل !!.

« صحيح » بِعَطَنٍ » ...

• واحْتَجَّ مَنْ قال: لَم يستخلفْ، بالخبر المأْثور ـ وهو في «الصحيح» ـ عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، وأنه قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منِّي ، يعنِى أبا بكر ، وإن لا أستخلف ، فلم يستخلف من هو خير منِّي ، يعنِي رسول الله ﷺ ...» ، وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنَّها سُئلت: مَنْ كان رسول الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لو اسْتَخْلَفَ؟، قالت : أبو بكر ، ـ وهذا في « الصحيح » أيضًا ـ .

• والظاهرُ ، والله أعلم : أَنَّ المراد أنَّه لم يستخلف بِعهد مكتوب ، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبِي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال : « يأْبَى « صحيح » الله والمسلمون إلاَّ أبا بكر »(١٠٦) .

• فكان هذا أبلغ من مجرد العهد ، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبِي بكر ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة ، من أقواله وأفعاله ، وأخبر بِخلافته إخبار راضٍ بذلك ، حامد له ، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا ، ثم علم أن المسلمين يَجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك ...

• فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانًا قاطعًا للعذر ، لكن لما دلَّهم دلالات متعددةً على أن أبا بكر المتعين ، وفهموا ذلك حصل المقصودُ :

• ولِهذا قال عمر رضي الله عنه ، في خطبته التِي خطبها بِمحضر من المهاجرين والأنصار : أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، ـ وهذا

---

(١٠٦) وراجع نَصَّهُ وتَخريجه ـ إنْ شئتَ ـ في التعليق رقم [١٠٥] وأعلاهُ .

في « الصحيح » ـ ، ولَمْ ينكر ذلك منهم أحَدٌ ، ولا قال أَحَدٌ من الصحابة إن غير أبِي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ، ولَم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار ، طمعًا في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أميرٌ. ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر ، إلا سعد بن عبادة ، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية . ولم يقل أحد من الصحابة قط إن النبي ﷺ نصَّ على غير أبِي بكر ، لا عليٍّ ، ولا العباسِ، ولا غيرِهما ، كما قد قال أهل البدعِ !!...

● وفي الجملة : فجميع من نُقل عنه أنه طلب توليةَ غير أبِي بكر ، لم يذكر حجةً دينيةً شرعيَّةً ، ولا ذكر أن غير أبِي بكر أفضل منه [١٠٧] ، أو أَحَقُّ بِهَا ، وإنَّما نشأَ من حب قبيلته وقومه فقط ، وهم كانوا يعلمون فضل أبِي بكر رضي الله عنه ، وحبَّ رسول الله ﷺ له . ففي « الصحيحين » ، عن عمرو بن العاص : أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته ، فقلت : أي الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « **عائشة** » ، قلت : من الرجال ؟ قال : « **أبوها** » ، قلت : ثم من ؟ قال : « **عمر ، وعدَّ رِجَالاً** »... « صحيح »

● وفِي «الصحيحين» أيضًا، عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح ـ فذكرت الحديث ـ إلى أن قالت : واجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة ، في سقيفة بنِي ساعدة ، فقالوا : منا أميرٌ ، ومنك أميرٌ فذهب إليهم أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما

---

(١٠٧) ومن أعظم فضائل أبِي بكر رضي الله عنه أنه ـ بإجماع أهل السنة ـ أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ ، وقد توسعت في الكلام عن فضائله رضي الله عنه في كتابِي : « الصحيح المنتقى من حياة الصحابة رضي الله عنهم وسيرتِهم » .

أردتُ بذلك إلا أنِّي هيأتُ في نفسي كلامًا قد أعجبَني ، خشيتُ أن لا يبلُغَه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر ، فتكلم أبلغ الناس ، فقال في كلامه : نَحنُ الأمراءُ ، وأنتم الوزراء ، فقال حُباب بن المنذر : لا والله لا نفعلُ ، منا أميرٌ ، ومنكم أميرٌ ، فقال أبو بكر : لا ولكنَّا الأمراءُ ، وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب ، وأعزهُمْ أحسابًا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر: بل نُبايعك ، فأنت سيدُنا وخيرُنا ، وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده ، فبايعه ، وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعدًا ، فقال عمر : قتله الله. « صحيح »

والسُّنْحُ : العالية ، وهي : حديقة بالمدينة معروفة بها .

[١٠١] قوله :(ثُم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه) .

● ش :أي : ونثبتُ الخلافة بعد أبِي بكر ، لعمر رضي الله عنهما . وذلك بتفويض أبِي بكر الخلافة إليه ، واتفاق الأمة بعده عليه . وفضائله رضي الله عنه أشهرُ من أن تُنكر ، وأكثر من أن تُذكر [(١٠٨)] .

فقد ... تَقَدَّمَ حديثُ أبِي هريرة رضي الله عنه ، في رؤيا رسول الله ﷺ ، ونزعه من القليب ، ثم نزع أبِي بكر ، ثم استحالت الدلو غربًا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريًّا من الناس ينْزع نَزْعَ عمر ، حتَّى ضرب الناسُ بِعَطَنٍ . « صحيح » وفي « الصحيحين » ، من حديث سعد بن أبِي وقاص : قال :

---

(١٠٨) وقد توسعت في الكلام عن كثير من فضائله رضي الله عنه في كتابِي : « الصحيح المنتقى مِنْ حياة الصحابة رضي الله عنهم وسيرِتهم » .

هذا ، ومِنْ أعظم فضائله رضي الله عنه أنه ـ بالإجماع ـ أفضل هذه الأُمة بعد النبيِّ ﷺ وأبِي بكر الصديق رضي الله عنه .

استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، وعنده نساء من قريش ، يكلمنه ، عالية أصواتُهن ـ الحديث ، وفيه ـ فقال رسول الله ﷺ : « **إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجًا إلا سلك فجًا غير فجِّك** » . وفي « الصحيحين » أيضًا ، عن النبي ﷺ ، أنه كان يقول : « **قد كان ـ يكون ـ في الأمم قبلكم محدَّثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ ، فإن عمر بن الخطاب منهم** »(١٠٩) .

« صحيح »

« صحيح، ولكن: »

قال ابن وهب : تفسير « مُحَدَّثُونَ » ـ مُلْهَمُونَ .

[١٠٢] قوله : (ثم لعثمان رضي الله عنه) .

● ش : أي : وتثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما ، وقد ساق البخاري رحمه الله قصةَ قتل عُمَرَ رضي الله عنه ، وأَمْرَ الشورى والمبايعة لعثمان ، في « صحيحه » ... ـ وفيها ـ فقالوا : أَوْصِ يا أميرَ المؤمنينَ ، استخلفْ ؟ قال : ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أي الرهط ، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسمى عليًّا ، وعثمانَ، والزبيرَ ، وطلحةَ ، وسعدًا ، وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمْر شيءٌ ، كهيئة التعزية له ، فإن أصابت

---

(١٠٩) ● ظاهر صنيع المؤلف ـ رحمه الله تعالَى ـ يوهم أنه في « الصحيحين » من حديث صحابيٍّ واحدٍ ، وليس الأمرُ كذلك ، إذْ :

● قد أخرجه البخاري [٣٤٦٩ ـ ٣٦٨٩] من حديث أبِي هريرة مرفوعًا بنحوه .

● وأخرجه مسلم [٢٣٩٨] من حديث عائشة مرفوعًا بمثله :

● وقد اختلف بعضُ الحفاظ في كونه محفوظًا من حديث عائشة أمْ من حديث أبِي هريرة ، فرجَّح الثانِي البخاريُّ ، ورَجَّحَ الأَولَ مسلمٌ:

● هذا ، والراجح في ذلك ـ بعد النظر ،إنْ شاء الله تعالَى ـ هو : ما رَجَّحَهُ مسلم رحمه الله تعالَى .

الإمارةُ سعدًا فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّرَ ، فإنِّي لم أعزله من عجز ولا خيانة ...، فلما فُرِغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، قال الزبير : قد جعلتُ أمري إلى علي ، فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ؟ والله عليه والإسلام ؟ لينظرنَّ أفضلهم في نفسه ، فَأُسْكِتَ الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إليَّ ؟ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما ، فقال : لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقَدَمُ فِي الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك ، لئن أمَّرتك لتعدلن ؟ ولئن أمرتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ ؟ ثم خلا بالآخر ، فقال له مثل ذلك ، فلما أخذ الميثاق ، قال : ارفع يَدَكَ يا عثمان ، فبايعه فبايع له عليٌّ ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فبايعُوه . « صحيح »

● ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة : كونه خَتَنَ رسولِ الله ﷺ على ابنتيه (١١٠) . وفي « صحيح مسلم » ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيته ، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدَّث ، ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك ، فتحدَّث ، ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدَّث ، فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم

---

(١١٠) ● حيث تَزَوَّجَ أَوَّلاً : « رُقَيَّةَ » رضي الله عنها ، فلمَّا ماتت تزوَّج : « أُمَّ كُلْثوم » رضي الله عنها .

●ومِنْ هنا عُرِف باللَّقَبِ المشهورِ عنه : « ذُو النُّورَيْنِ » .

تَهْتَشَّ ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيتَ ثيابك ؟ فقال : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** » . « صحيح »

وفي « الصحيح ـ « صحيح البخاري » ـ لما كان يوم بيعة الرضوان ، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنَى : « **هذه يد عثمان** »، فضرب بِها على يده ، فقال : « **هذه لعثمان** » ... (١١١) « صحيح »

[١٠٣] قوله : (ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

● ش : أي : ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما . لما قتل عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا واجبَ الطاعة ...

● فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين على بن أبِي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه ، بِمبايعة الصحابة ، سوى معاوية مع أهل الشام . والحقُّ مع علي رضي الله عنه ...،

ونقول في الجميع بالحسنَى : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] والفتن التِي كانت فِي أيامه قد صان الله عنها أيدينا ، فنسأل الله أن

(١١١) ● ومن فضائل عثمان رضي الله عنه ـ أيضًا ـ ما يلي :

(أ) أنه قد بَشَّرَهُ الرسولُ ﷺ بالجنة .

(ب) أنه جَهَّز جيش العُسْرة .

(ج) أنه قد بشره النبيُّ ﷺ بالشهادة .

(د) أنه ـ رضي الله عنه ـ أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ وأبِي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعلى هذا إجماعُ أهل السنة والجماعة .

يصون عنها ألسنتنا ، بِمَنِّه وَكَرَمِه(١١٢) .

• ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما في « الصحيحين »، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي : « **أنت منِّي بِمَنْزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي** » . وقال ﷺ يوم خيبر : « **لأُعْطِيَنَّ الراية غدًا رجلاً يُحبُّ الله ورسولَه ، ويُحبه الله ورسُولُهُ** » . قال : فتطاولنا لَها ، فقال : « **ادعوا لي عليًّا** » ، فأتِي به أرمد ، فبصق في عينيه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ...(١١٣)

---

(١١٢) • وقد يظنُّ بعضُ الناس ـ جهلاً ـ أنَّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأرضاه قد نازع عليًّا رضي الله عنه وأرْضاهُ الخلافةَ وحاربَهُ عليها ، وهذا ظنٌّ باطلٌ ، وإنما لهذه الحروب ـ بينهما ـ شأنٌ آخَرُ، خلاصَتُهُ : أنَّ معاوية رضي الله عنه كان يعتقد ـ كما يعتقد كلُّ المسلمين المعتبر بشهادتهم هنا ـ أنَّ عثمان قد قُتلَ مَظْلُومًا ، وأنه يَجب الثَّأْرُ مِنْ قَاتليه ـ بالقصاص ـ وَرَأَوْا ـ أَيْضًا ـ أنَّ قَتَلَةَ عثمانَ رضي الله عنه ما زالوا في عسكر عليٍّ ، وأنَّهم غالبون ـ هم وأشياعُهُم ـ ولَهم شوكة وَمَنَعَةٌ ، وأنَّهم لو بايعوا عليًّا رضي الله عنه حينئذ قبل أنْ يُقيم القصاصَ على القاتلين ويُذْهِبَ شوكتهم وشوكة ومنعة أشياعهم الظالمين فإنَّهم ـ أعْني : معاوية ومَنْ معه ـ سيكونون عُرْضَةً للظلم والعدوانِ من قبل هؤلاءِ المنابذين لبني أُمية أشياعِ عثمانَ ، وعليٌّ حينئذٍ لَنْ يستطيع دفعهم وَرَدَّهُمْ ، فَرَأَوْا أنه لا يُبايع لعليٍّ رضي الله عنه حتى يَتِمَّ له ما سبق ذكره آنفًا .

• ورأى ـ في نفس الوقت ـ عليٌّ رضي الله عنه أنه يَجب قتالهم ـ أي : معاوية ومَنْ معه ـ حتى يدخلوا في بيعة خليفة المسلمين ، ورأى معاوية ومَنْ معهم أنَّهم إن قوتلوا على ترك البيعة لعليٍّ ـ والحال كما سبق ذكره ـ أنَّهم سيكونون مظلومين وفي نفس الوقت يَجب عليهم رَدُّ الظلم عن أنفسهم ، ثم إنه قد بدأهم عليٌّ رضي الله عنه بالقتال بعدُ ، فكان ما كان !! ولله تعالَى الأمرُ من قبلُ ومِنْ بَعْدُ ، وإنا لله وإنا إليه راجعون!

• وانظر ـ للمزيد في بيان ذلك ـ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » [٣٥/٧١ـ إلى ـ ٧٩] .

(١١٣) • ومن فضائل عليٍّ رضي الله عنه ـ أيضًا ـ ما يلي :

(أ) أنه ـ بالإجماع ـ أفضل هذه الأمة بعد النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

=

[١٠٤] قوله: (وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

● ش : تقدم الحديث الثابت في « السنن » ، وصححه الترمذي ، عن العرباض بن سارية ، قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغةً ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودِّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « **أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تَمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحدَثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة** »(١١٤) .

● وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل ، كترتيبهم في الخلافة ...

● وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان ، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي . وعلى هذا عامة أهل السنة (١١٥) .

=

(ب) أنَّ النبيَّ ﷺ قد زَوَّجَهُ فاطمة على جلالتها رضي الله عنها وعنه .
(ج) أنَّ النبيَّ ﷺ قال في حَقِّه : « لا يُحبه إلاَّ مؤمنٌ ، ولا يُبغضه إلا منافقٌ » .

● هذا ، وقد توسعت في الكَلام عن فضائله رضي الله عنه وخرَّجت ما سبق في كتابِي المختص بحياة الصحابة رضي الله عنهم .

(١١٤) في أسانيده ضَعْفٌ ونكارة! :

وقد توسعتُ في تَخريجه وتَحقيقه في جزء لِي في : « ضعيف الأربعين النووية » .

(١١٥) ● وقد اتفق أهل السنة قديمًا وحديثًا على أنَّ ترتيبهم في الخلافة على هذا النحو : « أبو بكر ثم عمرُ ثم عثمان ثم عليٌّ » ، وكانوا ـ أعني : أهل السنة ـ يضلّلون من يُخالف في ذلك أو يطعن في خلافة واحد من هؤلاء الراشدين رضي الله عنهم ، حتى قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية كما في « مجموع الفتاوى » [١٥٣/٣] : « ... ومَنْ طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضَلُّ مِنْ حمارِ أهله » اهـ .

● وأمَّا أهل السنة والجماعة قديمًا فكانوا قد اختلفوا في ترتيب الفضل بين عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما ، وكان رأيُ جماهيرهم تقديم عثمان رضي الله عنه ، ثم انعقدت كلمة أهل السنة قاطبةً على ذلك الذي كانت عليه جماهيرهم آنفًا، وانظر في بيان ذلك المصدر السابق من المجموع لشيخ الإسلام ابن تيمية.

« صحيح، ولكنْ »

وفي « الصحيحين » عن ابن عمر ، قال : كنا نقول ورسول الله ﷺ حَيٌّ : أفضل أمة النبي ﷺ بعده ـ أبو بكر ، ثم عُمَرُ ، ثم عثمان ... (١١٦)

[١٠٥] قوله : (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة ، نشهد لهم بالجنة ، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمين هذه الأمة ، رضي الله عنهم أجمعين) .

● ش : ... ـ أمَّا كون أبِي عُبَيْدَةَ رضي الله عنه أَمين هذه الأُمَّةِ فقد دَلَّ عليه ما ـ في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ لكلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ: أبو عبيدة بن الْجَرَّاحِ** » ... (١١٧)

« صحيح، ولكنْ »

● ـ وأَمَّا بالنسبة للشهادة بالجنة لجميع هؤلاءِ العشرة رضي الله عنهم فلما ورد ـ :

● عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، قال : أشهد على رسول الله ﷺ

---

(١١٦) ليس هذا الحديث عند مسلم أصْلاً ، وإِنَّما :

● قد رواه البخاريُّ [٣٦٥٥] عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما بلفظ : « كُنَّا نُخَيِّرُ بين الناس في زَمَنِ النبيِّ ﷺ فنُخَيِّرُ أبا بَكْرٍ ثم عُمَرَ ثم عثمان رضي الله عنهم » ، وسنده صحيح :

● ورواه البخاري تارة أخرى [٣٦٩٧] ولكنْ بلفظ : « كُنَّا في زَمَنِ النبيِّ ﷺ لا نَعْدِلُ بِأَبِي بكرٍ أحَدًا ثم عُمَرَ ثم عثمان » ، وسنده صحيح أيضًا .

● وقد توسعت في تَخريجه وتَحقيقه في كتابي : « الموسوعة في ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة » وذلك في ثنايا الكلام عن الحديث رقم [٢٦] ثَمَّ .

(١١٧) ● ليس هو في « صحيح مسلم » [٢٤١٩] فقط دون البخاريِّ ، وإنما قد :

● أخرجه ـ أيضًا ـ البخاريُّ [٣٧٤٤ ـ ٤٣٨٢ ـ ٧٢٥٥] !!

أنِّي سَمعته يقول : « **عشرة في الجنة : النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وطلحة في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة** » ، ولو شئت لسمَّيتُ العاشر ، قال : فقالوا : من هو ؟ قال : سعيد بن زيد، وقال : لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يَغبَر منه وجهه ، خيرٌ من عمل أحدكم، ولو عُمِّرَ عُمُر نوح. روه أبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي ، وصَحَّحَهُ ...(١١٨)

● وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، أن النبِي ﷺ قال : « **أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة** » . رواه الإمام أحمد في « مسنده » . ورواه أبو بكر بن أبِي خيثمة ، وقدم فيه عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما ...(١١٩)

● وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاءِ العشرة وتقديمهم ، لِمَا اشتهر مِنْ فضائلهم ومناقبهم ...(١٢٠)

---

(١١٨) انظر ـ لزامًا ـ التعليق رقم [١٢٠] .

(١١٩) انظر ـ لزامًا ـ التعليق رقم [١٢٠] .

(١٢٠) ● والمشهور مِنْ مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ هؤلاءِ العشرةَ رضي الله عنهم مبشَّرون بالجنة ، وهذا من حيث الاعتقادُ :

● وأمَّا من حيث تصحيح هذينِ الحديثين :

١ـ حديث سعيد بن زيد .

٢ـ وحديث عبد الرحمن بن عوف :

● فقد اختلفوا في ذلك فمنهم من صحَّحَهما ، ومنهم من قال فيهما نظر ، وقد توسعت في الكلام عنهما في كتابِي : « الموسوعة ... » عند رقمي : [٣٢ ـ ٣٣] .

=

● ـ هذا ، ـ والرافضة ـ قتلهم الله عز وجل ـ يَتَبَرَّءُونَ من جمهور هؤلاءِ ـ العشرة ...،

بل يتبرءون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ ، إلا من نفر قليل ، نَحو بضعة عشر نفرًا !! ... (١٢١)

● والرافضة توالِي بدلَ العشرةِ المبشرين بالجنة ، اثنى عشر إمامًا ، أَوَّلُهُم علي بن أَبي طالب رضي الله عنه ، ويدَّعون أنه وَصِيُّ النبيِّ ﷺ ، دعوى مُجردة عن الدليل (١٢٢) ، ثم الحسن رضي الله عنه ، ثم الحسين رضي

● وانظر ـ إنْ شئتَ ـ « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية [٥٠٢/٦] .

(١٢١) انظر ـ لزامًا ـ التعليق رقم [١٠٤] .

(١٢٢) ● وممَّا يدل على أنَّ النبيَّ ﷺ لَمْ يُوصِ لعليٍّ رضي الله عنه بالخلافة من بعده ، وأنَّ هذا من اختراع وابتداع الرَّوافض وغيرهم من غُلاة الشيعة !! :

● ما رواه أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة أحدُ صغار الصحابة رضي الله عنهم حيث قال : سُئلَ عَلِيٌّ : أَخصَّكم رسول الله ﷺ بشيءٍ ؟ فقال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لَمْ يَعُمَّ به الناس كافَّةً . إلا ما كان في قراب سيفي هذا . قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها : « لعن الله مَنْ ذبح لغير الله . ولعن الله من سرق منار الأرض . ولعن الله من لعن والده . ولعن الله من آوى مُحدثًا » ، وفي رواية أخرى وقع هكذا : « بَدَّلَ » بَدَلَ : « سَرَق » :

● أخرجه مسلم [١٩٧٨] والنسائي [٢٣٢/٧/ سندي] وغيرهما عن أبي الطفيل به ، واللفظ الأَوَّل لرواية عند مسلم ، وسندها صحيح .

● وأمَّا لفظ الرواية الأخرى فهو للنسائي ورواية ـ أيضًا ـ عند مسلم ، وسندها صحيح أيضًا ، بل هي أصح سندًا عن أبي الطفيل من الرواية الأولى .

● وأَمَّا الاحتجاج بقوله ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه : « ألا ترضى أن تكون مِنِّي بِمَنْزِلَة هارونَ من موسى ، إلاَّ أنه ليس نَبِيٌّ بعدي » . أخرجه البخاري [٣٧٠٦ ـ ٤٤١٦] ومسلم [٢٤٠٤] :

● فلا يُسلَّم له البتة ، وقد رَدَّهُ أهل العلم الكرام :

● قال القاضي ـ عياضٌ ـ : « هذا الحديثُ ممَّا تَعَلَّقَتْ به الروافضُ والإمامية وسائرُ فِرق الشيعة في أنَّ الخلافةَ كانت حقًّا لعليٍّ وأنه وصَّى له بها ...، وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم ، بل فيه إثباتُ فضيلة لعليٍّ ، ولا تَعَرُّضَ فيه لكونه أفضلَ مِنْ غيره أو مثلَه ، وليس فيه دلالةٌ لاستخلافِهِ بعدَه ، لأنَّ النبي

الله عنه ، ثم علي بن الحسين زين العابدين ، ثم محمد بن علي الباقر ، ثم جعفر بن محمد الصادق ، ثم موسى بن جعفر الكاظم ، ثم علي بن موسى الرضى ، ثم محمد بن علي الجواد ، ثم علي بن محمد الهادي ، ثم الحسن بن علي العسكري ، ثم محمد بن الحسن ، ويغالون في محبتهم ، ويتجاوزون الحد!!...

[١٠٦] قوله : (وَمَن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس ، وذرِّياته المقدسين من كل رجس ، فقد برئ من النفاق) .

● ش : ... وإنَّما قال الشيخ رحمه الله : « فقد برئ من النفاق » ـ لأن أصل الرفض إنَّما أحدثه منافق زنديق ، قصده إبطال دين الإسلام ، والقدح في الرسول ﷺ ، كما ذكر ذلك العلماء . فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام ، أراد أن يفسد دين الإسلام بِمكره وخبثه ، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله ، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلوَّ في عليٍّ والنصرة له ، ليتمكن بذلك من أغراضه ، وبلغ ذلك عليًّا ، فطلب قتله ، فهرب منه إلى قرقيس . وخبره معروف في التاريخ !!... ، ولِهذا كان الرَّفْضُ بابَ الزندقة !! ...

=

ﷺ إنَّما قال هذا لعليٍّ حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوكَ ، ويُؤيِّدُ هذا أنَّ هارونَ الْمُشبَّهَ به لم يكن خليفةً بعد موسى ، بَلْ تُوفِّي في حياة موسى ، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سَنَةً على ما هو مشهورٌ عند أهل الأخبار والقصص ، قالوا : وإنما استخلفه حين ذَهَبَ لميقات ربِّه للمناجاة ... » اهـ.

● قاله الإمامُ النوويُّ في شرحه لمسلم [١٥/١٧٤]، وانظر ـ للمزيد في ذلك ـ «فتح الباري» [٧/٧٤] .

● ... ولا شك أنه يتطرق مِنْ سَبِّ الصحابة إلى سبِّ أهل البيت ، ثم إلى سب الرسول ﷺ ـ ثم إلَى إبطال دين الإسلامِ !! ـ ...

[١٠٧] قوله : (وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين ـ أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر ـ لا يُذكرون إلا بالجميل ، ومَنْ ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) .

● ش : قال تعالَى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء : ١١٥] . فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين ، كما نطق به القرآن ، خصوصًا الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بِمنْزلة النجوم ، يُهتدى بِهم في ظلمات البَر والبحر .

● وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ...، ـ ولا ريب في ذلك ـ فإِنَّهم خلفاءُ الرسول من أمته ، والْمُحْيُونَ لما ماتَ مِنْ سنته ، فبهم قام الكتابُ وبه قاموا ، وبِهم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول ﷺ ...، فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا ، وإيضاح ما كان يَخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم . ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر : ١٠] .

[١٠٨] قوله : (ولا نُفَضِّلُ أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء) .

● ش : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتِّحادية وجهلة المتصوفة...

● وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة ، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم ! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!! ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنَّما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء !! وَيَدَّعي لنفسه أنه : خاتم الأنبياء ! (١٢٣)

ـ وهذا ـ لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره ـ قال : النبوة ختمت ، لكن الولاية لَم تُختم وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء مستفيدون منها ! كما قال :

« مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولِي » !!

● وهذا قلب للشريعة ، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين ، كما قال تعالَى : ﴿ **أَلا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس : ٦٢ ـ ٦٣] . والنبوة أخص من الولاية ، والرسالة أخصُّ من النبوة ، كما تقدم على ذلك(١٢٤) :

[١٠٩] قوله : (ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم) .

● ش : فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة ، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين . ولكن كثير من المتأخرين يفرقون فِي اللفظ

---

(١٢٣) ولا يعرف في ديننا الحنيف شيءٌ يُلَقَّبُ بِــ: « خاتم الأولياء » .

(١٢٤) وانظر ـ في ذلك ـ التعليقَ السابقَ برقم [١٣] .

بينهما ، فيجعلون المعجزة للنبي ، والكرامة للولِي . وجماعها : الأمر الخارق للعادة ...

• ثم الخارق : إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين ، كان من الأعمال الصالحة المأمور بِها دينًا وشرعًا ، إما واجب أو مستحب ، وإن حصل به أمر مباح ، كان من نعم الله الدنيوية التِي تقتضي شكرًا(١٢٥) ...

• قال أبو علي الجوزجانِي : كن طالبًا للاستقامة ، لا طالبًا للكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة .

• قال الشيخ السهروردي في « عوارفه » : وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيرًا من المجتهدين المتعبدين سَمعوا ـ عن ـ السلف الصالحين المتقدمين ، وما مُنِحُوا به من الكرامات وخوارق العادات ، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ، ويُحبون أن يرزقوا شيئًا منه ، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب ، ومتهمًا لنفسه في صحة عمله ، حيث لم يَحصل له خارق ، ولو علموا بسر ذلك لَهان عليهم الأمر ، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابًا ، والحكمة فيه أن يزداد بِما يرى من خوارق العادات وآثار القدوة يقينًا ، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا ، والخروج عن دواعِي الهوى . فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي كل الكرامة ...

• ـ هذا ، ـ واعلم : أنَّ عدم الخوارق لا يضرُّ المسلمَ في دينه :

---

(١٢٥) • وإنْ حَصَل به شيءٌ محرمٌ أوْ مذمومٌ شرعًا كان من جنس الخوارق الشيطانية ، وكان الذي ظهرت على يديه من أعوان الشياطين ، وأعداءِ الدِّين ، وقد بَيَّن ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ وغيره ـ في بعض كتبه :

• ولِهذا : لا يُغترُّ بظهور الخوارق حتى يتحقق فيها أمرانِ ، الأول : كونُها لم تأت بِمذموم شرعًا، والثانِي : كونُها تظهر على يدي مَن لم يعرفوا بالفسق !.

• فَمَنْ لم ينكشف له شيءٌ من الْمُغَيَّبات ، ولمْ يُسَخَّرْ له شيءٌ مِنَ الكونيات ـ : لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له ، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، فإن الخارق قد يكون مع الدين ، وقد يكون مع عدمه ، أو فساده ، أو نقصه ، فالخوارق النافعة تابعة للدين ، خادمة له .

• ثم إن الدين إذا صح علمًا وعملاً فلابد أن يوجب خرق العادة : إذا احتاج إلى ذلك صاحبه . قال تعالَى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ** ﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] . وقال تعالَى : ﴿ **إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال : ٢٩] ...، وقال تعالَى ، فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ : « **من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرَّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلَيَّ بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سَمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يَمشي بِها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذنِي لأعيذنَّه ، وما تردَّدْتُ فِي شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ...** » « ثابت بنحوه » . فظهر أن الاستقامة حَظُّ الربِّ ، وطلبَ الكرامة حظُّ النفس . وبالله التوفيق .

• وأمَّا قول المعتزلة في إنكار الكرامة : فظاهر البطلان ، فإنه بِمنْزلة إنكار المحسوسات . وقولُهم : لو صحت لأشبهت المعجزة ، فيؤدي إلى التباس النبي ﷺ بالولِي ، وذلك لا يَجوز ! وهذه الدعوى إنَّما تصح إذا كان الولي يأتِي بالخارق ويدعي النبوة ، وهذا لا يقع ، ولو ادعى النبوة لم يكن وليًّا بل كان متنبئًا كذابًا !! ...

[١١٠] قوله : (ونؤمن بأشراط الساعة : من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها ، وخروج دابة الأرض من موضعها).

● ش : ... وعن حذيفة بن أسيد ، قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونَحن نتذاكر الساعة ، فقال : « **ما تذاكرون** » قالوا : نذكر الساعة ، فقال : « **إنَّها لن تقوم حتَّى ترون قبلها عشر آيات** » ، فذكر : « **الدخان ، والدجال ، والدابة، وطلوع الشمس من مغربِها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تَخرج من اليمن تطرد الناس إلى مَحشرهم** » . رواه مسلم ، وروى « صحيح » البخاريُّ ـ ومسلم ـ عن أبِي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده ليوشكَنَّ أن ينْزل فيكم ابنُ مريم حكمًا عدلاً ، فيكسر الصليبَ ، ويقتلَ الخنْزيرَ ، ويضعَ الجزية ، ويَفِيضَ المالُ حتَّى لا يقبله أحد ، حتَّى تكون السجدة خيْرًا من الدنيا وما فيها** » . « صحيح »

ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وإن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ [النساء : ١٥٩] .

●ـ هذا ، ـ وأحاديث الدجال ، وـ بيان أن ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ، ينْزل من السماء ويقتله ، ـ وأنَّ ... يأجوج ومأجوج ـ سيخرجون ـ في أيامه بعد قتله الدجالَ ، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببَركة دعائه عليهم ـ : يضيق هذا المختصر عن بسطها [١٢٦] .

---

١٢٦ وانظر الأحاديث التي تتكلم عن كُلِّ ما سبق آنفًا في كتاب : « الصحيح المسند مِنْ أحاديث الفتن ... » للشيخ الفاضل الحبيب مصطفى بن العدوي حفظه الله تعالَى .

● وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب ـ فقال تعالَى :﴿وإذَا وقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] . وقال تعالَى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبِي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتَّى تطلع الشمس من مغربِها، فإذا رآها الناس آمَن مَنْ عليها ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل**»(١٢٧) ...

● ـ هذا ، ـ وقد أفرد الناسُ في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة ، يضيق على بسطها هذا المختصر(١٢٨) .

[١١١] قوله : (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا ، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة) .

● ش : روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبِي عُبيد ، عن بعض أزواج النبِي ﷺ ، عن النبي ﷺ ، قال : « **من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء ، لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين ليلةً** »(١٢٩) ...

---

(١٢٧) ● لم ينفرد البخاري [٤٦٣٥ ـ ٤٦٣٦ ـ ٦٥٠٦ ـ ٧١٢١] بإخراجه دون مسلم كما يفهم منْ سياق العلامة العلامة الشارح :

● وإنَّما قد أخرجه مسلم ـ أيضًا ـ [١٥٧] !! :

● هذا ، وقد كثر صدور هذا من العلامةِ المؤلِّفِ ـ رحمه الله تعالَى ـ !!

(١٢٨) وأفضل ما وقفت عليه من الكتبِ في هذا الباب ـ حتى الآن ـ كتابُ : « الصحيح المسند مِنْ أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة » للشيخ الحبيب الفاضل مصطفى بن العدوي حفظه الله تعالَى .

(١٢٩) ● أخرجه الإمام مسلم [٢٢٣٠] وأحمد [٦٨/٤] ، [٣٨٠/٥] وغيرهما بسند صحيح عن =

• والمنجم يدخل في اسم « العراف » عند بعض العلماء ، وعند بعضهم هو في معناه ، فإذا كانت هذه حال السائل ، فكيف المسئول ؟!

• وفي «الصحيحين» و«مسند الإمام أحمد» ، عن عائشة . قالت: سئل رسولُ الله ﷺ عن الكهان ؟ فقال : «**ليسوا بشيء** ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّهم يُحدثون أحيانًا بالشيء يكون حقًا ؟ فقال رسول الله ﷺ: « **تلك الكلمة من الحق يَخطفها الجنّيُّ فيقرُّها في أُذُنِ وليِّهِ ، فيخلطون فيها أكثرَ منْ مائةِ كذبةٍ** » ... « صحيح »

• ـ هذا ، ـ والواجب على وِلِي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات ، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات ، أو ـ أَنْ ـ يدخلوا على الناس في منازلِهم لذلك . ويكفي من يعلم تَحريم ذلك ولا يسعى في إزالته ، مع قدرته على ذلك ـ قوله تعالَى : ﴿ **كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٧٩] . وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت ، بإجماع المسلمين ...

• وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع :

صفية به، واللفظ لمسلم، ووقع عند أحمد هكذا: «فصدَّقه» بدل : «فسأله»، و: «يومًا» بدل : «ليلةً» ، وإسناده صحيح عن صفية أيضًا :

• ولا أعرف في صفية هذه توثيقًا معتبرًا إلا إنْ كان الإمام مسلم قد أخرج لَها على وجه الاحتجاج لا الاستشهاد ؟!

• وله شاهدانِ منْ حديث كلٍّ من عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، ولا يثبت منهما شيء ، وانظر ـ للمزيد ـ « العلل » لابن أبِي حاتم [٢٣٠٣] و« المجمع » للهيثمي [١١٧/٥ ـ ١١٨] و« غاية المرام » للألبانِي [٢٨٤] .

• فنوعٌ منهم : أهل تلبيس وكذب وخداع ...، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالَهم عن الكذب والتلبيس . وقد يكون فِي هؤلاء من يستحق القتل ، كمن يدعِي النبوة بِمثل هذه الخزعبلات ، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ، ونَحو ذلك .

• ونوعٌ يتكلَّم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة : بأنواع السحر ...

• ونوعٌ ـ آخَرُ ـ منهم ـ مُتَلَبِّسٌ ـ بالأحوال الشيطانيَّةِ والكشوف ومخاطبتِهِ رجالَ الغَيبِ !، ـ ثم يَدَّعِي ـ أَنَّ لَهم خوارق تقتضي أَنَّهم أَوْلياءُ الله!! :

• والحقُّ : أنَّ هؤلاء من أتباع الشياطين ، وأنَّ رجال الغيب هم الجنُّ، وَيُسَمَّونَ رجالاً ، كما قال تعالَى : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾[الجن : ٦] . وإلا فالإنس يؤنسون ، أي : يشهدون ويرون ، وإنَّما يَحتجب الإنسي أحيانًا ، لا يكون دائمًا محتجبًا عن أبصار الإنس ، ومن ظنهم أنَّهم من « الإنس » فمن غلطه وجهله...

• ـ والمقصودُ : بيانُ أَنْ ـ لا طريقةَ إلا طريقة الرسول ﷺ ، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا عقيدة إلا عقيدته ، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بِمتابعته باطنًا وظاهرًا . ومن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر ، ملتزمًا لطاعته فيما أمر، فِي الأمور الباطنة التِي في القلوب ، والأعمال الظاهرة التِي على الأبدان ـ : لَم يكن مؤمنًا ، فضلاً عن أن يكون وليًا لله تعالَى ، ولو طار فِي الهواء ، ومشى على الماء ، وأنفق من الغيب ، وأخرج الذهب من الخشب ، ولو

حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يَحصل !! فإنه لا يكون ، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور ـ إلا من أهل الأحوال الشيطانية ، المبعدة لصاحبها عن الله تعالَى ، المقربة إلى سخطه وعذابه ...، قال يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفِيُّ : قلت للشافعي : إن صاحبنا الليث كان يقول : إذا رأيتم الرجل يَمشي على الماء فلا تغتروا به حتَّى تعرضوا أَمْرَهُ على الكتاب والسنة ؟! فقال الشافعي : قَصَّرَ الليثُ رحمه الله ، بل إذا رأيتم الرجل يَمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب ـ والسنة ـ !!...

[١١٢] قوله : (ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا ، والفرقة زَيْغًا وعذابًا) .

• ش : قال الله تعالَى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . وقال تعالَى : ﴿ **ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٥] . وقال تعالَى: ﴿ **إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنهُمْ فِي شَيْءٍ إنَّمَا أَمْرُهُمْ إلَى اللَّه ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفعَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٩] . وقال تعالَى : ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ [هود : ١١٨ ـ ١١٩] . فجعل أهل الرحمة مستثنَيْن من الاختلاف . وقال تعالَى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ وإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيد** ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

• والأُمورُ التي تتنازع فيها الأمة ، في الأصول والفروع ـ إذا لَم تُرَدَّ إلى الله والرسول ، لَم يتبين فيها الحق ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة

من أمرهم، فإنْ رحمهم الله أقَرَّ بعضهم بعضًا، و لم يبغ بعضهم على بعض...،

وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضهم على بعض ، إما بالقول ، مثل تكفيره وتفسيقه ، وإما بالفعل ، مثل حبسه وضربه وقتله ...

• فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول : إما عادلون وإما ظالمون ، فالعادل فيهم : الذي يعمل بِما وصل إليه من آثار الأنبياء ، ولا يظلم غيره ، والظالم : الذي يعتدي على غيره . وأكثرهم إنَّما يظلمون مع علمهم بأنَّهم يظلمون ، كما قال تعالَى : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٩] . ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان : اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد :

• واختلاف التنوع على وجوه :

• منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًّا مشروعًا ...، وإن كان بعض أنواعه أرجحَ أو أفضلَ . ثم تَجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونَحو ذلك ! وهذا عين المحرم ...

• ومنه ما يكون كلٌّ من القولين هو في المعنَى ـ هو هو ـ القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان ، كما قد يَختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود(١٣٠) ، وصيغ الأدلة ، والتعبير عن المسميات ، ونَحو ذلك .

• ثم الجهل أو الظلم يَحمل على حمد إحدى المقالتين وذمِّ الأخرى والاعتداء على قائلها ! ونَحو ذلك !! ...

---

(١٣٠) يريد الشارحُ بالحدودِ هنا : التعريفات التِي يصطلح عليها الأئمةُ .

• وأما اختلافُ التضادِّ ، فهو القولانِ المتنافيان ، إما في الأصول وإمَّا في الفروع ...، والخطبُ في هذا أشدُّ ، لأنَّ القولينِ يتنافيان ...

• والاختلاف الأول ، الذي هو اختلاف التنوع ، الذمُّ فيه واقع على من بغى على الآخر فيه !!...

• ـ هذا ، ـ وأكثر الاختلاف الذي يئولُ إلى الأهواءِ بين الأُمَّةِ مِنْ ـ هذا ـ القسم الأوَّلِ ، وكذلك ـ يئولُ ـ إلى سفك الدماءِ واستباحةِ الأموال والعداوة والبغضاء . ـ وذلك ـ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ، ولا تنصفها ، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل ، والأخرى كذلك ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** ﴾ [البقرة: ٢١٣] . لأن البغي مجاوزة الحد ، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرةً لهذه الأمة . وقريب من هذا الباب ما خرجاه في « الصحيحين » ... عن أبِي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ذروني ما تركتكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالِهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نَهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم** » . فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به ، مُعَلِّلاً ـ ذلك ـ بأن سبب هلاك الأولين إنَّما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية !!...

---

[١١٣] قوله : (ودين الله في الأرض والسماء واحد ، وهو دين الإسلام ، قال الله تعالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عندَ اللَّه الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران :١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل ، وبين الجبر

والقدر ، وبين الأمن والإياس ...) .

● ش : ثبت في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « ـ .. الأنبياء ... **دينهم واحد** ..ـ » .

وقوله تعالَى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ـ عامٌّ في كل زمان ، ولكن الشرائع تتنوع ، كما قال تعالَى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة : ٤٨] . فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالَى لعباده على ألسنة رسله ، وأَصْلُ هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل ، وهو ظاهر غاية الظهور ، يمكن كل مميز من صغير وكبير ، وفصيح وأعجم ، وذكي وبليد : أن يدخل فيه بأقصر زمان ، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك ، من إنكار كلمة ، أو تكذيب ، أو معارضة ، أو كذب على الله ، أو ارتياب في قول الله تعالَى ، أو رَدٍّ لما أنزل ، أو شكٍّ فيما نفى الله عنه الشك ، أو غير ذلك مما في معناه ...

● وقوله : « بين الغلو والتقصير » ـ قال تعالَى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة : ٧٧]. وقال تعالَى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٨٧ ـ ٨٨].

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها : أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عمله فِي السِّرِّ ؟ فقال بعضهم:... لا أَتزوَّجَ النساءَ ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: « **ما بال أقوام يقول أحدكم كذا وكذا؟! لكنِّي أصوم وأفطر،**

« صحيح، ولكنْ » وأنام وأقوم ...، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مِنِّي»... [(١٣١)]

● وقوله : « وبين التشبيه والتعطيل » ـ تقدم أن الله سبحانه وتعالَى يُحب أن يوصف بِما وصف به نفسه ، وبِما وصفه به رسوله ، من غير تشبيه ، فلا يقال : سَمع كسمعنا ، ولا بصر كبصرنا ، ونَحوه ، ومن غير تعطيل ، فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه ، أو وصفه به أعرف الخلق به : رسولُهُ ﷺ ، فإن ذلك تعطيلٌ ...، وهذا المعنَى مستفادٌ من قوله تعالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] . رد على المشبِّهة ، وقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ـ رد على المعطِّلة [(١٣٢)]...

● وقوله : « وبين الجبر والقدر » ـ تقدم الكلام أيضًا على هذا المعنَى، وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله ، وأنَّها ليست بِمنْزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها ، وليست مخلوقة للعباد ، بل هي فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالَى [(١٣٣)] .

● وقوله : « بين الأمن والإياس » ـ تقدم الكلام أيضًا على هذا

---

(١٣١) صحيحٌ ولكنْ :

● من حديث أنس رضي الله عنه : أخرجه البخاري [٥٠٦٣] ومسلم [١٤٠١] بنحوه ، ولفظه أقرب إلى لفظ مسلم :

● وأمَّا مِنْ حديث عائشة رضي الله عنها : فله لفظ آخَرُ مختصرٌ جدًّا عن هذا ، وليس فيه تفصيله ﷺ المذكورُ هنا ، وقد :

● أخرجه البخاري [٦١٠١ ـ ٧٣٠١] ومسلم [٢٣٥٦] ، وسنده صحيح أيضًا .

(١٣٢) وانظر في الكلام عن هذا المعنَى الفقراتِ التالية : [٢ ـ ٩ ـ ٣٧ ـ ٤٣] .

(١٣٣) ● وانظر في الكلام عن هذه المعاني شرحَ الفقرات رقم : [٧ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٩٣] :

● وانظر ـ إنْ شئتَ مزيدًا ـ باقي الفقرات المذكورة في التعليق رقم [٥] .

المعنَى، وأنه يَجب أن يكون العبد خائفًا من عذاب ربه ، راجيًا رحمته ، وأن الخوف والرجاء بِمَنْزلة الجناحين للعبد ، في سيره إلى الله تعالَى والدار الآخرة[١٣٤] ...

[١١٤] قوله : (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا ، ونحن براء إلى الله تعالى مِنْ كلِّ من خالف الذي ذكرناه وبيناه ، ونسأل الله تعالى أنْ يثبتنا على الإيمان ، ويختم لنا به ، ويعصمنا من الأهواء المختلفة ، والآراء المتفرقة ، والمذاهب الردية ، مثل المشبهة ، والمعتزلة، والجهمية ، والجبرية، والقدرية ، وغيرهم ، من الذين خالفوا السنة والجماعة ، وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم براء ، وهم عندنا ضلال وأردياء . وبالله العصمة والتوفيق) .

● ش : الإشارة بقوله : « فهذا » لكلِّ ما تقدمَ من أول الكتاب إلى هنا .

● والمشبهة : هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته ، وقولهم عكس قول النصارى ، شبهوا المخلوق ـ وهو عيسى عليه السلام ـ بالخالق وجعلوه إلِهًا ، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق ، كداود الجواربِيِّ وأَشباهِه .

● والمعتزلة : هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزَّال وأصحابُهما، سُمُّوا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله ، في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يَجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة ، وقيل : إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة ،

(١٣٤) وانظر في الكلام عن هذا المعنَى: شرحَ الفقرة رقم [٦٩] والتي قبلها.

وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري ، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لَهم أبو الهذيل كتابين ، وبَيَّنَ لَهم مذهبهم ...

● وفِي المعتزلة زنادقة كثيرة ، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أَنَّهمْ يُحسنون صنعًا .

● والجهمية ، هم : المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي ، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل ، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم ، الذي ضحى به خالد بن عبد الله القَسْري بواسط ، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى ، وقال : أيها الناس ، ضَحُّوا ، تقبل اللهُ ضحاياكم ، فإنِّي مضحٍ بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لَمْ يتخذ إبراهيم خليلاً ولَم يكلم موسى تكليمًا ، تعالَى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا ، ثم نزل فذبَحه . وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه ، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالَى. وكان جهم بعده بِخراسان ، فأظهر مقالته هناك ، وتبعه عليها ناسٌ !!...، فَقُتِلَ جَهْمٌ ـ قَبَّحَهُ الله ـ بِخراسانَ ، قتله سَلْمُ بن أَحْوز ، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس ، وتقلدها بعده المعتزلة . ولكن كان جَهْمٌ أَدْخَلَ في التعطيل منهم ، لأنه ينكر الأسْماءَ حقيقةً ، وهم لا ينكر الأسْماءَ بل الصفات...

● ـ هذا ، ـ ومِمَّا انفرد به جهم : أن الجنة والنار تفنيان ، وأن الإيمان هو المعرفة فقط ، والكفر هو الجهل فقط ، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده ، وأن الناس إنَّما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز ، كما يقال تَحركت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس ! ولقد أحسن القائل :

« عجبت لشيطان دعا الناس جهرة إلى النار واشْتُقَّ اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّم » !!

● والجبرية ، أصل قولهم من جهم بن صفوان ، كما تقدم ، وأن فعل العبد بِمنْزلة طوله ولونه ! وهم عكس القَدَرية ، نفاة القدرِ ، فإن القدرية إنَّما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه ، كما سُميت المرجئة لنفيهم الإرجاء ، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبُهم وإما يتوب عليهم . وقد تسمى الجبرية : « قدريَّةً » لأنَّهم غَلَوْا فِي إثبات القدر ، وكما يُسمَّى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد ، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع ، فلا يَجزمون بثواب من تاب ، كما لا يَجزمون بعقوبة من لم يتب ...، وكانت المرجئة الأولَى يرجئون عثمان وعليًّا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!...(١٣٥)

● وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم ، عُدُولُهُمْ عن الصراط المستقيم ، الذي أمرنا الله باتباعه ، فقال : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . وقال تعالَى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فوحَّدَ لفظَ « صراطه » و « سبيله » ، وجمع « السبل » المخالفة له .

● ومن ههنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة . ولِهذا شرع الله تعالَى في الصلاة قراءة أمِّ القرآن في كلِّ ركعة ...، ـ وما ذلك إلا ـ لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم الْقَدْرِ ، المشتمل على أشرف المطالب وأجلِّها. فقد أمرنا الله تعالَى أن نقول: ﴿ **اهْدِنَا**

---

(١٣٥) ● وقد سبق ـ في ثنايا هذا « المختصر » ـ الكلامُ ـ بتوسعٍ ـ عن كلِّ هذه الفرق الضالة وغيرها من فرق الغواية والزَّيغ والضلالةِ :
● فليراجعها مَنْ شاءَ مشكورًا .
● وبالله تعالَى التوفيق .

الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ _ ٧] .

● فنسأل الله السلامةَ والعافية مِنْ هذه الأقوال الواهيةِ المفضيةِ بقائلها إلى الهاوية !!

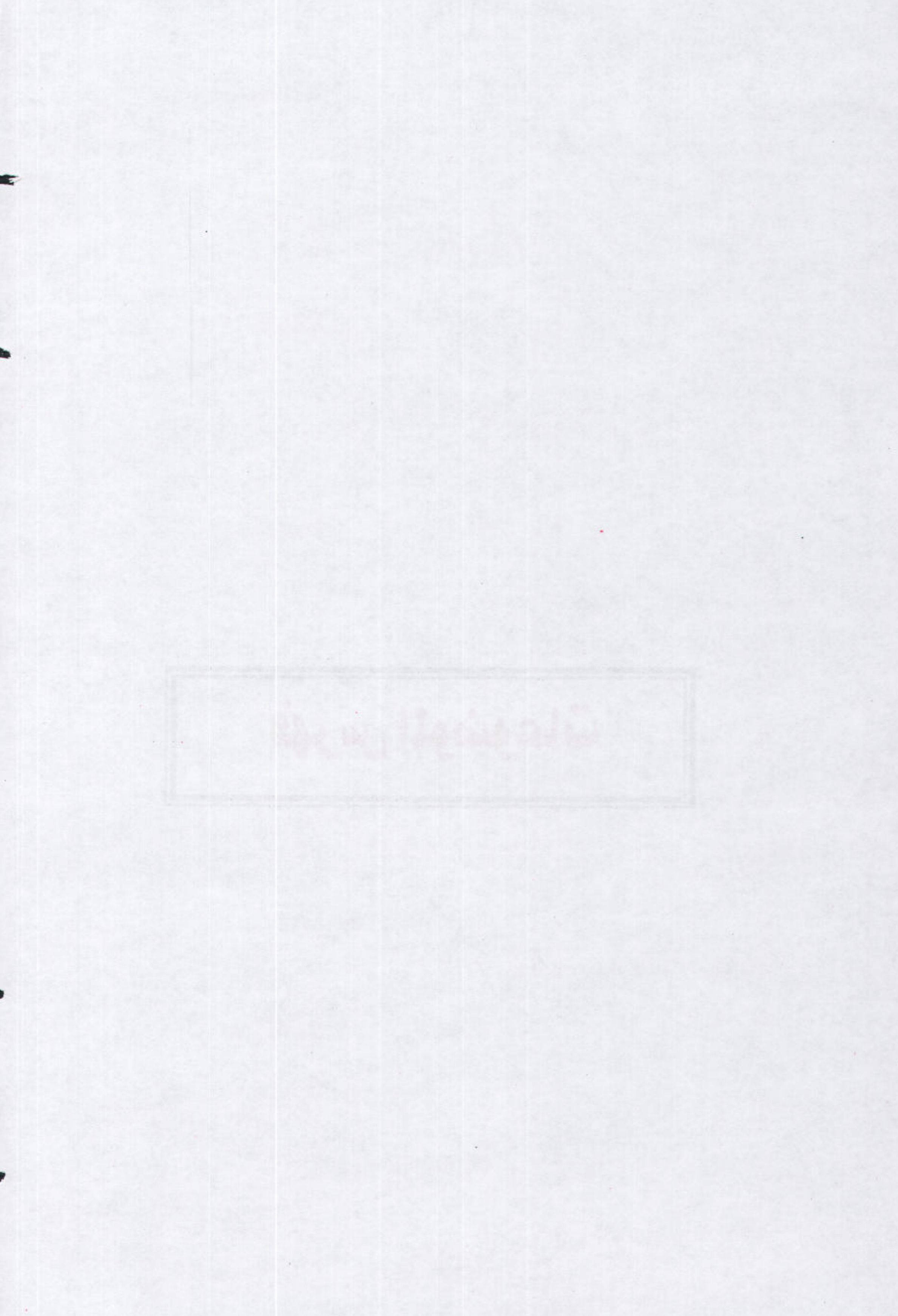
● « سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ،

وسلام على المرسلين :

والحمد لله رب العالمين » .

* * *

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

• هذا ، وكتبه : **أبو محمد عصام بن مرعي .**